المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الصناعات والحرف عند العرب

في العصر الجاهلي

واضح الصمد

الصناعات والحرف
عند العرب
في العصر الجاهلي

الطبعة الأولى
١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١ م

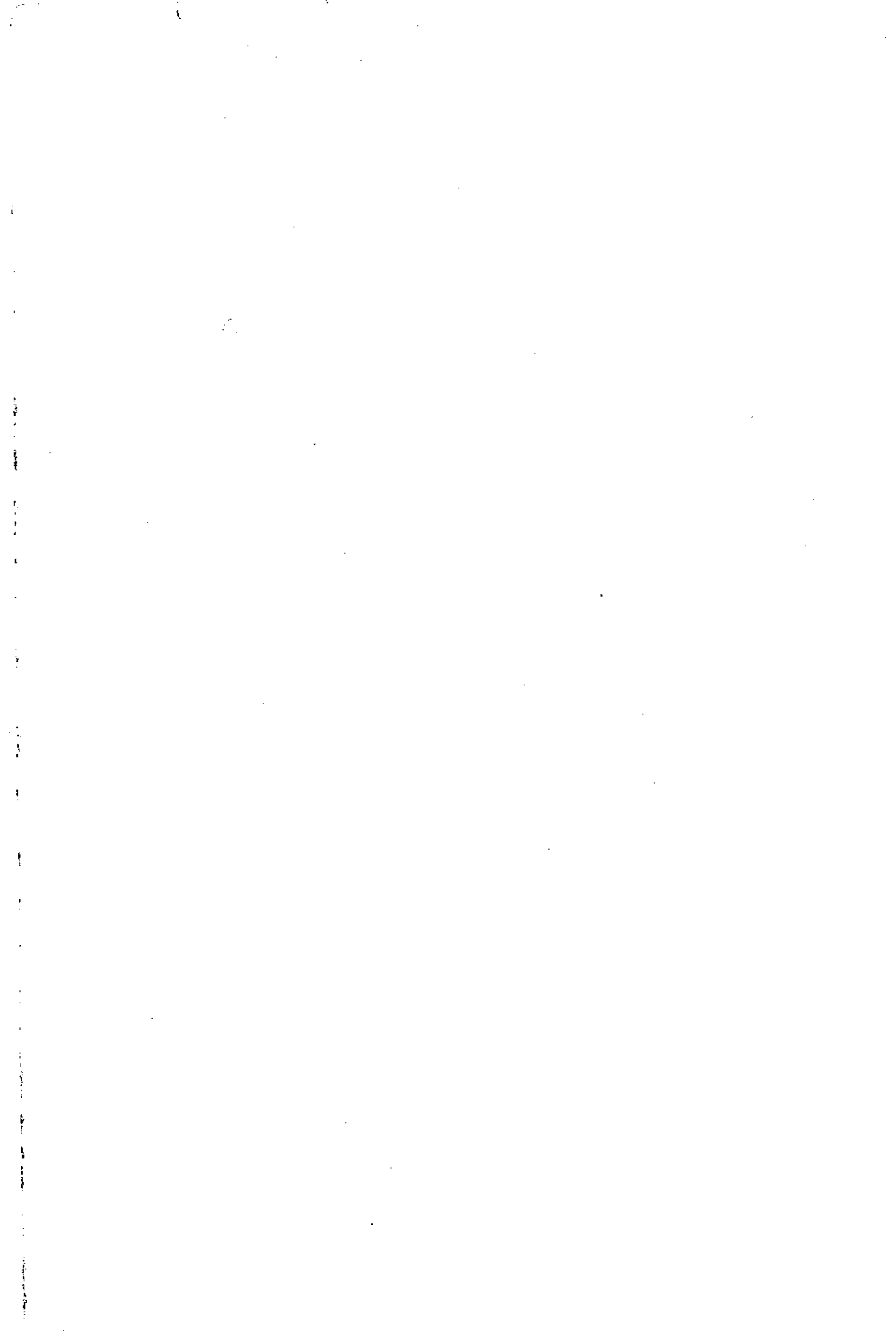


الحمراء ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام
هاتف: ٨٠٢٤٠٧ ـ ٨٠٢٤٢٨ ص . ب ١١٣/٦٣١١ بيروت ـ لبنان

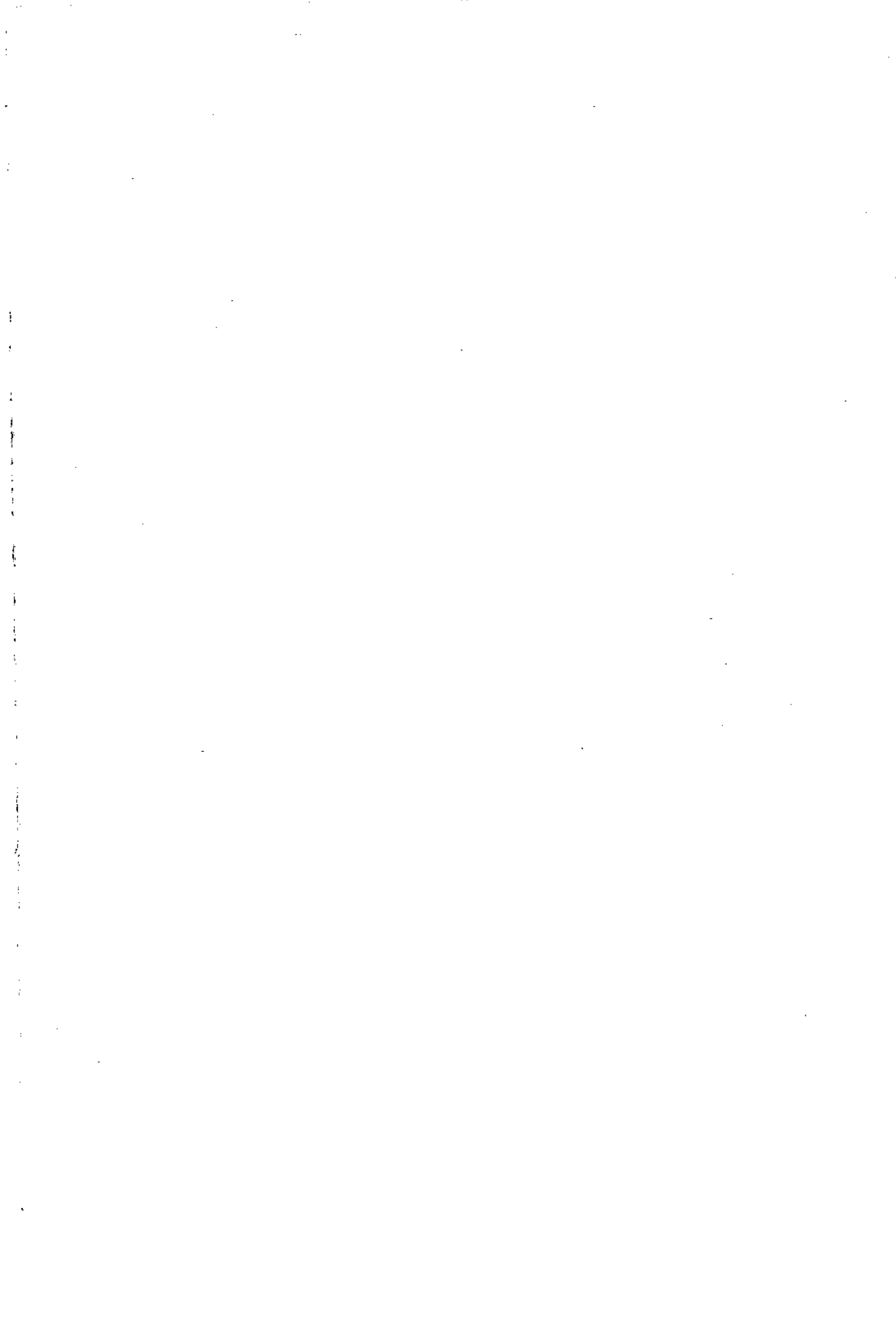
واضح الصمد

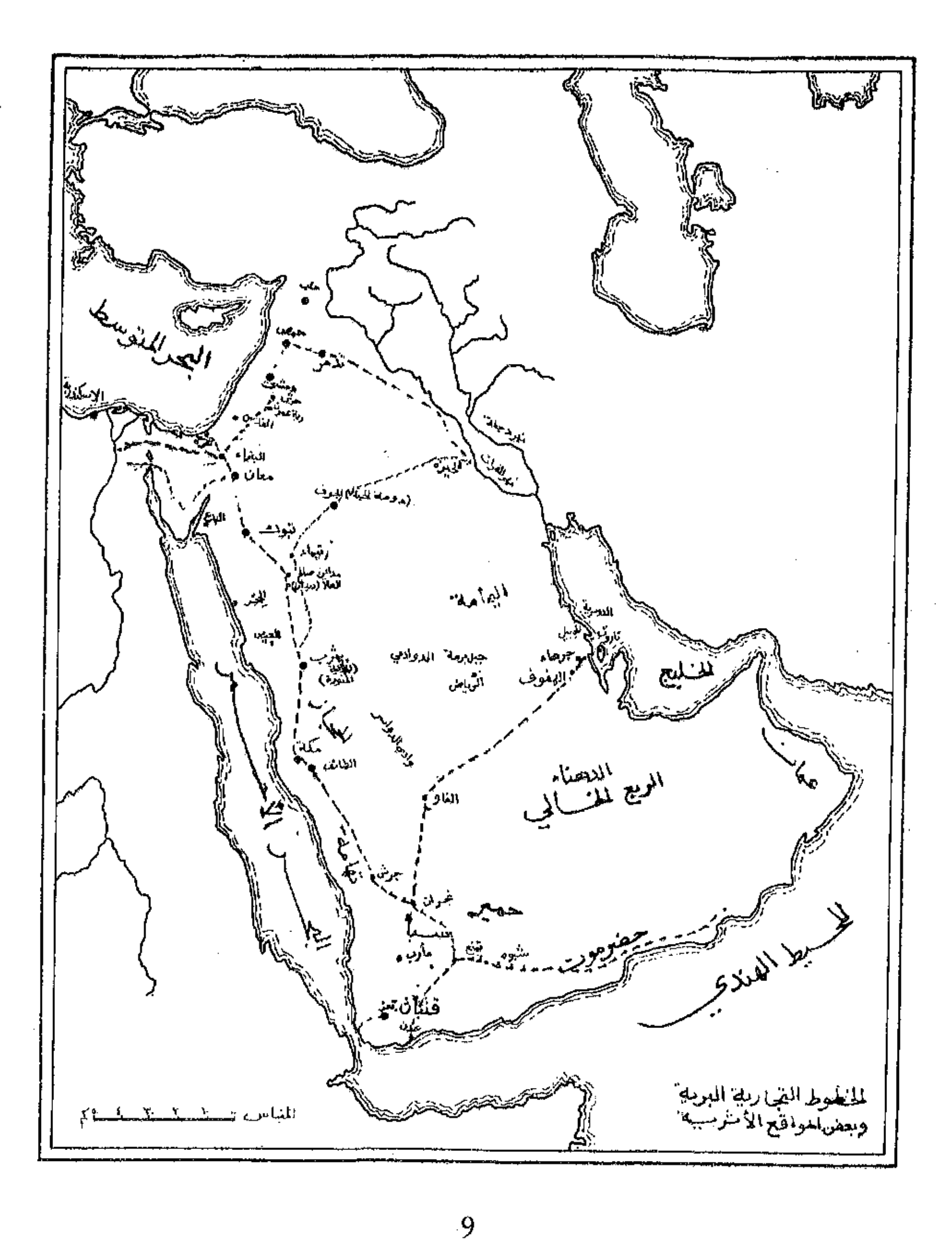
الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

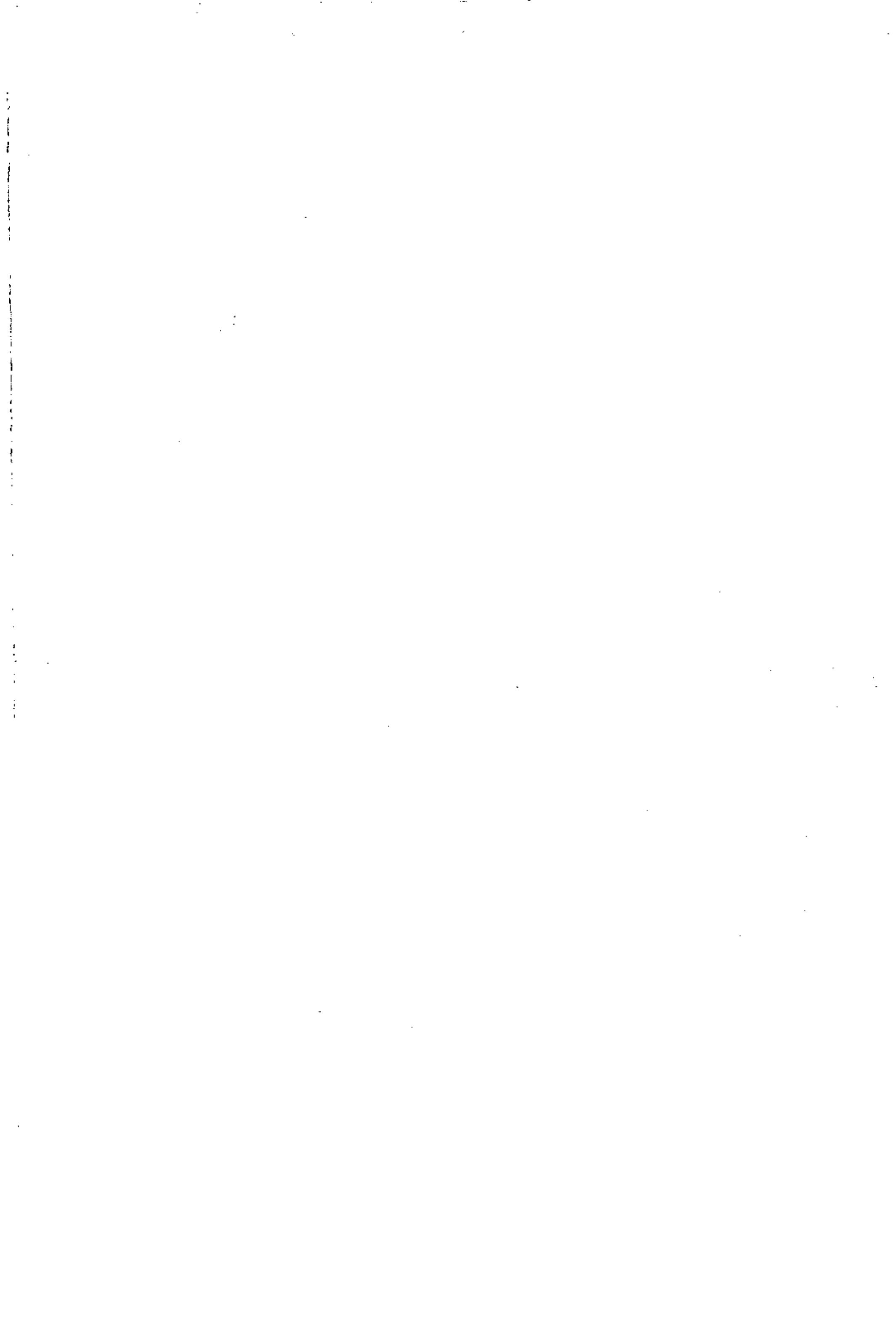


الفهرس





الخطوط التجارية البرية
وبعض المواقع الأثرية



المقدمة :

السمات العامة لطبيعة الجزيرة العربية

إن جزيرة العرب هي موطن العرب الجاهليين ، تلتقي عندها قارات ثلاث : آسيا ، أفريقيا وأوروبا ، مما أعطاها موقعاً جغرافياً خطيراً على ملتقى أهم خطوط التجارة العالمية . تحيط بجزيرة العرب مياه البحار من ثلاث جهات : شرقاً الخليج العربي وخليج عمان ، جنوباً بحر العرب والمحيط الهندي ، غرباً البحر الأحمر .

تبلغ مساحة جزيرة العرب ما يقارب مليون وربع مليون من الأميال المربعة[1] . إذا ثبتنا مواضع المياه على (خارطتها) ، نجد أنها قليلة ، لا يتناسب توزيعها ووجودها مع هذه المساحة الشاسعة . فنشأ عن هذا الواقع ، ظهور مجتمع مستوطنات منتشرة هنا وهناك ، حيث توجد المياه ، رزقها من زراعتها الصغيرة ومن رعاية الماشية ، وصار اقتصادها من ثمّ اقتصاداً بدائياً لا تعقيد فيه .

وجوّ جزيرة العرب ، جوّ من أجواء البلاد الحارة الجافة ، أمطارها على العموم قليلة لا سيّما في أواسط الجزيرة ، وقد تنحبس في بعض السنين انحباساً تاماً مما يؤدي الى ضرر كبير ، لأن الأعشاب في الأرض تجف

---

(1) د . جواد علي ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ـ دار العلم للملايين بيروت ومكتبة النهضة بغداد سنة ـ1976 ـ7 -6

وتيبس ، فلا تجد الإبل لها طعاماً ، حيث إن مراعيها تعتمد على مياه الأمطار . وقد يهلك عدد من الناس قبل بلوغهم موضع الماء خاصة في المناطق الصحراوية حيث يعيش البدو .

أما المنطقة الغربية والجنوبية ، فتتساقط فيها الأمطار ، ولكن بدون انتظام ، وقد تهطل الأمطار فجأة بغزارة فتحدث سيلاً يتلف الحرث والنسل . وفي كتب المؤلفين الاسلاميين اشارات الى سيول عارمة جارفة أضرت بالمدن والقرى والمزارع ، وبالقوافل والناس ، وقد ذكر أن خراب عاصمة اليمامة القديمة كان بفعل السيل[1] .

وقد تهبّ بعض الرياح فتنكب الناس بأنفسهم وبأموالهم ، وقد تأتي السماء بسحب كثيفة من جراد ، فلا تهبط مكاناً إلاّ جردته .

وقد كان للبراري والبوادي دورها ، إذ حالت بين العرب وبين المجتمعات الكبيرة ، ومعظم أراضي الجزيرة العربية بادية .

إلاّ أن هناك مناطق ذات تربة خصبة ومناخ معتدل ، كاليمن وبعض مناطق حضرموت ، في الجنوب، وجبال الطائف قرب مكة ، ومدينة يثرب (المدينة المنورة) ، في الشمال ، واليمامة في الجنوب الشرقي ، وقد قيل عنها : « وكانت أحسن بلاد الله أرضاً ، وأكثرها خيراً ونخيلاً وشجراً من سائر الحجاز »[2] .

من هنا اختلفت حياة السكان ونوعية تقسيم العمل ، ففي المناطق الجافة سادت الحياة البدوية غير المستقرة حيث كسب العيش والانتاج

---

(1) جواد علي1-158

(2) المصدر السابق7-38

يقومان على تربية الماشية والترحل طلباً للمراعي الموسمية وتجمعات المياه غير الدائمة . وفي المناطق ذات الامكانات الزراعية وجدت الحياة المستقرة والمتحضرة حيث يعمل السكان في الزراعة ، إضافة الى تربية الماشية وحيث ظهرت صناعات استهلاكية حرفية متلائمة مع حاجات الاستقرار الزراعي . وهناك مناطق أخرى كانت حياة السكان فيها نصف مستقرة ونصف مترحلة كمناطق الواحات حيث يجمع أهلها بين الاستقرار في الواحات لزراعة النخيل وبعض الحبوب والخضار في نهايات الشتاء ، وبين الترحل لرعي الماشية (الإبل بالأكثر) في سائر الفصول . وفي أوقات الترحل كان هؤلاء يبقون بعض أفراد عائلاتهم في أماكن زراعتهم لحماية المزروعات إلى أن يعودوا في أوان القطاف أو الحصاد . « وبما أن البدوي يعتاد منذ صغره مشاهدة الحياة الملأى بالأخطار ، لذلك يزدري كل ما يبعد عن العنف . . يحتقر المهن اليدوية والفلاحة وغيرها . . فالصيد والاختطاف والحرب شغله الشاغل في الليل والنهار . . ومن هنا كان تفضيله الذكور على الإناث ، إذ يرى فيهم خير معوان »(1) .

وهناك فئة مستقرة ركزت اهتمامها على التجارة وخاصة قريش في مكة حيث كانت العنصر المكوّن لاقتصاد هذه المدينة والمصدر الأول لثراء زعمائها وكانوا يقومون برحلتين تجاريتين ، إحداهما في الصيف والثانية في الشتاء ، وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم : « لايلاف قريش إيلافهم . رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »(2) .

---

(1) ر . بلاشير ـ تاريخ الأدب العربي ـ ترجمة د . ابراهيم الكيلاني ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق سنة 1973 ـ 1- 39

(2) سورة قريش .

أما في القسم الجنوبي من شبه جزيرة العرب ، فان الوضع يختلف اختلافاً بيّناً عمّا هو في الشمال . فان القسم الجنوبي كان يعيش عيشة استقرار وتغلب عليه الحضارة ، وقد ورد في القرآن الكريم : « لقد كان لسبإٍ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور »[1] .

وقد جاء في تاريخ العرب : « أما شرائع عرب الجنوب فتمتاز بصفات النضج الشرعي والبلوغ السياسي ، وتدل على نظام دولة تلوح من خلاله أوضاع الحكم النيابي ، وربما لم يكن في آثار القدم السحيقة ما يدانيها رقياً » . ويستند في ذلك على ما استنتج من الرُّقم أو النقوش على الألواح المعدنية أو الحجرية والتي قسمها إلى خمسة أقسام ويقول إن أقدم ما عثر عليه من الرّقم يرجع عهده إلى القرن السادس أو السابع قبل الميلاد[2] . وهذا يدل على أنه كان عند عرب الجنوب حضارة لا يستهان بها . فما هو مستواهم الصناعي الذي بلغوه في العصر الجاهلي ، وما هي أهم الصناعات التي مارسوها ؟ وما هي الحالة الصناعية التي كانت سائدة في مختلف أقطار جزيرة العرب ؟

---

(1) سورة سبأ . الآية ـ15

(2) د . فيليب حتي ورفاقه ـ تاريخ العرب ـ دار غندور للطباعة والنشر ـ الطبعة الخامسة ـ1974 صـ83 وما بعدها .

تمهيد

1 ـ تعريف الصنعة :

الصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة(1) . وعماد الصانع على يديه ، يستعملها في صنع الأشياء ، كما يعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء الى أشياء أخرى يريدها ، وهو محور الانتاج في الحياة الاقتصادية .

2 ـ نظرة العربي الجاهلي الى الصنعة :

اعتبر قسم من العرب الجاهليين الحرفة أو الصنعة من الأمور المستهجنة ، فلا يليق بالعربي الحر الشريف أن يكون صانعاً لأن الصنعة من حرف العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس . وقد يعود السبب إلى الطبيعة الاقليمية كما أسلفنا ، بالاضافة الى أن العربي كان يرى فيها تقييداً لحريته وحداً من حركته . وقيل إنهم إذا أرادوا تحقير إنسان وسبّه بكلمة تكون مجمع السباب قالوا له يا ابن الصانع ، بل ان العدنانيين كانوا يعيرون اليمنيين بأنهم كانوا بين دابغ جلد وناسج برد (2) . وهذا عمرو بن

---

(1) ابن منظور ـ لسان العرب . دار صادر ـ بيروت 8 -209

(2) معجم البلدان 5 / 448 .

كلثوم يعيّر النعمان بن المنذر بأن أمه كانت من أسرة تشتغل بالصناعة حيث يقول :

لحا الله أدْنانا الى اللؤم زُلْفَةً   وألأمنا خالاً وأعجزَنا أبَا
وأجدَرَنا أنْ ينفُخَ الكيرَ خالهُ   يصوغُ القروطَ والشُّنوفَ بيثرِبا

وقد ورد في اللسان قول لأمية بن خلف يهجو فيه حسان بن ثابت وهو :

ألَيسَ أبوكَ فينا كان قيناً   لدى القيناتِ فسلاً في الحفاظ؟
يمانيّاً يَظَلُّ يشدُّ كيراً   وينفخُ دائباً لهَبَ الشُّواظِ[1]

وكان هناك قسم آخر ينظر نظرة تقدير إلى صاحب الصنعة ، وقد جاء في الحديث : « إنّي لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول هل له حرفة ؟ فان قالوا : لا ، سقط من عيني »[2] .

وقد كان هناك صناعات في شبه الجزيرة العربية وكان هناك من يعملون في الصناعة وخاصة في المنطقة الجنوبية ، ويقول صاحب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : « فاليمن هي في مقدمة أجزاء جزيرة العرب في الصناعة . . وهي الأولى في الانتاج . . وهي المكان الوحيد فيها الذي زادت صادراته فيه على وارداته »[3] .

ويذكر أيضاً الدكتور جواد علي : « من الحرف المتداولة بين الجاهليين النجارة والحدادة والحياكة والنساجة والخياطة والصياغة والدباغة والبناء ونحوها » .

---

(1) اللسان 7-446
(2) اللسان 9-44 جواد علي 7-505 ينسبه الى علي بن أبي طالب نقلاً عن تاج العروس 6-69
(3) جواد علي 7-511

الفصل الأول
النجارة والاخشاب

« النَّجْرُ نَحْتُ الخشبةِ ، نَجَرَها ينجرُها نَجْراً : نحتها ، ونجارة العود : ما انْتُحِتَ منه عند النَّجْر . والنَّجارُ : صاحب النجر وحرفته النجارة »[1] .

فالنجّار هو الذي ينجر الخشب ، فيقوم بنشره وحفره وإصلاحه وعمله على النحو المطلوب ، ومادة النجارة الخشب .

ويبدو أن صناعة النجارة قديمة العهد ، يتضح ذلك لنا مما يلي :

لقد ورد ذكرها في الكتاب المقدس : « وأرسل حيرام ملك صور رسلاً إلى داوود وخشب أرز ونجارين وبنائين فبنوا لداوود بيتاً »[2] .

وقد قال عنها ابن خلدون : « هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب . . ثم بعد ذلك منافعُ أخرى لأهل البدو والحضر ، فأما أهل البدو فيتخذون منها العُمُدَ والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم ، والرماح والقسيَّ والسهام لسلاحهم ؛ وأما أهل الحضر ، فالسقف لبيوتهم

---

(1) اللسان 5-193 ـ دار صادر .

(2) صموئيل الثاني 5-11

والأغْلاقُ لأبوابهم ، والكراسيُّ لجلوسهم ، وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ، ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلاّ بالصناعة ، أي النجارة . . وفيما يقال إن معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح عليه السلام وبها أنشأ سفينة النجاة « (1) .

وقد وُجِدَ في أماكن مختلفة من شبه الجزيرة العربية ، بقايا مصنوعات خشبية تثبت أن العرب في العصر الجاهلي كانوا على معرفة بهذه الصناعة ـ صناعة النجارة ـ وأنهم بلغوا درجة ممتازة من الاتقان . نستدل على ذلك مما ذكره الدكتور جواد علي حيث يقول : « . . وقد وجدت البعثة الأميركية في بيوت (تمنع) (القتبانية) صناديق محفورة منقوشة وعليها صور ورسوم ، لها قيمة تأريخية ثمينة من ناحية دراسة الفن العربي القديم . . ويظهر أن زخارف من الخشب كانت تبرز فوق الباب لاعطائه جمالاً ورونقاً وبهاءً ، كما يتبين ذلك من آثار الخشب التي ظهرت للعيان بعد رفع التراب والرمال » (2) .

وذكر أيضاً في مكان آخر : « وقد عثر الرّحالون والمنقبون على ألواح من الخشب وعلى شبابيك ومواد خشبية أخرى في اليمن وفي حضرموت منقوشة نقشاً بديعاً ومحفورة حفراً يدل على دقة الصنعة وإتقان في العمل . وهي شاهد على تمكن النجار من مهنته وحسن استخدامه للأدوات النجارية في صنع النفائس والطرائف من الخشب » (3) .

---

(1) مقدمة ابن خلدون ـ الجزء الأول ص ـ410 ـ الطبعة الرابعة ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .
(2) المفصل ـ د . جواد علي 2-226 وما بعدها .
(3) المصدر السابق 7-545

وهذا لا يدلّنا على معرفة العرب الجاهليين لهـذه الصناعـة فحسـب وإنما يتبيّن لنا مدى حذق النجار وذكائه وتقدمه في مهنته ، ويدلّنا أيضاً على أن النّجار في العصر الجاهلي كان يستخدم من الأدوات المختلفة والدقيقة ، مايمكنه منِ النقش والحفر والزخرفةوهذايستدعي ولا شك توفرالأدوات والخبرة والمهارة والذوق الفنّي . وتلك الأدوات التي يستعيـن بها النجار لبلوغ غايته منها ما يكون من صنع الحداد ، لأنها من الحديد مثل الفأس ، على اختلاف أنواعها ، والمنشار . ويبدو أنهما كانتا معروفتين منذ العهود القديمة ، حيث ورد ذكرهما في الكتاب المقدس : « هل تفخر الفأس على القاطع بهـا أو يتكبَّر المنشار على مردِّده »[1] .

وقد ورد ذكر أدوات أخرى حيث يقول : « طبعَ الحديدَ قدوماً وعمِلَ في الفحم والمطـارق فيصنعُـهُ بذراع قوّتـه . . نَجَّـرَ خشبـاً . مدّ الخيط . بالمِخْرَزِ يُعلّمه ، يصنعُه بالأزاميل وبالدّوارة يَرْسُمُـهُ . . قطـع لنفسـه أرزاً وأخذ سِنْدِياناً وبلوطاً واختار لنفسه من أخشاب الوَعْرِ »[2] .

وفي أماكن أخرى يذكر لنا أدوات أخرى استعملها النجار في عمله منها المسامير الحديدية والمطارق حيث ورد : « صنعةُ يَدَيْ نَجّارٍ بالقدومِ . بالفضة والذهب يزينونها وبالمسامير والمطارق يشدِّدونها فلا تتحركُ »[3] .

وكذلك : « وَهَيَّأ داوود حديداً كثيراً للمسـامير لمصـاريع الأبـواب وللوصل »[4] . وهكذا يبدو لنا جليّاً أن الكثير من الأدوات التـي يستعملهـا

---

(1) إشعياء10 -15

(2) اشعياء44 -12 وما بعدها .

(3) إرميا10 / 3 - 4

(4) أخبار الأيام الأوّل22 -3

النجار كانت معروفة منذ القدم لأنها ذكرت في الكتاب المقدس ، ومنها أدوات أخرى أيضاً نذكر بعضها وهي : المحفرة والمحفار ، والمنقار والمسحل والمثقب والكلبتان والأوتاد [1] .

ومن الأدوات التي يستعين بها النجارون في قياس تربيع الخشب (الكُوس) ، وهي خشبة مثلثة [2] .

وقد ورد ذكر بعض هذه الأدوات في الشعر الجاهلي مما يدلّ على معرفة العرب الجاهليين بها . ومنها في قول الأعشى :

ولا بُدَّ من جَارٍ يُجِيرُ سَبيلهَا كما سَلَكَ السَّكِّيُّ في البـاب فَيْتَقُ [3]

السكي : المسمار . الفيتق : النجار .

وقال قيس بن الخطيم :

فلا تَجْعَلُـوا حَرْباتِـكم في نحورِكم كمـا شَدَّ السواحَ الرِّتَـاجِ المسامِرُ [4]

الرِّتاج : الباب الكبير يكون عليه باب صغير أو هو الباب مطلقاً .

المسامر : المسامير .

وذكر طرفة المبرد في شعره حيث يقول :

وجُمجُمَـةٌ مثـلُ العَـلاَةِ كأنَّما وَعَى المُلْتَقَى منهاإلى حَرْفِ مِبْرَدِ [5]

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-552 عن بلوغ الأرب 3-396 وما بعدها .

(2) المصدر السابق 7-552 عن المعرب ص ـ288

(3) اللسان 10-299

(4) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ209 ـ مكتبة ـ صادر ـ تحقيق . د . ناصر الدين الأسد ـ الطبعة الثانية ـ 1967

(5) معلقة طرفة ـ البيت ـ29 ـ الأنباري ـ هارون

الجمجمة : الناقة . العلاة : السندان التي يضرب عليها الحداد حديده . كأنما وعى : اجتمع وجبر فالتقى . ملتئم كالتئام المبرد .

وذكر المثقب العبدي المطرقة في شعره حيث يقول :

فَسَلِّ الهمَّ عَنْكَ بِذاتِ لَوْثٍ عُذافِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ القُيُونِ[1]

وذكر عبدة بن الطبيب الأزميل حيث يقول :

عَيْهَمَةٌ يَنْتَحِي في الأرض مَنْسِمُهَا كما انتحَى في أديمِ الصَّرْفِ إزْميلُ[2]

وقد صنع النجار من الخشب أشياء مختلفة ، منها تقوية الجدر ، استخدم العرب الجاهليون القوي الصلد منه ، ولا تزال آثاره باقية ظاهرة فيما تبقّى من أبنية الجاهليين وبعضه قوي لم يعث به الزمن فساداً ، ولم يفنه ، كما استخدم في صنع السقوف والأبواب وفي تقوية السلالم ، وفي صنع الشبابيك وأمثال ذلك من الأعمال التي تدخل في صلب البناء ، وتكون جزءاً منه[3] .

وقد ورد ذكر السقف في القرآن الكريم في مواضع عدّة منها : « فخرَّ عليهم السقف من فوقهم »[4] . وورد ذكر السلالم بقوله تعالى : « أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين »[5] . وكذلك : « فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء »[6] . وهذا يدلنا على أن هذه

---

(1) المفضليات ص ـ290 ـ شاكر وهارون ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الخامسة
(2) المفضليات ص ـ138
(3) المفصل . د . جواد علي7-548
(4) سورة النحل الآية ـ26
(5) سورة الطور الآية ـ38
(6) سورة الأنعام الآية ـ35

الأشياء لا شك كانت معروفة عند العرب في العصر الجاهلي .

واستخدم الخشب في صنع أثاث البيت وفي كثير من الأدوات المستخدمة في حياة الانسان . وقد عثر على بعض مصنوعات من الخشب استخدمت أثاثاً . وقد ورد ذكر الأثاث في القرآن الكريم : « وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً وَرِئْيًا »[1] . وكذلك « ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً »[2] .

وقد ذكر في القرآن الكريم أسماء بعض أنواع الأثاث ، مثل الأرائك : « هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون »[3] . وقد ورد ذكرها أيضاً في آيات أخرى .

وقد ورد ذكرها أيضاً في شعر الأعشى حيث يقول :

بَيْنَ الرِّواقِ وجانبٍ من سَيْرِها   مِنها وبَيْنَ أرائِكِ الأنْضَاد[4]

وورد ذكر السرر (جمع سرير) في مواضع عدة من القرآن الكريم منها : « ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون »[5] وورد ذكر الكرسي أيضاً بقوله تعالى : « ولقدفتنّا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب »[6] . والمقصود بالكرسي ، الكراسي الكبيرة المرتفعة .

---

(1) سورة مريم الآية ـ74

(2) سورة النحل الآية ـ80

(3) سورة يس الآية ـ56

(4) ديوان الأعشى ص ـ50 . المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

(5) سورة الزخرف الآية ـ34

(6) سورة (ص) الآية ـ34

وتصنع المشاجب من الأعواد المركبة توضع عليها الثياب . وقد ورد ذكرها في شعر النابغة الذبياني حيث يقول :

؟تحيِّيهُــــمُ بِيضُ الولائِــــدِ بينَهُمْ   وأكْسِيَةُ الإضريجِ فوْقَ المشــاجِبِ [1]

والعرش من الألفاظ الواردة في عدة مواضع من القرآن الكريم منها : « ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجّداً » [2] وهو من البيت سقفه ، ويجمع على عروش ، والعرش شبه الهودج أيضاً . وقد يصنع من الخشب ، يقوم بصنعه النجار ، وقد يكون من حجارة أو غير ذلك . ومن ذلك العرش الذي يتربع عليه الملوك ، والعرش : الخيمة من خشب وثمام ، والتابوت أيضاً أي سرير الموت . والعرش هو السرير الذي ينام عليه [3] .

وقام النجار بصنع أواني الطعام أيضاً ، ولا سيما الأواني الكبار التي تستعمل في إطعام عدد من الناس في المناسبات ، وتدخل بيوت الملوك وسادات القبائل والأغنياء الكرماء في الغالب وفي بعض الظروف والمناسبات ، مثل المآتم والأفراح . ومنها الجفنة ، وهي كما يقول بعض علماء اللغة ، أعظم ما يكون من القصاع [4] وقد ورد ذكر الجفنة أو الجفان عند كثير من الشعراء الجاهليين . قال لبيد :

وَصَبّـــاً غَدَاةَ مُقامَةَ وزَّعْتُها   بِجِفـــانِ شيزى ، فَوْقَهُـــنَّ سَنَامُ

الشيز : خشب أسود تتخذ منه الأمشاط ، والشيزى : شجر تعمل منه

(1) ديوان النابغة ص ـ47 دار المعارف .
(2) سورة يوسف الآية ـ100
(3) المفصل . د . جواد علي7-549 عن المفردات ص ـ332 وتاج العروس4-321
(4) اللسان13 -89

القصاع . قال أبو عمرو : الشيزى يقال له الآبنوس »[1] .

وقال الحطيئة :

يا جفنــةً تركَ ابــنُ هَوْذَةَ خَلْفَهُ مَلأى لِصُحْبَتِهِ كَحَـوْضِ المُقْتَرِي[2]

وقال المرقش الأكبر :

عِظَـامُ الجِفَـانِ بالعَشِيَّاتِ والضُّحى مَشَـاييطُ للأبْــدَانِ غيرُ التَّوارِفِ[3]

وورد ذكر الجفان في القـرآن الـكريم بقولـه تعالـى : « يعملـون له (لسليمان) ما يشاء من محاريب وتمـاثيل وجفـان كالجـواب (الحـوض الكبير) . . »[4] .

« وقام النجار ، ولا سيما من تخصص بالقداحة منهم ، بعمل القدح النضار ، وهو القدح المعمول من النضار . والنضـار خشـب معـروف في الحجاز في أيام الرسول يكون بغور الحجاز ، يعمل منه ما رقّ واتسع وغلظ من الأقداح ، وذلك لتحمل هذا الخشب ما لا تتحمله الأنواع الأخرى من الخشب المستخرج من الحجاز . وقد كانـوا يدفنـون هذا الخشـب حتـى ينضر ، ثم يعمل فيكون أمكن لعامله في ترقيقه . وقد كان عند الرسول قدح نضـار عريض . ويعبّـر أيضـاً عن الأقــداح المنحوتــة من الخشــب بـ (الخشيب) »[5] .

وصنع النجـار (الميتـدة) ، وهـي مطرقـة من خشـب ، يستعملهـا

(1) اللسان 5-363

(2) ديوان الحطيئة ص ـ127 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

(3) المفضليات ص ـ233

(4) سورة سبأ . الآية ـ13

(5) المفصل . د . جواد علي 7-550 عن تاج العروس 1-233 و3-571

الأعرابي بصورة خاصة لدقّ أوتاد الخيمة في الأرض . وصنع النجار أبواب البيوت ، ويقال للخشبة التي تدور فيها رجل الباب (النجران) ، ويقال لأنف الباب الرتاج [1] . وقد ورد ذكر الرتاج في شعر قيس بن الخطيم حيث يقول :

فلا تجْعَلوا حَرْبَاتِكُم في نُحُورِكُم كما شَدّ ألواحَ الرِّتَاجِ المَسَامِرُ [2]

وصنع النجار صناديق من خشب ، لخزن الأشياء فيها ، وقد عني بزخرفتها بتلوينها أو بالحفر على أوجهها . وفي جملة مصنوعات النجار (الحدوج) ، مركب من مراكب النساء يشبه المحفة ، تركبه نساء الأعراب على الإبل . وصنع النجار الأقتاد وهي خشب الرحل وقد ورد ذكرها في شعر عبيد بن الأبرص حيث يقول :

وكأنّ أقْتادِي تَضَمَّنَ نِسْعَها مِنْ وَحْشِ أوْرَالٍ هَبِيطٌ مُفْرَدُ [3]

وهناك نجارون تخصصوا بصنع القوارب والسفن ، لاستعمالها في صيد السمك وفي البحار والأنهار للتجارة البحرية والنقل ، ومن المفروض أن تكون هذه الصناعة انتشرت في السواحل البحرية لشبه الجزيرة العربية أما في الداخل فلا يمكن أن تكون منتشرة لعدم توفر وجود الأنهار الصالحة للملاحة البحرية . وربما تكون انتشرت في العراق لوجود نهري دجلة والفرات حيث يمكن استخدام القوارب الصغيرة . ويقول غوستاف لوبون : « وسبق أن توطنت قبائل من عرب اليمن تلك البقاع وأنشأت سنة / 195 / م في جنوبها وعلى ضفتي الفرات وبالقرب من المكان الذي أقيمت عليه مدينة

---

(1) نفس المصدر جواد علي 7-551

(2) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ209 ـ مكتبة صادر. تحقيق د. ناصر الدين الأسد الطبعة الثانية ـ1967

(3) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ43 . تحقيق . د . حسين نصار القاهرة ـ1957

الكوّفة فيما بعد ، مدينة الحيرة الشهيرة التي انقلب ملوكها العرب ينافسون أكاسرة الفرس وقياصرة الروم في الترف والعظمة ، وكانت قصور الحيرة مؤثثة بأثمن الأثاث وكانت حدائقها مستورة بأعزّ الأزهار ، وكانت قواربها الأنيقة ساطعة الأنوار تشق الفرات ليلاً حاملة أغنى الأمراء وأمهر الموسيقيين »[1] .

ويظهر من روايات أهل الأخبار أن أهل مكة والمدينة لم يكونوا على حظ كبير في النجارة ، ولذلك كانوا يستعينون بالرقيق وبالأجانب في أعمال نجارتهم كاليهود أو الروم . وفي الذي رووه عن تسقيف الكعبة في أيام الرسول وقبل نزول الوحي عليه ما يدل على ندرة النجارين في مكة في تلك الأيام ، ويعلل أهل الأخبار ذلك بسبب أنفة العربي من الاشتغال بالحرف ، فاعتمد على الأجانب وأغلبهم من الرقيق في أداء هذه الحرفة[2] . وقد يكون هذا الوضع سائداً في بادىء الأمر ، ويبدو أن بعض العرب في العصر الجاهلي قد تعلّموا ومارسوا صنعة النجارة وهذا ما نتبينه من بعض المصادر ، فقد ورد في اللسان : « فإنّ أكثر ما يروى عن عروة بن الزبير ، وكان هو يقطع السدر ويتخذ منه أبواباً »[3] . وجاء في المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام : « وكان عتبة بن أبي وقاص أخو سعد نجاراً »[4] . وإذا كان بعض الأشراف قد مارس حرفة النجارة كما ذكرنا آنفاً فلا بدّ أن يكون هناك من عامة القوم من كان يشتغل بها .

---

(1) حضارة العرب ـ غوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر ـ دار احياء التراث العربي ـ الطبعة الثالثة ـ 1979

(2) المفصل . د . جواد علي 7-547

(3) اللسان 4-355

(4) المفصل . د . جواد علي 4-125 والمعارف لابن قتيبة ص ـ 575

والخشب الذي هو مادة النجارة نوعان: **أ ـ نوع مستورد من الخارج**.
إما من الهند وإما من إفريقية ، وهو النوع الجيد الصلب القوي المقاوم ، وهو ثمين غال . لهذا استعمل في صنع الأثاث الفاخر الثمين وفي الأدوات التي تحتاج إلى خشب صلب مقاوم وفي المعابد والقصور وفي الأبنية المهمة ، ومن أهم أنواعه الساج والآبنوس والصندل .

ب ـ نوع محلي

ونوع هو من حاصل أرض جزيرة العرب وناتجها . وهو دون الخشب الأول المستورد في المقاومة والجودة ، وفي الاستفادة منه في أعمال النجارة ، لأن معظمه ليس من النوع الناضج الغليظ الصلد القوي ، لا يصلح إلا للأعمال النجارية الاعتيادية وللوقود ، ما خلا أنواعاً قليلة استخرجت من بعض الأماكن مثل (النضار) وهو خشب غليظ بعض الشيء ينبت شجره في غور الحجاز » . وكانت تصنع منه بصورة خاصة الأقداح . وكان هذا الخشب معروفاً في الحجاز في أيام الرسول ، يعمل منه ما رق واتسع وغلظ من الأقداح ، وذلك لتحمل هذا الخشب ما لا تتحمله الأنواع الأخرى من الخشب المستخرج من الحجاز ، وقد كانوا يدفنون هذا الخشب حتى ينضر ، ثم يعمل فيكون أمكن لعامله في ترقيقه ، وقد كان عند الرسول قدح نضار عريض[1] .

(والسدر) من الأشجار المعروفة في كل مكان من جزيرة العرب . ورد ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى : « ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وشيءٍ مِنْ سِدْرٍ قليلٍ »[2] و « في سدر مخضود »[3]

---

(1) المفصل . د . جواد علي7-548 و550

(2) سورة سبأ الآية ـ16

(3) سورة الواقعة الآية ـ28

واستعمل ورقه في مقام الصابون ، كما استفيد من ثمره ومن أغصانه وأخشابه . وهو يتحمل الصبر على العطش لعمق جذوره في باطن الأرض ، وبذلك لاءم جوّ جزيرة العرب هذا النوع من الشجر . وقد استعمل مظلة يجلسون تحتها في أيام الحر الشديد ومجلساً يجلسون فيه(1) . والسدر من العضاه ، هو لونان ، فمنه عبري ومنه ضال . فأما العبري ، فما لا شوك فيه إلاّ ما لا يضير . وأما الضال فهو ذو شوك . وأجود نَبْق يعلم بأرض العرب نبق هجر في بقعة واحدة يسمى للسلطان(2) .

واستعمل الخشب من شجر الجوز، والجوز معروف بأرض العرب ، ويربّى باليمن . وبالسروات (أعالي الجبال) شجر جوز لا يربى نبت على الطبيعة . وخشبه موصوف بالصلابة والقوة(3) . وقد أشار النابغة الجعدي الى صلابته حيث يقول :

لُطِمْنَ بِتُرْسٍ شديدِ الصِّفاق ... من خَشَبِ الجَوْزِ لم يُثْقَبِ(4)

وقد زعموا أن ألواح الخشب التي صنعت منها سفينة نوح كانت من خشب الجوز ، وفي ذلك يقول النابغة الجعدي أيضاً :

يرفَعُ بالقارِ والحديدِ من ... الجَوْزِ طِوالاً جُذوعُها عُمُما
نُودِيَ قُمْ واركَبَنْ بأهلكَ ... إنَّ اللهَ موفٍ للناس ما زَعَما(5)

(1) المفصل . د . جواد علي 7-75
(2) اللسان 4-354
(3) المفصل . د . جواد علي 7-76
(4) ديوان النابغة الجعدي ص ـ22 ـ المكتب الاسلامي بدمشق ـ1964
(5) المصدر السابق ص ـ136

وشجر التألب ، وينبت بجبال اليمن[1] . وقد ورد ذكره في شعر ساعدة بن جؤية حيث يقول :

فَأَزَالَ نَاصِحَهَا بأبيضَ مُفْرَطٍ مِنْ ماءِ أَلْهَابِ عليه التَّأْلَبُ[2]

وشجر الشوحط ، ضرب من شجر الجبال ، يكثر وجوده في جبال السراة ، وتصنع منه القسيّ أيضاً[3] . وقد ورد ذكره في شعر الكثيرين من الشعراء الجاهليين . قال تميم بن مقبل العامري :

وَعاتِقٍ شَوْحَطٍ صُمٌّ مقاطعها مكْسُوَّةٍ منْ خِيَارِ الوَشْيِ تَلْوِينَا[4]

وقال عبيد بن الأبرص :

والعَنَاجِيجُ كالقِدَاحِ مِنَ الشَّوْ حَطِ يَحْمِلْنَ شِكَّةَ الأبْطَالِ[5]

العناجيج : الطوال الأعناق . القداح : السهام شبهها بها لضمرها .

وقال الأعشى :

وَجِيَاداً كَأَنَّهَا قُضُبُ الشَّوْ حَطِ تَعْدُو بِشِكَّةِ الأبْطَالِ[6]

« قال أبو حنيفة : أخبرني العالم بالشوحط أن نباته نبات الأرز ، قضبان تسمو كثيرة من أصل واحد »[7] .

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-79
(2) ديوان الهذليين 1-182 ـ الدار القومية ـ القاهرة ـ 1965
(3) المفصل . د . جواد علي 7-79
(4) جمهرة أشعار العرب ص ـ308 ـ دار صادر
(5) ديوان عبيد بن الأبرص . ص ـ109 . تحقيق . د . حسين نصار ـ القاهرة ـ 1957
(6) ديوان الأعشى ص ـ167 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .
(7) اللسان 7-328

وشجر النبع من أشجار الجبال ، أصفر العود رزينه ثقيله في اليد ، وإذا تقادم احمر . « قال : وكل القسيّ إذا ضمت الى قوس النبع كَرَمَتْها قوس النبع لأنها أجمع القسي للشدة واللين ، ومن أغصانه تتخذ السهام ، قال دريد بن الصمّة :

وَأَصْفَـــرَ من قِدَاحِ النَّبْـــعِ فَرْعٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ بِهِ عَلَمَـــانِ من عَقَـــبٍ وَضَرْسِ

يقول أنه بُري من فرع الغصن ليس بفلق . المبرد : النبع والشوحط والشَّريان شجرة واحدة »[1]

قال ثعلبة بن عمرو العبدي :

(وَصَفْـــرَاءُ مِنْ نَبْـــعٍ سِلاَحٌ أُعِدُّها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وأبيضُ قَصَّـالُ الضَّرِيبَـــةِ جَائِفُ[2]

« وهناك شجر القرظ ، وهو شجر عظام لها سوق غلاظ ، أمثال شجر الجوز . والعرعر شجر عظيم جبلي لا يزال أخضر يسميه البعض (السرو) ، وقيل (الساسم) وقيل (الشيزي) التي يصنع منها الجفان الكبيرة . وشجر الدلب وهو شجر عظيم ، والتنضب ، شجر ضخام ليس له ورق ، وهو يسوق ويخرج له خشب ضخام وأفنان كثيرة . والأيدع شجر يشبه الدلب . والطلح شجر عظيم حجازي لها ساق عظيمة لا تلتقي عليها يدا الرجل . والغرب شجر يسوّى منه الأقداح البيض . والشوع شجر البان ، والقتاد شجر ضخم ينبت بنجد وتهامة[3] . والأشكل ، السدر الجبلي ، وهو صلب جداً . وهناك أشجار القان والنسم والتي ذكرت في شعر

---

(1) اللسان 8-345

(2) المفضليات ص ـ282 ـ شاكر وهارون ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الخامسة .

(3) المفصل . د . جواد علي 7-80 وما بعدها .

ساعدة بن جؤية حيث يقول :

يَأوِي الـــى مُشْمَخِــرَّاتٍ مُصَعَّدَةٍ   شُمٌّ بِهِـــنَّ فُرُوعُ القَـــانِ والنَّشَمِ

وقيل إن القان ينبت في جبال تهامة »[1] .

يبدو لنا مما تقدم أن الكثير من أنواع الأشجار كانت متوفرة في شبه الجزيرة العربية ، وفي مناطق مختلفة ، والشجرة هي المصدر الأساسي للخشب ، لذلك فان وفرة وجود الأشجار ساعدت بدون شك النجارين على تأمين الخشب اللازم لصنع ما يحتاجونه من أشياء . وعند الحاجة كانوا يستوردون ما يلزمهم من الأنواع الجيدة من أخشاب الهند وإفريقية وغيرها .

---

(1) ديوان الهذليين 1-194 .



الفصل الثاني

صناعة النسيج والحياكة والألبسة :

يبدو أن صناعة النسيج والحياكة والألبسة كانت معروفة منذ العهود السحيقة في القدم ، فقد كان المصريون يتعاطونها قبل دخول بني إسرائيل إلى بلادهم إذ ورد في الكتاب المقدس : « ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بزٍّ وجعل طوقاً من ذهب في عنقه »[1] .

وقال ابن خلدون : « صناعة الحياكة والخياطة ، هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج اليه البشر من الرّفه ، فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداءً في الطول وإلحاماً في العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد فيتم منها قِطَعٌ مُقَدَّرةٌ . . ثم تُلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة . . وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة . . ينسبها العامة إلى إدريس عليه السلام ، وهو أقدم الأنبياء »[2] .

ولا أدري لماذا ذكر ابن خلدون الغزل من الصوف والكتان والقطن ، ولم يذكر شعر الماعز ووبر الجمال والحرير ، فهل غاب ذلك عن ذهنه ؟ أو ربما تركه لأمر في نفسه ؟

---

(1) سفر التكوين 41-42

(2) مقدمة ابن خلدون ص ـ411 . الطبعة الرابعة ـ دار احياء التراث العربي .

وقد ورد في القرآن الكريم : « ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين »[1] . وهذا ما يجعلنا نستنتج أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يصنعون من الأصواف والأوبار والأشعار أثاثاً من ملابس وبسط وسجاجيد وغيره .

دور العبرانيين والمصريين

ويبدو أن العبرانيين عند خروجهم من مصر كانوا قد تعلموا من المصريين صناعة النسيج والحياكة إذ ورد في الكتاب المقدس : « وملأ قلوبهما حكمة ليصنعا كل صنعة نجّار ونسّاج حاذق ومطرِّز في السمنجوني والأرجواني وصبغ القرمز والبزّ وكل صنعة حائك »[2] . وورد في مكان آخر من الكتاب المقدس : « وبنو شيلَة بن يهوذا عيرُ أبو لِيكَةَ ولعدةُ أبو مريشة وعشائرُ بيتِ عامِلِي البَزِّ من بيت أشبيع »[3] .

كما ورد في مكان آخر : « ومن الفلسطينيين من حمل إلى يوشافاط هدايا وجزية وفضة وكذلك العرب ساقت إليه من الشاء سبعة آلاف وسبعمائة كبش ، وسبعة آلاف وسبعمائة تيس »[4] من هذا يبدو أن علاقة العبرانيين كانت مع العرب علاقة حسنة ، وهذه العلاقة لا بدّ أن ينتج عنها عملية تأثر وتأثير .

وكانت هذه الصناعة ، صناعة النسيج والحياكة من عمل الرجال أصلاً

---

(1) سورة النحل الآية 80 .

(2) سفر الخروج 35-35

(3) سفر أخبار الأيام الأول 4-21

(4) الكتاب المقدس سفر أخبار الأيام الثاني 17 -11

كما يقول هيرودتس ، ولكن لا حصراً ، وظهرت النساء عند النول في النقوش المصرية القديمة . [1]

ويبدو أن النساء عند العبرانيين قد مارسن أيضاً أعمال الغزل والحياكة ، وكانت المرأة تمدح لأجل إتقان النسج ، اذ ورد في الكتاب المقدس : « تأتيه بالخير دون الشر جميع أيام حياتها . تلقي يديها على المِكَبِّ وأناملها تمسك المغزل . . تصنع لنفسها أغطية موشاة ولباسها البزُّ والأرجوان . . تصنع أقمصة وتبيعها وتعرض مناطق على الكنعاني »[2] .

ويبدو أن المرأة العربية في العصر الجاهلي قامت بغزل الصوف والوبر ونسجه ، وصنع الخيام منها ، سواء أكانت من سيدات القوم أو من أواسطهم أو من أفقرهم . وكان الغزل يعتبر مسلاة المرأة ، وأداة لهوها ، ومن أمثال العرب : « نعم لهو الحرة المغزل » و « لا تعدم صناع ثلة » أي الصوف والشعر والوبر »[3] . وقد ذكر الشعراء هذه الحرفة . قال جندل بن المثنى الحارثي يصف سراباً :

كأنه بالصَّحصَحَانِ الأنجلِ قَطْنٌ سُخامٌ بأيادي غُزَّلِ[4]

ولكن صناعة النسيج لم تبق منزلية في المجتمعات العربية المتحضّرة . « إذ يظهر من نصوص المسند أن الملوك كانوا قد أسسوا دوراً للنسيج ، يباع ما تنتجه في الأسواق ، وقد اشتهرت اليمن بأنسجتها

(1) قاموس الكتاب المقدس ص ـ556 الطبعة الثانية .
(2) سفر الأمثال31 -13 -19 -22 -24
(3) المرأة في التاريخ العربي قبل الاسلام . د . ليلى صباغ . ص ـ71 . عن بلوغ الأرب1 - 310 واللسان8 -210
(4) اللسان11 -491

المختلفة المتعددة ، فكانت دور النسيج من جملة الموارد التي تأتي بالمال الى أولئك الملوك »[1] .

« وقد أصدرت اليمن أنواعاً عديدة من الأقمشة والثياب الى مختلف أنحاء جزيرة العرب اكتسبت شهرة بعيدة في كل مكان ، لجودة صنعها ونفاسة مادتها »[2]

وورد في معجم البلدان : « وافتخر ، ابراهيم بن مخرمة يوماً بين يدي السفاح ، باليمن ، وكان خالد بن صفوان حاضراً ، فلما أطال عليه ، قال خالد بن صفوان : وبعد فما منكم إلاّ دابغ جلد أو ناسج برد أو سائس قرد أو راكب عَرْد (ذكر الانسان) ، دلّ عليكم هدهد ، وغرّقتكم جرذ ، وملكتكم أمٌّ ولد ، فسكت وكأنه أُلْجِمَهُ »[3] .

وقال الدكتور عبد العزيز سالم : « ومن الصناعات الهامة في اليمن صناعة المنسوجات وأشهرها الحلل اليمانية والثياب السعيدية بصنعاء والعدنية ، . . واختصت سحولا والجريب بالبرود والشروب أو الشرب هي منسوجات رقيقة تصنع من الكتان ويدخل في لحمتها خيوط الذهب » .[4] .

« وكتابة (صرواح) ـ عاصمة سبأ ـ المسماة بـGlaser, 1000, B هي من أخطر الوثائق التأريخية القديمة التي تتعلق بأخبار (سبأ) وبأعمال هذا المكرب الملك ، دَوَّنَ فيها (كرب ايل وتر) كل ما قام به من أعمال حربية

---

(1) المفصل . د . جواد علي 5 -261
(2) المفصل . د . جواد علي 7 -524
(3) معجم البلدان ـ لياقوت ص 5 -448 دار صادر
(4) تاريخ العرب في العصر الجاهلي . د . عبد العزيز سالم ص ـ120 دار النهضة 1970

وغير حربية . ثم عاد (كرب ايل) فتحدث عن عداء أهل (كحد سوطم) لسبأ وعن معارضتهم له ، فقال : إنه أمر جيشه بالهجوم عليهم ، فأنزل بهم هزيمة منكرة وخسائر جسيمة ، فسقط منهم خمس مئة قتيل في معركة واحدة ، وأخذ منهم ألف طفل أسير وألفي حائك ما عدا الغنائم العظيمة »[1] . وإن ذكر « ألفي حائك » هو ذو دلالة واضحة على وفرة المشتغلين بالحياكة إذ يدفعنا لأن نتصور وكأن الغالبية العظمى من الناس كانت تشتغل بهذه الحرفة .

هذا وقد اختصت عدن بصناعة الشروب أو الشرب التي تفضل على القصب ، واختصت المهجرة بصناعة المسد الذي يسمى ليفاً[2] .

وقد اشتهرت عدن بصنع البرود ، كذلك قطر وهجر ، والمعافر وصحار[3] . « ومن الصناعات التي ازدهرت في عدة أماكن من منطقة (حمير) هي صناعة النسيج والثياب وأهمها البرود التي كانت تنتجها بكثرة وتصدرها الى البلاد الأخرى ، وظلت اليمن محتفظة بمكانتها كأكبر مصدر للبرود الغالية حتى القرن الرابع الهجري ، وقد ذكرت المصادر أنواعاً كثيرة من البرود اليمنية وكل منها تقريباً منسوب إلى بقعة أو مكان في هذه المنطقة أو إلى قبيلة من القبائل التي تسكنها مما يدل على أن هذه المنطقة هي الرئيسية في انتاج البرود ، أهمها : المعافرية : نسبة الى مدينة وقبيلة . السحولية : مدينة وقبيلة . الجيشانية : مدينة وقبيلة . السديرية : موضع

---

(1) المفصل . د . جواد علي 2-292 الفقرة ـ13 من النص .

(2) تاريخ العرب في العصر الجاهلي . د . عبد العزيز سالم ص / 120 دار النهضة ـ1970 عن المقدسي ص ـ98

(3) المفصل . د . جواد علي 7-526

في أراضي كندة . وقد اشتهروا بتحبيره ووشيه وتلوينه »[1] .

« . . وكانت (نجران) مدينة خصبة وكانت عامرة بالسكان ، تزرع وتصنع الأنسجة الحريرية وتتاجر في الجلود وفي صنع الأسلحة . وكان إحدى المدن التي تصنع الحُلل اليمانية التي تَغَنَّى بها الشعراء »[2] .

ويبدو أن (نجران) كانت مركزاً مهماً لصناعة الأنسجة ، وبخاصة البرود النجرانية حيث كان انتاجها واسعاً بدليل أن النبي (ص) ، صالح أهل نجران على أَلْفَيْ حُلَّة تدفع على مرحلتين .[3] « وقد بلغت الصناعات درجة كبيرة من الحذق والاتقان في (الحيرة) ، ومن أهم صناعات الحيرة صناعة النسيج ، وخاصة نسج الحرير والكتان والصوف ، وكان قصر الخورنق يضم عدداً من القين والنساج وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

إذ لا ترجى سليمى أن يكون لها　　من بالخورنق من قين ونساج[4]

وبالنسبة الى الحرير فقد كان لهذه السلعة شأن خاص إذ يبدو أنها في معظمها مستوردة من الخارج فقد ورد في كتاب تاريخ الاسلام : « . . وكذا المنسوجات الحريرية والجلود والأسلحة والمعادن النفيسة التي يرد كثير منها الى موانىء بلاد اليمن من الهند والصين وغيرهما (قد نتفق معه بالنسبة إلى الحرير وربما اختلفنا معه بالنسبة الى المواد الأخرى) . وتحمل عير قريش من أسواق بصرى ودمشق القمح والمصنوعات وزيت الزيتون

---

(1) أهل اليمن في صدر الاسلام . د . نزار عبد اللطيف الحديثي ص ـ42 المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت

(2) فجر الاسلام . أحمد أمين 1969 ـ دار الكتاب

(3) أهل اليمن في صدر الاسلام . د . الحديثي ص ـ50 عن الوثائق السياسية ص ـ111

(4) تاريخ العرب في العصر الجاهلي . د . عبد العزيز سالم ـ دار النهضة ـ1970 .

والحبوب والخشب والقزّ ، ومن مصر المنسوجات المعروفة بالقباطي »(1) .

ويقول الدكتور حتّي : « وإلى هذه البلاد ـ جنوب الجزيرة العربية ـ ترد الحاصلات الغالية فكان يرد الأفاوية والأنسجة والسيوف من الهند والحرير من الصين وريش النعام من الحبشة »(2) .

ويبدو أنه كان هناك منافسة شديدة بين البيزنطيين والفرس على تجارة هذه المادة المستوردة من الصين إلى جزيرة سيلان ومنها إلى شبه الجزيرة العربية(3) .

ولم يبال رجال مكة من الاشتغال بالصناعات فقد اشتغل قوم منهم بالبزازة ، واشتغل بعض منهم بالخياطة ، فكان العوّام أبو الزبير خياطاً . . . وكان عثمان بن أبي طلحة الذي دفع اليه رسول الله (ص) ، مفتاح البيت خياطاً ، وكان قيس بن مخرمة خياطاً(4) . ويضيف ابن قتيبة الى هؤلاء : « وكان أبو بكر الصديق بزازاً وكذلك عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف . . وكان محمد بن سيرين بزازاً »(5) .

وصناعة النسيج والحياكة عند العرب في العصر الجاهلي لم تكن مقتصرة على حياكة ونسج الألبسة والثياب والستائر بل تعدتها إلى البسط والسجاجيد ، « وقد اشتهرت صناعة البسط في جزيرة العرب وهناك أنواع عديدة منها ، تنسب إلى مواضع متعددة ، وهي تصنع من الأصواف ومن

---

(1) تاريخ الاسلام . د . حسن ابراهين حسن 1-62 مكتبة النهضة المصرية . الطبعة السابعة .
(2) تاريخ العرب . د . فيليب حتى ورفاقه ص ـ81 ـ دار غندور ـ الطبعة الخامسة .
(3) المفصل د . جواد علي2-657
(4) المصدر السابق4-125
(5) المعارف ـ ابن قتيبة ص ـ575

شعر المعز ، ويشتغل بنسجها النساء والرجال . . وقد اشتهرت اليمن بكثرة المشتغلين من أهلها بالحياكة ، وعرفت بها بقية العربية الجنوبية . . وقد ورد في شعر ذي الرمة قوله يصف محلة :

كأن عليها سحق لفق تأنقت بها حضرميات الأكف الحوائك(1)

« ونجد برود اليمن وبسطهم وأكسيتهم مشهورة لها صيت في كل مكان ، لا يدانيه صيت أي صنف مما ينتج في مكان آخر من أمكنة جزيرة العرب »(2) .

وهناك نوع من البسط يقال له « عبقري » وفي الحديث : أنه كان يسجد على عبقري ، وهي هذه البسط التي فيها الأصباغ والنقوش . . وعبقر قرية باليمن »(3) .

والآن يجدر بنا أن نتعرف بالتفصيل إلى أي درجة توصل العرب في العصر الجاهلي ،أ ـ **في مجالات النسيج والحياكة والألبسة** :

1 ـ شعر الماعز :

يبدو أن الماعز أو المعز كان عند القدماء كما هو الآن من المواشي الكثيرة الوجود ، وقد أشرنا سابقاً إلى الهدية التي ساقها العرب إلى (يوشافاط) ، ومما يميزه عن الغنم الشعر عوضاً عن الصوف ، ويستعمل شعره للحياكة منذ القدم إذ ورد في الكتاب المقدس : « وسمنجوني وأرجوان وصبغ قرمز وبزٍّ وشعر معزى »(4) وورد أيضاً : « وكل ثوب ومتاع

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-528
(2) نفس المصدر 4-283
(3) اللسان 4-534 ـ دار صادر
(4) الكتاب المقدس ـ سفر الخروج 25-4

جلد وكل ما صنع من شعر المعز وكلُّ متاعٍ من خشب تطهرونه » (1) .

وقد ورد ذكر المعز في القرآن الكريم : « ثمانية أزواجٍ من الضأن اثنين ومن المعز اثنين » (2) .

وحينما يراد استعمال شعر الماعز ، يُعَدُّ إعداداً خاصاً ، إذ على الغزّال تنظيفه قبل غزله وذلك بنثره وتنظيفه من المواد الغريبة المختلطة به ، وقد يضرب بالعصا ، أو بآلة خاصة ، على نحو ما يفعله النداف في الوقت الحاضر ، لتلطيفه وجعله سهلاً للغزل . وقد يغسل بالماء ثم ينشف ثم ينظف . « وأهل الجاهلية كانوا يتبعون هذه الطريقة ، فكانوا ينظفون الشعر ، ويمشطونه بأمشاط خاصة لإخراج ما قد يعلق بها فيها من مواد غريبة ، ويعالجونها معالجة خاصة ، فاذا نُظِّفت وخلصت من الشوائب ، غزلت » (3)

وقد كانت مساكن البدو خياماً من شعر الماعز ووبر الإبل « بيوت شعر » (4) . وكانوا يصنعون أنسجة متنوعة على الأنوال ، فالأصناف الغليظة كنسيج الخيام وثياب الفقراء كانت تصنع من شعر المعزى ووبر الإبل (5) .

فشعر الماعز يستعمل غالباً لصنع الخيام ، وذلك للأعراب وللتجار والمسافرين وغيرهم . « والاتجار بالخيام ، من التجارات التي كانت رائجة يومئذ » (6) .

---

(1) نفس المصدر ـ سفر العدد 31-20
(2) سورة الانعام الآية ـ 143
(3) المفصل ـ د . جواد علي 7-596
(4) تاريخ العرب ـ د . فيليب حتي ورفاقه ـ دار غندور ـ طبعة جديدة . ص 52
(5) قاموس الكتاب المقدس ص-556
(6) المفصل ـ د . جواد علي 7-617

وقد ورد في كتاب أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، حينما كان يتحدث عن سوق دومة الجندل ، ما يلي : « وكانت كلب أكثر العرب قنّاً فكانوا يفتحون في هذه السوق حوانيت من شعر يجعلون فيها عبيدهم وإماءهم »[1] . ولم تقتصر الصناعة ، من شعر الماعز ، على صناعة الخيام والملابس فقط بل صنع منها أشياء أخرى ومنها الحبال .

2 ـ وبر الإبل :

الوَبَرُ ، صوف الإبل والأرانب ونحوها ، والجمع أوبار ، قال أبو منصور : وكذلك وبر السمّور والثعالب والفنك . . وفي الحديث : أَحَبُّ إليّ من أهل الوبر والمدر أي أهل البوادي والمدن والقرى، وهو من وبر الإبل لأن بيوتهم يتخذونها منه »[2] .

وقد ورد ذكر الوبر في القرآن الكريم : « ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً »[3] كما ورد فيه ذكر الناقة في عدة مواضع منها ؛ « فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم »[4] وورد ذكر الجمل بقوله تعالى : « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط »[5] وورد ذكر الإبل في موضعين اثنين . أولهما : « ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين »[6] وثانيهما « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت »[7] .

---

(1) أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ـ سعيد الأفغاني . ص ـ236 . دار الفكر ـ بيروت الطبعة الثالثة / 1974

(2) اللسان 5 -271

(3) سورة النحل الآية ـ80

(4) سورة الأعراف الآية ـ77

(5) سورة الأعراف ـ40

(6) سورة الأنعام ـ144

(7) سورة الغاشية ـ17

وقد يكون ذكر الإبل والجمل والناقة بهذه الكثرة في القرآن الكريم نظراً لأهميتها البالغة في المجتمع الجاهلي وفي صدر الاسلام . فالجمل دون ريب هو بالنسبة للبدوي أعظم الحيوانات نفعاً ولولاه لما كانت البادية صالحة للسكنى ، فالجمل هو الذي يغذي البدوي وهو أداة انتقاله ، وهو نقده ، وهو رفيقه يشرب لبنه بدل الماء ، ويجعل طعامه من لحمه ، وكساءه من جلده . ويحوك بعض أجزاء خيمته من وبره وكذلك بعض أنواع الملابس والبسط .

وقد ذُكر في كتاب تاريخ العرب : « ومساكن البدوي خيام من شعر الماعز ووبر الإبل « بيوت شعر » [1] .

وورد في الانجيل : « وكان لباس يوحنا من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه الجراد والعسل » [2] . وكانوا يصنعون أنسجة متنوعة على الأنوال فالأصناف الغليظة كنسج الخيام وثياب الفقراء كانت تصنع من شعر المعزى ووبر الإبل » [3] .

وقد صُنع أيضاً من الوبر أنواع من البسط وقد عرف البساط الضخم المنسوج من الوبر أو الصوف بـ (الأراخ) [4] . وتصنع أحسن العباءات من الوبر [5] . « ويحمي الجاهلي رأسه بألبسة واقية . . فستر رأسه بقطعة قماش مربعة الشكل في الغالب . . ويضع فوق هذه القطعة عقالاً ، يصنع من

---

(1) تاريخ العرب . د . فيليب حتي ورفاقه ص ـ52 ـ دار غندور ـ الطبعة الخامسة .
(2) الانجيل ـ القديس متى 3-4
(3) قاموس الكتاب المقدس ص ـ556
(4) المفصل د . جواد علي 7-597
(5) المصدر السابق 7-602

الصوف أو من شعر الماعز أو الوبر ، ليمسك قطعة القماش فلا تسقط . . أما عرب بلاد الشام ، فقد كانوا يضعون لباداً فوق رأسهم مصنوعاً من مادة مضغوطة من الصوف أو الوبر »[1] .

نستنتج مما تقدم أن صناعة غزل الأوبار وحياكتها معروفة منذ القدم ، وقد مارسها العرب في الجاهلية ونسجوا منها بعض أنواع الملابس والخيام والحبال (العقال) وأغطية الرأس (اللباد) والبسط والعباءات وغيرها .

3 ـ الصّوف :

« الصّوف للضأن وما أشبهه . قال ابن سيدة : الصوف للغنم كالشعر للمعز والوبر للإبل والجمع أصواف »[2] وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم : « ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين »[3] وكذلك في الكتاب المقدس : « يعطونني خبزي ومائي وصوفي وكتاني وزيتي وأشربتي »[4] وهذا يدل على أن الصوف كان معروفاً منذ عهود قديمة .

« والعهن هو الصوف المصبوغ ألواناً »[5] وقد ورد ذكره في القرآن الكريم : « وتكون الجبال كالعهن المنفوش »[6] وورد ذكره أيضاً على ألسنة الشعراء في العصر الجاهلي ، فقد قال زهير بن أبي سلمى :

كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ في كلِّ مَوْقِفٍ وَقَفْنَ به حَبُّ الفنا لم يُحَطَّم[7]

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-616 وما بعدها .
(2) اللسان 9-199
(3) سورة النحل الآية ـ80
(4) نبوءة هوشع 2-5
(5) اللسان 13-296
(6) سورة القارعة ـ5
(7) معلقة زهير البيت ـ12 شرح المعلقات ـ الأنباري ـ هارون ص ـ249

وجمع العهن ، العهون ، وأنشد أبو عبيد :

فَاضَ مِنْـهُ العُهـونِ من الرَّوْ ضِ وماضَـنَّ بالإِخَـاذِ غُدُرْ (1)

حينما يقرب موسم الحرّ عادة ، يعمد البدوي على جزّ صوف غنمه حرصاً على صحتها ليخفف عنها وطأة الحر وليستفيد من صوفها . « ويقال : هذه جِزَّةُ هذه الشاة أي صوفها المجزوز عنها ، والجِزَّة : صوف شاة في سنة . والجمع جزز وجَزائِزُ » (2) وقد ورد ذكرها في الشعر الجاهلي حيث قال الشمّاخ بن ضرار :

عَلَيْهـا الدُّجَـى المُسْتَنْشَـآتُ كَأنَّها هَوَادِجُ مَشْدُودةٌ عليهـا الجَزَائِـز (3)

وورد ذكرها في الكتاب المقدس : « ولم يباركني حَقْواهُ وقدِ استَدْفَأَ بـجِزَّةِ غنمي » (4)

وطريقة اعداد الصوف للغزل ، هي تقريباً نفس الطريقة التي سبق ذكرها حين تحدثنا عن طريقة إعداد شعر الماعز للغزل .

ويبدو أن الصوف كان كثير الاستعمال بين اليهود لصنع الثياب . وكان صوف دمشق مشهوراً في سوق صور (5) . ويبدو أن المرأة كانت تشترك بصناعة الصوف ، بل كان ذلك مفخرة لها ، إذ ورد في الكتاب المقدس حينما يتحدث عن المرأة الفاضلة : « تلتمس صوفاً وكتاناً وتعمل بحذق

---

(1) اللسان 13-296

(2) اللسان 5-320

(3) جمهرة أشعار العرب ص / 296 / دار صادر . الدجى : فترة الصائد . المستنشآت : المرفوعات .

(4) سفر أيوب 31 / 20 .

(5) قاموس الكتاب المقدس ص ـ562

كفَّيْها »[1] والدليل على أنهم قد استعملوا الصوف منذ القدم في صناعة الثياب ما ورد في الكتاب المقدس أيضاً : « إنكم تأكلون اللبن وتلبسون الصوف وتذبحون السمين ، والغنم لا ترعونها »[2] .

ولم يكن استعمال الصوف ، عند العرب في العصر الجاهلي ، مقصوراً على اللباس فحسب وإنما كان مادة مهمة في صنع البسط والسجاجيد . وأكثر صوف جزيرة العرب من النوع الخشن الذي يصلح لصنع السجاد . وتصنع منه الخيام كذلك . والمستعمل في صنع الخيام هو من شعر الماعز في الغالب . أما أصواف الأغنام . فتستعمل في الغزول والأنسجة اللطيفة التي تحتاج الى صوف ناعم ودقيق . وقد عرف البساط الضخم المنسوج من الوبر أو الصوف بـ (الأراخ) . ويقال للفسطاط (البلق)[3] .

وقد ورد في كتاب تاريخ العراق الاقتصادي : « وتعود صناعة البسط في العراق إلى العصر البابلي ، ولا تزال موجودة إلى الآن ، وقد ساعدت ظروف الحياة الرعوية بصورة خاصة على ظهور هذه الصناعة ، وكان الصوف أهم المواد في صناعة البسط والسجاد »[4] .

مما تقدم نستنتج أن الصوف كان معروفاً منذ العهود القديمة ، وقد عرفه العرب في العصر الجاهلي نظراً لتربيتهم الضأن في المناطق التي تتوفر فيها المراعي كجهات العراق واليمن وبلاد الشام وغيرها . وقد صنعوا من

---

(1) الكتاب المقدس ـ سفر الأمثال31 -13

(2) الكتاب المقدس ـ نبوءة حزقيال34 -3

(3) المفصل ـ جواد علي7 -597

(4) تاريخ العراق الاقتصادي ـ د . عبد العزيز الدوري ص ـ105 ـ الطبعة الثانية ـ دار المشرق .

الصوف بعض أنواع الملابس التي سنفصلها في باب الألبسة وصناعة الثياب ، وصنعوا منه بعض أجزاء الخيمة ، وبعض أنواع البسط والسجاجيد ، واشترك في صناعته المرأة والرجل .

4 ـ القطن :

القُطنُ : معروف ، واحدته قطنة . قال أبو حنيفة : القطن يعظم عندهم شجره حتى يكون مثل شجر المِشْمش ، ويبقى عشرين سنة ، وأجوده الحديثُ » . وقال لبيد :

شاقتْكَ ظُعْنُ الْحَيِّ يومَ تَحَمَّلوا فتكنَّسوا قُطُنا تَصِرُّ خِيامُها

أراد ثياب القطن[1] ويستدل من كلام أبي حنيفة على أنه نوع من الشجر ، يُعمِّر حوالي عقدين من السنين ، بينما الذي نعرفه شجيرة صغيرة ، عادة لا تعلو عن قامة الرجل . وعلى كل حال فهو نبات يُزرع فينمو ويغصّن ويورق ويزهر ، فيقطف زهره وهذا ما يستعمل في صناعة النسيج والحياكة . وقد ورد القطن في الشعر الجاهلي ، مما يدل على أنه كان معروفاً لديهم، قال :

وإن غَضِبَتْ خِلْتَ بالمِشْفَرَيْنِ سَبَائِخَ قُطْنٍ وَبُرْسا نسالا[2]

السبائخ يراد بها قطع القطن . والبرس : القطن . والنسال هو ما نسل . « والبِرْسُ أو البُرْسُ هو القطن . قال الشاعر :

تَرْمي اللُّغامَ على هاماتِها قَزَعاً كالبُرْسِ طَيَّرَهُ ضَرْبُ الكرابيلِ

---

(1) اللسان 13 -344

(2) جمهرة أشعار العرب ص ـ293 ـ دار صادر

والنبراس : المصباح ؛ قال ابن سيده رحمه الله تعالى ، وإنما قضينا بزيادة النون لأن بعضهم ذهب الى أن اشتقاقه من البرس الذي هو القطن ، إذ الفتيلة في الأغلب إنما تكون من قطن »[1] .

ويقال للقطن أيضاً : الطُّوطُ . فقد ورد في اللسان: « الطُّوط : القطن . قال : من الُمدمقس أو من فاخر الطوط[2] .

وقد ورد في شعر طرفة بن العبد قوله :

وبالسَّفْحِ آياتٌ، كأنَّ رُسومَها يَمانٍ ، وَشَتْهُ رَيدة وسَحولُ[3]

ويقول صاحب اللسان : سحل : قرية من قرى اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تسمي السحولية[4] .. ولماذا خصّ ثياب القطن البيض دون سواها من أنواع الأنسجة ، وكلمة بيض هل تدلّ على أن هناك ألوان أخرى للقطن ؟

وربما يدل كلام طرفة على أن المقصود نوع من البرود اليمنية قام بتوشيتها أهل قرية ريدة وقرية سحول . وإذا كان المقصود حقاً القطن ، فمعنى ذلك أن عملهم لم يكن مقتصراً على نسج القطن فحسب وإنما تجاوزه الي التوشّي .

ويقول صاحب كتاب تاريخ العراق الاقتصادي : وكان القطن وحتى الكتان يستعمل أحياناً في صناعة البسط »[5] .

---

(1) اللسان 6-25

(2) اللسان 7-346

(3) ديوان طرفة ـ ص ـ79 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت

(4) اللسان 11-331

(5) تاريخ العراق الاقتصادي . د . عبد العزيز الدوري ص ـ105 ـ الطبعة الثانية ـ دار المشرق

هذا « وقد ازدهرت صناعة غزل القطن ونسجه في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية في القرن السادس للميلاد . فصارت صناعة الغزل والنسيج من أهم الموارد التي يتعيش عليها عدد كبير من الشعب والتي تكون مورداً كبيراً من موارد الدولة . وقد كان للملوك مغازل ودور نسيج تعمل لحسابهم ولهم . وقد عرفت دور النسيج الملكية بـ (تعمت ملكن) ،[1] « وقد حُمل القطن من الهند ولم يكن معروفاً في الصين »[2] .

مما تقدم ، يجدر بنا القول أن القطن كان معروفاً في العصر الجاهلي وبأسماء متنوعة وقد صنعوا منه بعض أنواع الملابس التي سنفصلها في باب الثياب والألبسة . وربما عملوا على توشيتها ، وعملية الندف كانت معروفة لديهم بذكر (الكرابيل) وهي جمع كربال وهو مِنْدف القطن والذي سبق ذكره . وربما صنعوا فتيلة المصباح من القطن، وكذلك بعض أنواع أثاث المنزل كالبسط ونحوها ، وذلك في مناطق مختلفة من شبه جزيرة العرب .

5 ـ صناعة الحرير :

ذكر أن الحرير ثياب من الابريسم[3] . والابر يسم معرب . وقد ذكر في شعر ذي الرمة :

كأنَّما اعْتَمَّتْ ذُرَى الأجْبَالِ بالقَزِّ، والإبْرَيْسَم الهَلْهالِ[4]

وهذا ما يدلنا على أن الابريسم كان معروفاً عند العرب الجاهليين .

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-598

(2) الحضارة الاسلامية ـ آدم متز ـ محمد عبد الهادي أبو ريده 2-356 ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(3) اللسان 4-184 ـ دار صادر

(4) اللسان 12-47 ـ دار صادر

وورد في اللسان أيضاً أن « الديباج » ضرب من الثياب ، وفي الحديث ذكر الديباج ، وهي الثياب المتخذة من الابريسم ، فارسي معرب[1] » وعليه التقى الحرير والديباج عند الابريسم ، وربما يكون هو نفسه ؛ والسُّنْدُسُ : البُزْيُون . وفي الحديث : أن النبي (ص) ، بعث إلى عمر ، رضي الله عنه ، بجبة سندس ، قال المفسرون في السندس : إنه رقيق الديباج ورفيعه ، وفي تفسير الإستبرق : أنه غليظ الديباج ولم يختلفوا فيه »[2] . وقد ورد ذكر السندس والاستبرق في القرآن الكريم أكثر من مرة ، منها « يلبسون من سندس واستبرق متقابلين »[3] وقد ورد في اللسان « الدِّمَقْسُ : الابريسم وقيل القز . أبو عبيدة من الكتان . غيره : الدمقس الديباج ، ويقال هو الحرير ، ويقال الإِبْرَيْسَمُ[4] . وورد أيضاً في اللسان : « السَّرَقُ ؛ شقاق الحرير ، وقيل : أجوده واحدته سَرَقَة »[5] وقد ورد ذكر الديباج في شعر الأعشى حيث يقول :

وكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيباجِ يَلْبَسُهُ ... أبُو قُدامَةَ مَحْبُواً بِذاكَ معا[6]

وورد ذكر الدمقس في شعر امرىء القيس حيث يقول :

فظَلَّ العذارى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها ... وشَحْمٍ كهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفْتَلِ[7]

وورد ذكر السندس في شعر يزيد بن الخذاق الشني بقوله :

وَداوَيْتُها حتّى شَتَتْ حَبَشِيَّةً ... كأنَّ عليها سُنْدُساً وَسَدُوسَا[8]

---

(1) اللسان 2/262 ـ دار صادر
(2) اللسان 6-107 ـ دار صادر
(3) سورة الدخان الآية ـ 53
(4) اللسان 6-88 ـ دار صادر
(5) اللسان 10-156 ـ دار صادر
(6) ديوان الأعشى ص ـ108 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .
(7) ديوان امرىء القيس ص ـ146 ـ حسن السندوبي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر .
(8) المفضليات ص ـ297 .

وقـد ورد في اللسـان : « القَـزُّ : من الثياب والإبريسـم ، أعجمـي معرب ، وجمعه قزوز ، قال الأزهري : هو الذي يسوّى منه الإبريسم[1] .

والقَزُّ هذا ، غالباً هو القزُّ الذي نعرفه حالياً ، وقد كان إنتاجه كثيراً في لبنان إلاّ أنه يتضاءل شيئاً فشيئاً مع مرور الزمن ، لأن المزارعين عمدوا إلى اقتلاع أشجار التوت واستبدالها بأشجار الفاكهة التي تعطيهم ربحاً أفضل . وأوراق شجرة التوت هي الغذاء الأساسي لدودة القز أو دودة الحرير ؛ وربما كان من الأفضل إعطاء فكرة عامة عن تربية دودة القز لأن ذلك يساعدنا على الأماكن التي يمكن أن تكون مصدراً لها وللحرير .

1 ـ تضع الأنثى عدداً كبيراً من البيوض الصغيرة ، وحينما يكون الطقس دافئاً يخرج من البيضة حيوان صغير يشبه (الدودة) ويدعى (يرقة) لها عدة أرجل قصيرة جداً تزحف بواسطتها . تأكل اليرقة أوراق التوت التي تكون أحضرت لها فتنمو حتى يصبح طولها عدة سنتمترات وتدوم هذه المرحلة ـ25 يوماً تقريباً . ثم تنقطع هذه الدودة عن التغذي .

2 ـ بعد أن تنقطع (اليرقة) عن التغذي تبدأ بافراز خيط الحرير من فمها وتلف حول جسمها غلافاً حريرياً يسمى (الشرنقة) . وتتحوّل اليرقة تدريجيّاً إلى شكل آخر يسمى العذراء .

3 ـ بعد مرور عدة أيام تتحوّل العذراء الى فراشة وحين يكتمل نموها تثقب الفراشة الشرنقة ، تضع الأنثى بيوضها ، ثم تموت الفراشة وتحفظ البيوض في أماكن خاصة لإعادة استعمالها في الوقت المناسب . وهذه العملية معروفة تماماً في الريف اللبناني حيث يربّى دود القز أو دود الحرير .

---

(1) اللسان 5-395 ـ دار صادر

وقد نهى الاسلام عن لبس الحرير ، لما في ذلك من ترف يميت الرجولة ، ومن تشبّه بمتر في العجم ، ومن تأثير يتركه استعماله في نفوس الفقراء . وقد ينسج الحرير لوحده فيكون الثوب من الحرير الخالص ، أو ينسج مع غيره كما هو الحال في القِهز فقد ورد في اللسان عن ابن سيده : « هي ثياب صوف كالمرعزى وربما خالطها حرير»(1) . وكذلك « الخزّ : معروف من الثياب ، مشتق منه ، عربي صحيح . . ابن الأثير : الخز المعروف أولاً ثياب تنسج من صوف وإبريسم وهي مباحة ، قال : وقد لبسها الصحابة والتابعون . . قال : وإن أريد بالخز النوع الآخر ، وهو المعروف الآن ، فهو حرام لأنه كله مصنوع من الإبريسم ، قال : وعليه يحمل الحديث الآخر : قوم يستحلّون الخزَّ والحرير »(2) . « والثياب القسِّيَّة ، وهي ثياب فيها حرير تجلب من مصر ، وفي حديث علي ، كرم الله وجهه : أنه ﷺ ، نهى عن لبس القسي ، هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر ، نسبت الى قرية على ساحل البحر قريباً من تِنِّيس ، يقال لها ، القَسُّ »(3) . وقد ذكر ياقوت بالاضافة الى ما جاء في اللسان : « وفي بلاد الهند بين نهر (وارا) بلد يقال له القَسُّ مشهور يجلب منه أنواع الثياب والمآزر الملونة وهي أفخر من كل ما يُجلب من الهند من ذلك الصنف »(4) وقد أورد كلاهما هذين البيتين من الشعر لربيعة بن مقروم :

جعلْنَ عتيقَ أنماطٍ خُدوراً ... وأظْهرْنَ الكراديَ والعُهُونا
على الأحْداجِ واستَشْعرْنَ رَيْطاً ... عِراقيًّا ، وقسِّيًّا مصُونا

(1) اللسان 5-398
(2) اللسان 5-345
(3) اللسان 6-175
(4) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي 4-346

وهناك أيضاً « السِّيْراءُ والسِّيَراءُ : ضرب من البـرود ، وقيل هو ثوب مسيّر فيه خطوط تعمل من القز كالسيور ، وقيل برود يخالطها حرير ، قال الشماخ :

فقـــالَ إزارٌ شَرْعَبِـــيٌّ وأربعٌ   من السِّـيَرَاءِ ، أو أوَاقٍ نَوَاجِزُ[1]

وقد ورد ذكر السّيراء عند المرقش الأكبر حيث يقول :

كَسَبِيبَـــةِ السِّيَرَاءِ ذاتِ عُلالَة   تَهْـــدي الجِيادَ غَدَاةَ غِبٍّ لِقَائِها[2]

ويبدو أن الحرير منه ما كان من صناعة محليّة كاليمن ومصر وبـلاد الشام وقد سبق أن بيّنا أن الثياب القسية والتي فيها حرير ربمـا كانـت من مصر ، كذلك ورد في المفصل : « وبين الجاهليين أنـاس عرفـوا بالثـراء وبالغنى . . ولبسوا ملابس الحرير والألبسة الجيدة المستوردة من بلاد الشأم واليمن »[3] .

« وكتابة (صرواح) ـ وهـي عاصمـة سبـأ ـ هي من أخطـر الوثائـق التاريخية القديمة التي تتعلق بأخبار (سبأ) . . تحـدث (كرب إيل) عن عداء أهل (كحد سوطم) لسبأ وعن معارضتهم له وقال : . . فسقط منهم خمسمائة قتيل في معركة واحدة ، وأخذ منهم ألف طفل أسير ، وألفي حائك ما عدا الغنائم العظيمة »[4] .

« وإذا كان الحرير المعروف بـ (الخسرواني) ، معروفاً حقـاً عنـد الجاهليين ، فانه يدلّ على أنه كان مستورداً من العراق ، بدلالة اسمه عليه .

(1) اللسان 4-390
(2) المفضليات ص ـ234 ـ شاكر وهارون ـ الطبعة الخامسة ـ دار المعارف بمصر
(3) المفصل ـ د . جواد علي 5-79
(4) المصدر السابق 2-287 وما بعدها .

ويذكر علماء اللغة أنه منسوب الى الأكاسرة ، وأنه حرير رقيق حسن الصنعة »[1] .

« وكانت تجارة الحرير من أهم المواد المطلوبة في أسواق البيزنطيين ، وقد كان الساسانيون قد احتكروها تقريباً ، وعبثاً حاول الأمبراطور (جستنيان) تحطيم ذلك الاحتكار ، وأخذه من أيديهم بالتوسل إلى (نجاشي) الحبشة لإرسال سفنه إلى (سيلان) ولشراء السلك منها (خيوط الحرير) ، ومنافسة التجار الفرس الذين كانوا قد سيطروا على تجارة هذه المادة المستوردة من الصين الى هذه الجزيرة ، فكانوا ينقلونها إلى بلادهم ، بل إلى (القلزم) و (أيلة) وموانىء أخرى وأسواق تابعة للبيزنطيين ، فيربحون من هذه التجارة ربحاً حسناً »[2] .

« وقد ذكر (سترابون » أن اليونان أخذوا الحرير من الهنود . ولذلك أطلقوا عليه لفظة أخذوها من اسم أحد الشعوب الهندية »[3] .

وعليه يمكننا القول أن العرب في العصر الجاهلي عرفوا الحرير وبأسماء مختلفة وهو الحرير الخالص الذي نهى عنه الاسلام ، وعرفوا الحرير المنسوج مع غيره وقد لبسوه وورد ذلك في أشعار شعرائهم ، وربما كان منه المصنوع محلياً في اليمن والعراق وبلاد الشأم ومصر ، وربما كان مستورداً في معظمه من الصين والهند وسيلان .

---

(1) نفس المصدر7-604

(2) المفصل . د . جواد علي2-657

(3) نفس المصدر7-604

6 ـ صناعة الكتان :

الكتان نبات معروف يستعمل في نسج بعض الأقمشة . « وهو عربيّ سمي بذلك لأنه يُخَيَّسُ ويلقى بعضُه على بعض حتى يكتن ، وحذف الأعشى منه الألف للضرورة وسماه الكتن فقال :

هو الواهِبُ المُسْمِعَاتِ الشُّروب ، بين الحريرِ وبين الكتَنْ[1]

« والخَيْسُ : مصدر خاس الشيء يخيس خيساً تغيّر وفسد وأنتن . . قال الليث : يقال للشيء يبقى في موضع فيفسد ويتغير » .[2]

وذكره حسان بقوله :

يجتنين الجاديَّ في نُقَبِ الرَّيْطِ ، عليها مجاسِدُ الكتَّانِ*

وأهل الجاهلية مثل من تقدم أيضاً في تنظيف الكتان وسائر المواد الأخرى المراد غزلها . وقد كانوا يدقّون الكتان لتهترىء أليافه وتتشقق فتنفصل ، ثم يمشط بالممشقة ، حتى يخلص وتبقى فتاته وقشوره ، ويؤخذ الكتان لغزله ونسجه[3] .

ويبدو أنهم كانوا ينشفونه على السطح أو نحوه قبل أن يدق إذ ورد في الكتاب المقدس : « وكانت أصعدتهما السطح ، ووارتهما بين عيدان كتان لها منضَّدة على السطح »[4] . وكان أحسن أنواعه ينبت في مصر وقد أكثر القدماء من استعماله[5] .

---

(1) اللسان 13 -355 ـ دار صادر
(2) اللسان 6 -74 ـ دار صادر
(*) ديوان حسان ص ـ253 دار صادر
(3) المفصل ـ د . جواد علي 7-596
(4) سفر يشوع 2 -6
(5) قاموس الكتاب المقدس ص ـ774

ويبدو أن صناعة الكتان كانت معروفة منذ القدم وقد اشتركت النساء وحتى الشريفات بعملية غزله إذ ورد في الكتاب المقدس حين تحدث عن المرأة الفاضلة أنها « تلتمس صوفاً وكتاناً وتعمل بحذق كفّيْها »[1] . وهـذا العمل كان إلى جانب الرجل ، إذ ورد في مكان آخر « ويخزى صُنَّاعُ الكتان المهلهل وحاكةُ الأنسجة البيضاء »[2] .

ويبدو أن المصريين كانوا يتعاطون صناعة الكتان قبـل دخـول بنـي اسرائيل إلى بلادهم إذ ورد في الكتاب المقدّس : « ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بزٍّ وجعل طوقاً من ذهب في عنقه »[3] .

ويبدو أن السلع الفاخرة كانت تصنع من الكتان بدليل أن ألبسة الكهنة وداود النبي كانت منه فقد ورد : . . فأقبل دوئيج الأدومي وهجم على الكهنة وقتل في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلاً لابسي أفوه من كتان »[4] . « وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب وكان داود متنطقاً بأَفوه من كتان »[5] .

« وعرفت الأنسجة اليمـانية المصنوعـة من الكتـان في كل مكان من جزيرة العرب ، وقد كانت لباس الأغنياء والوجهاء . وتعطي أنسجة الكتان برودة خاصة في فصل الصيف، ولهذا كانت رائجة في كل مكان . وقد كانت مصر ذات شهرة خاصة في تصدير أنسجة الكتان ، فقد كان كتانهـا لطيفـاً ناعماً ، ولهذا بيع بثمن مرتفع »[6] . وقـد تفنّـن المصـريون بعملية غزلـه

---

(1) سفر الأمثال31-13

(2) نبوءة أشعيا19-9

(3) . سفرالتكوين 41-42

(4) سفر الملوك الأول22-18

(5) سفر الملوك الثاني 6-14

(6) المفصل . د . جواد علي 7-601

وخلطوا مع الكتان أنواعاً أخرى من الخيوط كالابريسم ونحوها . « والقسي وهي ثياب منسوجة من كتان وابريسم مضلعة ، تصدر من مصر من قرية تسمى (القسي) فنسبت اليها »[1] وربما كان الأصح ما أورده صاحب اللسان ومعجم البلدان أن القرية التي أشار إليها الدكتور جواد علي تدعى (القس) وليس (القسي) وربما تكون زيادة الياء للنسبة، وقدذكرت الثياب القسية في شعر ربيعة بن مقروم حيث يقول :

على الأحداج واسْتَشْعَرْنَ رَيْطاً عراقيا وقسّياً مصونا[2]

ويبدو أن الكتان قد عرف في العصر الجاهلي بأسماء مختلفة حيث نصادفها في الشعر الجاهلي . فهذا قيس بن الخطيم يسميه الحُنُفَ وذلك حيث يقول :

واللهِ ذي المسجدِ الحرامِ وما جُلِّلَ من يُمْنَة لها حُنُفُ[3]

والحنيف أردأ الكتان . وقيل : ثوب كتان أبيض غليظ . وقيل هو جنس من الكتان أردأ ما يكون منه كانوا يلبسونها[4] .

وهناك من يسمي الكتان السبوب . قال عبد الله بن سلمة :

ونَاجِيَة بَعَثْتُ على سبيلٍ كأنَّ بَيَاضَ منجرهِ سُبُوبُ[5]

الناجية : الناقة السريعة . السبيل : الطريق . منجر الطريق :

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-603

(2) اللسان 6-175 ـ معجم البلدان لياقوت 4-346 ـ دار صادر

(3) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ 111 ـ مكتبة صادر ـ الطبعة الثانية 1967 . د . ناصر الدين الأسد .

(4) اللسان 9-98 دار صادر

(5) المفضليات ص ـ 104

معظمه وجادته . السبوب : الكتان « . . وقال شمر : السبائب متاع كتان ، يجاءبها من ناحية النيل ، وهي مشهورة (بالكرخ) عند التجار ، ومنها ما يعمل بمصر وطولها ثمان في ست[1] . ويقول صاحب اللسان إن « الكرخ : سوق ببغداد نبطية ، وفي التهذيب : كرخ بغير تعريف وأكيراج موضع آخر في السواد » . بينما يقول صاحب معجم البلدان« الكرخ : ما أظنها عربية إنما هي نبطية . وهم يقولون كرخت الماء وغيره من البقر والغنم الى موضع كذا ، جمعته فيه في كل موضع ، وكلها بالعراق »[2] .

وذكره أيضاً علقمة بن عبده بقوله :

تَتَبَّـعُ أَفْيَاءَ الظِّـلالِ عَشِيَّة   علـى طُرُقٍ كأنَّهُـنَّ سُبُوبُ[3]

وقد ورد في اللسان أيضاً « . . والشَّريعُ : الكتان وهو الأبق والـزير والرازقيّ ومَشَاقَتُهُ السَّبيخة . وقال ابن الأعرابي : الشَّرَّاعُ الذي يبيع الشريع ، وهو الكتان الجيد »[4] قال الحطيئة :

خافـوا الجنـانَ وَفـرُّوا من مُسَوَّمَة   يُلْوى بأعناقِها الكتـانُ والأبقُ(**)

ورد في اللسان : قال لبيد يصف ظروف الخمر :

لهـا غَلَلُ من رازقـيٍ وكُرْسُف   بأيْمـانِ عُجْـمٍ ،يَنْصُفُـونَ المَقاوِلا

أي يخدمون الأقيال . وأنشد ابن بري لعوف بن الخرع :

كأنَّ الظِّبـاءَ بهـا والنّعا   جَ يُكْسَيْنَ ، من رازقـيٌّ ، شِعارا[5]

---

(1) اللسان 1-456

(2) اللسان 3-48 ـ معجم البلدان لياقوت 4-447 ـ دار صادر

(3) المفضليات ص ـ393

(4) اللسان 8-178

(**) ديوان الحطيئة ص ـ264 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

(5) اللسان 10-116

وورد في اللسان أيضاً ؛ والـزيـر : الكتان . قال الحطيئة :

وإنْ غَضِبَـتْ ، خِلْـت بالمِشْفرَيْنِ سَبَـايِخَ قُطْـنٍ ، وزيرا نُسالا[1]

بالاضافة الى الملابس والثياب المتنوعة المصنوعة من الكتان ، والتي سنفصّل عنها في بابها الخاص ، فقد صنعت الخيوط من الكتان ليُخيط بها ، وكذلك المنطقة وهي ما يشد بها على وسط الانسان ، فقد ورد في الكتاب المقدس : « هكذا قال لي الربُّ انطلق وابتع لك منطقة من كتان واشددها على حقويك ولا تضعها في الماء »[2] . وكذلك دخلت صناعة الكتـان في بعض أنواع البسط ، فقد ورد في كتاب العراق الاقتصادي : « وكان القطن وحتى الكتان يستعمل أحياناً في صنع البسط »[3] .

وهكذا نستنتج أن صناعة النسيج والحياكة من الكتان كانت معروفـة ومنذ أقدم العصور ، وربما كان المصريون سباقين في هذا المضمار ، وقد اشتركت المرأة بهذه الصنعة إلى جانب الرجل . وورد ذكر الكتان في الشعر الجاهلي ، وكذلك ورد بأسماء أخرى كانت معروفة عند الجاهلين ، كمـا يبدو أن هذه الصناعة كانت منتشرة في بلاد اليمن . ولم تقتصر عملية غزل الكتان ونسجه وحياكته على الملابس فحسب بل تعدتها الى أشياء أخـرى سبق ذكرها .

« وكان للمشرق أيضاً مراكزه الخاصة لنسيج الكتان ، وذلك بفارس ، وكانت أكبر مدينة بفارس لصنع ثياب الكتان مدينة (كازورون) حتى كانت تسمى « دمياط الأعاجم » . . وربما حمل اليهم الكتان من مصر ، أما في

---

(1) اللسان 4-338 ـ ديوان الحطيئة ص69 ورد : وبرسا نسالا . المؤسسة العربية للطباعة ـ بيروت .

(2) نبوءة إرميا 13 -1

(3) تاريخ العراق الاقتصادي . د . عبد العزيز الدوري ص ـ105 الطبعة الثانية ـ دار المشرق .

عصر المقدسي فهو يقول إن أكثر ما يعمل بسينيز ـ مدينة فارسية ـ من الذي يزرع عندهم ، وفي كلام المقدسي هذا دليل على أن صناعة نسج الكتان نقلت الى فارس من مصر »[1] .

7 ـ الْوَشْي :

« الوشي معروف وهو يكون من كل لون . . والوشيُ في اللون : خلطُ لونٍ بلونٍ . . يقال : وَشَيْتُ الثوبَ أشِيهِ وَشْياً وشِيَةً ووشَّيْتُهُ تَوْشِيَةً ، شدد للكثرة ، فهو مَوْشِيٌّ وَمُوَشًّى . . والحائكُ واشٍ يشي الثوبَ وَشْياً أي نَسْجاً وتأليفاً . ووشى الثوبَ حسَّنه ، ووشّاهُ : نمنمه ونقشه وحسَّنه »[2] .

ومنه ما ورد في القرآن الكريم في موضع واحد قوله تعالى : « . . تُثِيرُ الأرضَ ولا تَسْقِي الحرثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فيها »[3] . وشِيَةَ هنا اللون . (تفسير الجلالين) .

والوشيُ هو تطريز وتزيين النسيج الأصلي برسوم ناتئة أو غير ناتئة أو خطوط أو مضلعات أو نحوها ، وقد تصنع بالابرة أو تحاك أصلاً مع النسيج ، وقد يستعمل فيها خيوط من الحرير ، أو الذهب أو الفضة أو مادة أخرى تختلف عن النسيج الأصلي .

ويبدو أن الوشي كان معروفاً منذ القدم ، إذ ورد أن : « بصلئيل وأهولياب » كانا يتعاطيان فنوناً منها التطريز بالأسما نجوني والأرجوان والقرمز والبوص ، وكان سجف مدخل الخيمة وباب الدار ومنطقة الكاهن

---

(1) الحضارة الاسلامية ـ آدم متز ـ محمد عبد الهادي أبو ريده2-354 وما بعدها ـ دار الكتاب العربي

(2) اللسان15 -392 دار صادر

(3) سورة البقرة الآية ـ71

الأعظم مطرّزة . وكثيراً ما كان الأغنياء يرتدون ثياباً مطرزة » [1]

« وكانت تصنع نماذج مطرزة ومصورة ، وكذلك أنسجة ملوّنة باستخدام خيوط ملونة ألواناً مختلفة . حتى الخيوط الذهبية كانت تنسج في الأقمشة . وكان القماش أيضاً يطرّز بصور ونماذج ، وكان التطريز يعمل عادة بالأيدي ، ويعتقد كثير من المفسرين أن الكلمة العبرية « روقيم » المترجمة « طراز » تعني الشخص الذي ينسج التصميمات في النسيج ، أي المدبج » [2] .

وقد عرف العرب في العصر الجاهلي الوشي ، والثياب الموشاة ، منها ما يكون مستورداً من بابل وبلاد الشأم والهند ومصر وفارس وغيرها ، ومنها ما يكون منسوجاً محلياً ،خاصةفي اليمن التي اشتهرت منسوجاتها في كل مكان من جزيرة العرب ، وذلك لجودتها وأناقتها ، وظلت محافظة على سمعتها هذه إلى الاسلام [3] .

ومن الأدلة الواضحة على معرفة العرب الجاهليين للوشي والثياب الموشاة هو ما نصادفه منثوراً عنها هنا وهناك في شعر شعرائهم ومنها قول عبده بن الطبيب :

حتى اتّكأنا على فُرْشٍ يُزَيِّنُها ... من جَيِّدِ الرَّقْمِ أزواجٌ تَهَاوِيلُ

فيها الدَّجاجُ وفيها الأُسْدُ مُخْدِرَةً ... من كلِّ شيءٍ يُرى فيها تماثيلُ[2]

« والرَّقم : ضرب مخطط من الوشي ، وقيل : من الخز ، وفي

(1) قاموس الكتاب المقدس ص ـ575

(2) المصدر السابق ص ـ331

(3) المفصل ـ د . جواد علي7 -599

(4) المفضليات ص ـ144

الحديث : أتى فاطمة ، عليها السلام ، فوجد على بابها ستراً موشّى فقال ؛ ما لنا والـدنيا والرَّقـم ؟ يريد النقش والوشـي . وفـي حديث علـيّ ، عليه السلام ، في صفة السماء : سقف سائر ورقيم مائر ، يريد به وشي السماء بالنجوم »[1] .

يتبين لنا من شعر عبده بن الطبيب ومن الحديث الشريف أن المقصود بالرقم هو الوشي ، وأنهم كانوا يوشوّن الستائر والفُرش وما إليها من وسائد ونحوه ، وأنهم كانوا يتفننون بها من الناحية التصويرية بحيث شاهد عبده بن الـطبيب صوراً للدجـاج والأسـد الـرابض في خدره وكثيراً من الأشياء الأخرى . وقال الأعشى :

الواهـــبُ القينـــاتِ كالـ غزلانِ في عقِـــب الخمائِلْ
يَركُضْـــنَ كُلّ عشيّة عَصْـــب المُـــريَّش والمَراجِلْ[2]

يمدح الأعشى هنا (مسروق بن وائل) ويصف قيناته وهنّ يرقصـن وعليهن ببرود مريشة أي موشاة عليها صور رجال . وفي مكان آخر يذكر لنا الأعشى ضرباً آخر من الوشي في القصيدة التي يمدح فيها (إياس بن قبيصة الطائي - وورويت في مدح قيس بن معد يكرب) حيث يقول :

وكُلّ ذمُـــولٍ كالفنيـــقِ ، وقيْنة تجـــرُّ إلـــى الحانُـــوت بُرْدا مُسهَّما[3]

فهذه البرده رسمت عليها سهام وليس فيها صور رجال أو دجاج أو حيوانات أو غيرها .

---

(1) اللسان 12-249 ـ دار صادر
(2) ديوان الأعشى ص ـ 156 ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت
(3) ديوان الأعشى ص ـ 189 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت

والخال ضرب من برود اليمن المَوْشِيَّة[1] . وقد ورد ذكرها في شعر ساعدة بن جؤية حيث يقول :

يُذْرِينَ دَمْعاً علــى الأشْفَــارِ مُنْحَدِراً   يَرْفُلْنَ بعدَ ثيابِ الخالِ في الــرُّدَم[2]

(الثــوب المرقّع)

وذكرها الشماخ أيضاً حيث يقول :

وَبُـرْدَانِ من خالٍ وتِسعــونَ دِرْهَماً   على ذاكَ مَقْروظُمن الجِلْـدِ ماعزُ[3]

ويفيدنا الشماخ عن ضرب آخر من الوشي حيث يقول :

فقـــالَ إزارٌ شَرْعَبِـــيٌّ وَأَرْبَعٌ   مِنَ السِّيَرَاءِ ، أوْ أوَاقٍ نَوَاجِزُ[4]

« والسيراء ضرب من البرود . وقيل هو ثوب مسيّر فيه خطوط تعمل من القز كالسيور »[5]

وقد ذكر السيراء أيضاً المرقش الأكبر حيث يقول :

كَسَبِيبَـــةِ السِّيَرَاءِ ذاتِ عُلالَةٍ   تَهْـــدِي الجيادَ غَدَاةَ غِبٍّ لِقَائِها[6]

وهذا علقمة بن عبده الفحل يعرفنا على نوع جديد من الوشي حيث يقول :

عَقْــلاً وَرَقْمــاً تظَــلُّ الــطَّيْرُ تَخْطَفُهُ   كأنـــه من دَم الأجـــوافِ مدْمُومُ[7]

« والعقل : ضرب من الوَشْي ، وفي المحكم : من الوشي الأحمر .

---

(1) اللسان 11 -229 ـ دار صادر

(2) ديوان الهذليين 1 -206 ـ الدار القومية ـ القاهرة ـ 1965

(3) الجمهرة ص ـ298 . دار صادر

(4) نفس المصدر والصفحة .

(5) اللسان 4 / 390 ـ دار صادر

(6) المفضليات ص ـ234 شاكر وهارون ـ الطبعة الخامسة ـ دار المعارف بمصر .

(7) المفضليات ص ـ397

وقيل هو ثوب أحمر يجلّل به الهودج »[1] أما الرَّقم فقد سبق ذكره منذ قليل ، مع العلم أنه ورد أيضاً في شعر المرقش الأكبر حيث يقول :

رافِعَـاتٍ رَقْمـا تهَـالُ لهُ الْعَيْـ ـنُ على كلِّ بازِلٍ مُسْتَـكِين (ذليل)

وهناك « الثوب المعضَّدُ وهو المخطط على شكل العضد ، وقال اللحياني : هو الذي وَشْيُهُ في جوانبه ، والمعضّدُ : الثوب الذي له علم في موضع العضد من لابسه . قال زهير يصف بقرة :

فجالـتْ علـى وحْشِيِّهـا ، وكأنَّها مُسَرْبَلـةٌ من رازِقِـيٍّ مُعَضَّدِ[2]

وقد ورد ذكر المعضَّد في شعر الحطيئة حيث يقول :

وتُضْ[3] الجبالُ الغُبْـرُ دونـي كأنَّها مِنَ الآلِ حُفَّـتْ بالمُـلاءِ المُعَضَّدِ

وأما « الحِبَرَةُ والحَبَرَةُ : ضرب من برود اليمن مُنَمَّر ، والجمع حِبَرٌ وحِبَرَاتٌ . . قال : وليس حِبَرَةٌ موضعاً أو شيئاً معلوماً إنما هو وَشْيٌ . . والحبير من البرود : ما كان مَوْشِياً مخططاً . . وقال رسول الله ، ﷺ : مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب . والحِبْرُ : الوشي »[3] .

وقد ذكر الحطيئة هذا النوع من الوشي حيث يقول :

وَغَيْثٍ جُمَـادِيٍّ كأنَّ تِلاعَهُ وَحِزَّانَـهُ مَكْسُـوَّةٌ حَبِرَاتِ[4]

وذكره أيضاً نابغة بني جعدة حيث يقول :

يُديرُ علينـا كأسَـهُ وشِواءَهُ مَنَاصِفُـهُ والحضْرَمِـيَّ المُحَبَّرا[5]
(المناصف=الخدم)

---

(1) اللسان 11-464
(2) اللسان 3-292 وما بعدها ـ دار صادر
(3) اللسان 4-159 دار صادر
(4) ديوان الحطيئة ص 116 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت
(5) جمهرة أشعار العرب ص 276

وقال القطامي عن الوشي أيضاً :

فهُنَّ كالحُلَلِ المَوشِيِّ ظاهِرُها   أو الكتابِ الذي قدْ مَسَّهُ بَلَلَ[1]

ويتابع أيضاً في القصيدة ذاتها يبين لنا الوشي في ضرب جديد من النسيج في قوله :

لما وَرَدْنَ نَبِيًا ، واسْتَتَبَّ بِنَا   مُسْحَنْفِرٌ كخطوطِ السَّيْحِ منسحِلُ

نبيّاً : ماء . استتب : استقام . مسحنفر : ممتد . سيح : كساء مخطط . منسحل : منجرد[2] وقد ورد في اللسان :« والسَّيْحُ » : المِسْح (البلاس) المخطط . وقيل : السَّيح مِسْحٌ مخطط يستتر به ويفترش . وقيل السَّيح : العباءة المخططة . وقيل هو ضرب من البرود وجمعه سيوح ؛ أنشد ابن الأعرابي :

وإني ،وإن تُنْكرْ سُيُوحُ عباءَتي   شِفاءُ الدَّقي يا بِكْرُ أُمَّ تَمِمِ[3]

«والقِرامُ: ثوب من صوف ملون فيه ألوان من العهن ، وهو صفيق يتخذ ستراً . وقيل هو الستر الرقيق . والقرام : ستر فيه رَقْمٌ ونقوش »[4] .

وقد ورد القِرامُ في شعر عنترة حيث يقول :

أكُرُّ عليهم مُهْرِي كليماً   قَلائِدُهُ سَبَائِبُ كالقِرامِ[5]

وهناك « العهن : وهو الصوف المصبوغ ألواناً ، ومنه قوله تعالى :

---

(1) الجمهرة ص ـ 288

(2) المصدر السابق

(3) اللسان 2 -493 ـ دار صادر

(4) اللسان 12 -474 ـ دار صادر

(5) ديوان عنترة ص ـ 67 . دار صعب ـ بيروت

كالعهن المنفوش . وفي حديث عائشة ، رضي الله عنها : أنها فتلت قلائد هدي رسول الله (ص) ، من عهن ، . . وأنشد أبو عبيد :

فاض مِنْهُ مثلُ العُهونِ مِنَ الرَّوْ ضِ ، وماضنَّ بالاخاذ غُدُرْ[1]

مما تقدم يتبين لنا أن الوشي كان معروفاً منذ القدم وقد أشير اليه في الكتاب المقدس من قبل كما أشير إليه أيضاً في القرآن الكريم من بعد . وقد كانت تصنع نماذج مطرزة ومصورة ، وكذلك أنسجة ملونة باستخدام خيوط ذات ألوان مختلفة وقد أوردنا بعض الاستشهادات من الشعر الجاهلي التي تثبت وجود تلك الصناعة في المجتمع الجاهلي بدليل ذكرها بكثرة في أشعارهم أوردنا منها ما يلي : الرّقم ، الصور (دجاج ، أسد وغيره) المريش ، المراجل ، المسهم ، الخال ، السِّيراء ، العقل ، المعضد ، الحِبَرَ ، السَّيح ؛ وقد ظهر لنا أيضاً أن صناعة الوشي لم تكن مقتصرة على الملابس أو الثياب وإنما تعدتها الى البسط والستائر والعباءات التي يقول عنها الدكتور جواد علي : « وتكون عباءة الأغنياء والرؤساء من قماش جيد منسوج نسجاً خاصاً محلاة في الغالب من ناحية العنق والصدر والجهة العليا من اليدين بخيوط من الحرير أو الذهب يروفها (الروّاف) . . وقد ذكر أن الجاهليين كانوا يستوردون الجبب والأردية والأقمصة والأقمشة من بلاد العراق والشأم ، وكانت غالية الثمن »[2] ومن تلك المنسوجات ما استورد من مصر ومن فارس أو من جنوب الجزيرة العربية وخاصة اليمن التي اشتهرت منسوجاتها في كل مكان من جزيرة العرب[3] .

---

(1) اللسان 13 -296 ـ دار صادر

(2) المفصل ـ د . جواد علي 7 -602

(3) نفس المصدر 7 »599 وما بعدها .

ب ـ آلات الحياكة والنسج :

« مارس المصريون فنّ الحياكة قبل وصول العبرانيين إلى مصر . وكان النول يوضع في مصر إما عمودياً أو أفقياً ، وفي الصور المصرية ، يرتفع إطار النول ارتفاعاً ضئيلاً فوق الأرض ، ويجلس النساج القرفصاء ، في عمله يبدو كأنه يدوس على الخيوط . وخيوط السداة (الطويلة) تجري متوازية وتمتد بين الدعامتين اللتين تتعلق عليهما هذه الخيوط ؛ وفواصل من أي نوع بدائي ، تفصل خيوط السداة الى مجموعتين وتشكل ممرّاً لمرور الوشيعة (المكوك) أو أي حامل آخر لخيوط اللحمة ، وتكون هذه قريبة منه أي بينه وبين القماش المنسوج . ويضرب بقصبة (أو عارضة خشبية) الخيط الأخير الذي دفعه وسط السداة ليضغطه ضغطاً وثيقاً إلى اللحمة »[1] .

قبل البدء بعملية النسيج والحياكة يحضر الفتال أو السلك أو الخيط وهو المادة الأساسية للحياكة ، وقد يكون من صوف أو قطن أو كتان أو حرير أو غيره ، تحضر المادة وتغزل بالمغزل . وتحضير المادة قد يستدعي استعمال (الممشقة) لتمشيطها . وقد يستعمل (المندف) لتحضير القطن للغزل ويسمى أيضاً (الكِرْبال) وقد ذكره الشاعر حيث يقول :

تَرْمي اللُّغامَ على هاماتها قزَعاً كالبُرْسِ طيَّرَهُ ضَرْبُ الكَرابيلِ[2]

وقد يقال له (المحبض) وقد ذكره تميم بن مقبل العامري في شعره حيث يقول :

كأنَّ أصواتَها من حيثُ تسمَعُها صوتُ المحابِض يَخْلُجْنَ المحَارِينا[3]

---

(1) قموس الكتاب المقدس ص ـ 331

(2) اللسان 6-25 ـ دار صادر

(3) جمهرة أشعار العرب ص ـ 307

وبعد إعداد المادة للغزل ، تغزل إما بالمغزل اليدوي القديم ، وغالباً ما تقوم النساء بهذا العمل ، وهو يحمل باليد ، وهو قديم جداً معروف في العصور المتقدمة قبل الاسلام(1) .

ومنه ما هو سريع بعض السرعة ، وهو على هيئة دولاب ، ومجال الغزل فيه أوسع من مجال الغزل بالمغزل اليدوي البسيط . وقد ذكر الشعراء المغازل في أشعارهم ومنهم « عبد الرحمن بن دارة حين كان يحمّس قومه على الثأر فهو يقول :

لئن أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ فكونوا نساءً للخلوقِ وللكُحلِ
وبيعوا الردينياتِ بالحَلْيِ واقعدوا عن الحربِ وابتاعوا المغازلَ بالنبلِ

وقد أشار جندل بن المثنى الحارثي الى عملية غزل النساء بقوله :

كأنه بالصَّحصَحَانِ الأنجلِ قطْنُ سُخامٌ بأيادي غُزَّلِ »(2)

« والدَّرَارَةُ : هي أيضاً المِغْزَل الذي يغزل به الراعي الصوف ، وقد أدرّت الغازلة درّارتها إذا أدارتها لتستحكم قوة ما تغزله من قطن أو صوف(3) .

وعند الانتهاء من الغزل نكون قد حصلنا على الخيط أو السلك الذي قد يجمع على شكل كروي أو بيضوي أو أسطواني أو خلافه ، وهذا ما يسمى بـ (المكبّ) وحينها تبدأ عملية النسج أو الحياكة التي غالباً ما تكون من أعمال النساء ، وقد سبق أن بيّنا أن المرأة اليهودية كانت تمارس عملية الغزل

(1) المفصل . د . جواد علي 7-595

(2) صناعات المرأة ـ المرأة في الشعر الجاهلي . د . أحمد محمد الحوفي ص ـ398 وما بعدها .

(3) اللسان 4-282 ـ دار صادر

والحياكة ، بل كانت هذه من صفات المرأة الفاضلة : « تلتمس صوفاً وكتاناً وتعمل بحذق كفيْها »[1]

ويبدو أن المرأة العربية في العصر الجاهلي كانت تعمل هي أيضاً بالنسيج والحياكة كما يظهر لنا من شعر ذي الرمة حيث يقول :

كأنَّ عليها سحقَ لفقٍ تأنَّقت   به حضرمياتُ الأكفُّ الحوائِك[2]

كما نتعرف ، من قول ذي الرمة ، على مكان من الأمكنة التي كانت تنتشر فيها عملية النسج والحياكة ، وهو حضرموت .

وهناك في المَحَاكَة أي موضع الحياكة استعملوا أدوات كثيرة منها : الحَف وهو المنسَج،والحَفَّة : المنوال وهو الخشبة التي يلفُّ عليها الحائك الثوب[3] .

وقد ورد المنوال في شعر امرىء القيس حيث يقول :

بِعَجْلَزَة قَدْ أتْرَزَ الجَرْيُ لَحْمَها   كُمَيْتٍ كَأنَّها هَرَاوةُ مِنْوَالِ[4]

« وقد ذكر أهل اللغة أسماء بعض آلات الحياكة والنسج مثل (الوشيعة) وهي المنسج ، وهي قصبة في طرفها قرن يدخل الغزل في جوفها ، وتسمى السهم . . و(المشيعة) ما يلف عليها الغزل ، و(الثناية)

---

(1) سفر الأمثال31-13

(2) العرب في العصور القديمة . د . لطفي عبد الوهاب يحي ص ـ338 الحاشية عن تاج العروس مادة (حاك)

(3) اللسان9-51 ـ دار صادر

(4) ديوان امرىء القيس ص ـ144 ـ دار صعب ـ بيروت ـ (العجلزة : الفرس الشديدة . أترز : أيبس . الهراوة : العصا)

التي يثنى عليها الثول ، و (العدل) خشبة لها أسنان مثل أسنان المنشار ، يقسم بها السدى ليعتدل . و (الصيصة) عود من طرفاء ، كلما رمي بالسهم فألحمه . . وقيل إنها شوكة الحائك التي يسوّى بها السداة واللحمة . . وأنشد لدريد بن الصمة :

فجئت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد [1]

الصيصة المفرد، والجمع صياصي ، وقد وردت أيضاً في شعر الحطيئة حيث يقول :

وإنْ ضُربَتْ بالسَّوْط صرَّتْ بِنابِها صَرِير الصَّياصِي في النَّسج المُمَدَّدِ [2]

« و (النير) لحمة الثوب ، وقيل : الخشبة المعترضة التي فيها الغزل ، وقد تنسج الثياب على نيرين . . و (الصنار) رأس المغزل . . والمداد . . والكُفة . . والحماران . . والمثلث . . والدعائم . . والشفشقة . . وغيرها [3] .

وهكذا نستنتج أن المصريين قد مارسوا صناعة النسيج والحياكة قبل وصول العبرانيين الى مصر ، وأن العبرانيين تعلموها ومارسوها وكذلك العرب في العصر الجاهلي . وقد استعملوا المغزل اليدوي القديم ، والآخر على هيئة دولاب ، واستعملوا أيضاً المنوال وأدوات أخرى كثيرة . وقد ورد ذكر بعضها في شعر بعض الشعراء الجاهليين .

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-594 (والحاشية)
(2) ديوان الحطيئة ص / 45 / المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت .
(3) المفصل . د . جواد 7 / 594 وما بعدها .

ج ـ أنواع وأسماء المنسوجات والملابس

سبق أن بيّنا بصورة عامة صناعة النسيج والحياكة في العصر الجاهلي عند العرب الجاهليين ، ثم أفردنا باباً لكل مادة متوفرة في ذلك العصر من شعر ووبر وصوف وقطن وحرير وكتان ووشي والمستوى الصناعي والانتاجي لكل منها والآن سنحاول التفصيل في تبيان أنواع المنسوجات والملابس .

وقد وجدنا أن هذه العملية من الصعوبة بمكان ، إذ أن هناك المئات من الأسماء والتي يصعب التمييز فيما بينها ؛ إن كانت من نوع المنسوجات أو هي من نوع الملابس ، واذا اهتدينا الى ذلك اعترضتنا صعوبات جديدة هل هي منسوجات قطنية أم صوفية أم كتانية الخ . . ثم إذا وُفِّقْنا الى بلوغ تلك الغاية وجدنا عقبة جديدة ، هل تلك المنسوجات أو الملابس من النوع الرقيق أو الكثيف . واذا لجأنا إلى المعاجم نستنجد بها ، وجدنا أن أصحاب المعاجم أنفسهم في حيرة من أمرهم في هذا المجال وهذه بعض الأمثلة : قال عنترة :

أكُرُّ عَلَيْهِمُ مُهْرِي كلِيماً قلائِدُهُ سَبَائِبُ كالْقِرَامِ[1]

وإذا أردنا أن نحدد معنى (القرام) ولجأنا الى القاموس المحيط (للفيروز آبادي) وجدنا[2] : القِرام ككتاب الستر الأحمر أو ثوب ملوّن من صوف فيه رقم ونقوش ، أو ستر رقيق كالمِقرم والمِقرمة كمكنسة وهي مَحْبِسُ الفراش أيضاً . . الخ . .

---

(1) الديوان ص ـ67 ـ دار صعب ـ بيروت .

(2) القاموس المحيط4-165 ـ دار الجيل

وفي لسان العرب[1] : القِرام : ثوب من صوف ملوّن فيه ألـوان من العهن ، وهو صفيق يتخذ ستراً ، وقيل : هو الستر الرقيق والجمع قُرُم ، وهو المِقْرَمَـة ، وقيل : المقرمـة مَحْبِس الفـراش . . والقِـرام : سِتْـرٌ فيه رَقْـمٌ ونقوش . . . والقرام ثوب من صوف غليظ جداً يفرش في الهودج . . وقيل القِرام الستر الرقيق وراء الستر الغليظ . . الخ . .

وعليه فهل بامكاننا تصنيف (القرام) مع المنسوجات الصوفية ؟ ومن أي نوع من المنسوجات نعتبره ؟ من الملابس أم الستائر أم البسط ؟ وهل هو من المنسوجات الرقيقة أم من الصفيقة ؟

ومثال آخر : عَبْقَرِيّ : ثياب عبقـرية . . وفـي الحـديث : أنـه كان يسجد على عَبْقَرِيٍّ ، وهي هذه البسط التي فيها الأصباغ والنقوش . . قال الفـراء : العَبْقَـرِيّ الطنـافس الثخـان ، واحدتهـا عبقـرية ، والعَبْقَـرِيّ الديباج . . قال ابن سيده : والعَبْقَرِيّ والعباقري ضرب من البسط ، الواحدة عبقرية . قال : وعبقر قرية باليمن توشّى فيها الثياب والبسط ، فثيابها أجود الثياب فصارت مثلاً لكل منسوب الى شيء رفيع »[2] .

وعليه هل بامكاننا الحسم بمعنى لفظة (عبقري) على أنها ثياب أي ملابس ، أم نوع من البسط ، أم طنفسـة ، أم ديبـاج ، أم نسبـة الـى قرية باليمن ؟ .

أعتقد أنه كان بالامكان تجنّب الخوض بهذا البحث المعجمي ولـكن ، حرصاً مني على الأمانة العلمية أردت توضيح هذه الحقيقة لألفت الانتباه الى

---

(1) اللسان 12 -474 ـ دار صادر

(2) اللسان 4 -534 وما بعدها ـ دار صادر .

أن التصنيف الذي سأورده لا يجوز اعتباره صحيحاً تماماً ، وإنما حاولت أن يكون أقرب ما يكون من الصحة خاصة وأنني اتَّبعت فيه نفس الأسلوب الذي اتّبعه ابن سيده وهو أفضل ما تمكنت من الاطلاع عليه من المصادر والمراجع في هذا المجال ، هذا مع الاشارة الى أنني سأورد ما ذكره ابن سيدة [1] وأضيف اليه ما وجدته ناقصاً عنده وواردأ في الأدب العربي للعصر الجاهلي وخاصة ما تيسر لي الاطلاع عليه من الشعر ، حيث سأورد شواهد على ذلك :

- **الأتحمية ، الباغزية ، البربيطاء ، الجهرمي ، الحبرة (اليمن)** قال الحطيئة :

وَغَيْثٍ جُمادِيٍّ كانَّ تِلاعَهُ وحِزَّانَه مكْسُوَّةٌ حَبِراتِ [2]

وقد ورد في اللسان : الحبرة ضرب من برود اليمن منمَّر . الليث : برود حِبَرَة ضرب من البرود اليمانية . قال : وليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً وإنما هو وَشْيٌ . والحبير من البرود : ما كان موشياً مخطّطاً . وقال رسول الله (ص) : مَثَلُ الحواميم في القرآن كمثل الحِبَرَاتِ في الثياب [3] .

- **والحميري** ، وقال الحطيئة أيضاً :

تراها بعد دَعْسِ الحَيِّ فيها كحاشيةِ الرِّداءِ الحِمْيَرِيِّ [4]

---

(1) المخصص - ابن سيدة - المجلد الأول - الجزء الرابع - ص - 78 وما بعدها - المكتب التجاري - بيروت .

(2) ديوان الحطيئة ص - 116 المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت

(3) اللسان 4 - 159 - دار صادر

(4) ديوان الحطيئة ص - 138

وهي نسبة إلى « حِمْيَر) ـ اليمن . **والخيش** ،**والخوخة** ،**والخز رانق** (فارسي) ، **والخال**(اليمن) قال النابغة الذبياني :

كأنَّ كُشُوحَهُنَّ مُبَطَّنَاتٍ إلى فوق الكُعُوبِ ،برودُ خالِ(1)

وقال ساعدة بن جؤيّة :

يُذْرِينَ دَمْعاً على الأشْفارِ مُنْحَدِراً يَرْفُلْنَ بعدَ ثيابِ الخالِ في الرُّدُمِ(2)

وقال الشماخ :

وبُرْدانِ من خالٍ وتِسْعونَ دِرْهماً على ذاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الجِلْدِ ماعِزُ(3)

« والخال ضرب من برود اليمن الموشية . والخال : الثوب الناعم ، زاد الأزهري : من ثياب اليمن(4) .

ـ **والخمائل** . قال الأعشى :

الواهِبُ القَيْنَاتِ كالْـ ـغِزْلانِ في عَقِدِ الخَمَائِلْ(5)

ـ **والخزّ** ، قال المرار بن المنقذ :

تَطَأُ الخَزَّ ولا تُكْرِمُهُ وتُطيلُ الذَّيْلَ مِنْهُ وتَجُرّ(6)

« . . والخزُّ معروف من الثياب مشتق به ، عربيٌّ صحيح . . ابن الأثير : الخز المعروف أولاً ثياب تنسج من صوف وإبْرَيْسِم وهي مباحة ،

---

(1) ديوان النابغة ص ـ89 ـ دار صعب ـ بيروت
(2) ديوان الهذليين 1-206 ـ الدار القومية ـ القاهرة ـ1965
(3) جمهرة أشعار العرب ص ـ298 دار صادر
(4) اللسان 11-229 ـ دار صادر
(5) ديوان الأعشى ص ـ156 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت . الخمائل : الثياب المخملية
(6) المفضليات ص ـ91 شاكر وهارون دار المعارف بمصر .

قال : وقد لبسها الصحابة والتابعون ، فيكون النهي عنها لأجل التشبه بالعجم وزِي المترفين ، قال : وإن أريد بالخز النوع الآخر ، وهو المعروف الآن ، فهو حرام لأنه كله معمول من الإبريسم ، قال : وعليه يحمل الحديث الآخر : قوم يستحلون الخزّ والحرير »[1] .

ـ والدرقل ،والدّعلج ،والرازقي وهو « ثياب كتان بيض . وقيل كل ثوب رقيق رازقيٌّ ، وقيل : الرازقي الكتان نفسه . قال لبيد يصف ظروف الخمر :

لهـا غَلَلٌ من رازِقِـيٌّ وكُرْسُفٍ بأيْمَانِ عُجْمٍ يَنْصُفُونَ المَقَاوِلا

أي يخدمون الأقيال (الملوك) ، وأنشد ابن بري لعوف بن الخَرِعَ :

كأنَّ الظِّبـاءَ بهـا والنِّعَـا جَ يُكْسَيْنَ من رازِقِـيٌّ ، شِعاراً[2]

ـ والسيراء ، قال المرقش الأكبر :

كَسَبِيبَـةِ السِّيَرَاءِ ذاتِ عُلالَة تَهْـدِي الجِيادَ غَدَاةَ غِبٌّ لِقَائِها[3]

« والسّيراء : ضرب من البرود ، وقيل : هو ثوب مسيّر فيه خطوط تعمل من القزِّ كالسيور ، وقيل برد يخالطها حرير ؛ قال الشماخ :

فَقَـالَ إِزَارٌ شَرْعَبِـيٌّ وأرْبَعٌ مِنَ السِّيَرَاءِ ، أو أوَاقٍ نَوَاجِزُ

وقيل : هي ثياب من ثياب اليمن . . الجوهري : والسيراء برد فيه خطوط صفر ، قال النابغة :

صفـراءُ كالسِّيَرَاءِ أُكْمِـلَ خَلْقُها كالغُصْـنِ في غُلَوَائِـهِ المُتَأوِّدِ[4]

---

(1) اللسان5 -345 ـ دار صادر .

(2) اللسان10 -116

(3) المفضليات ص ـ234 .

(4) اللسان4 -390

- **والسحل** ، قال النابغة الذبياني :

ونـــاجية عدّيتُ في متـــنِ لاحبٍ كسحلِ اليماني ، قاصد للمناهِلِ (1)

وقال طرفة :

وبالسَّفْـــحِ آياتٌ كأنَّ رُسُومَهَا يَمــانٍ ، وَشَتْـــهُ رَيْدَةٌ وسَحُولُ (2)

« سحول : قرية من قرى اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تسمى السحولية . ريدة وسحول قريتان ، أراد وشته أهل ريدة وسحول » (3) .

« **والعُمَرِيَّةُ** : ثياب مصبوغة بالشَّـرَفِ ، وهـو طين أحمـر ، وثـوب مُشَرَّف : مصبوغ بالشَّرَف » (4) .

- **والعصب** . قال الأعشى :

يَرْكُضْـــنَ كُلَّ عَشِيَّةٍ عَصْـــبَ المُـــرَيَّشِ والمَرَاجِلْ (5)

- **والغوط ،والمفدم** . قال عنترة :

وبِـــكُلِّ مُرْهَفَـــة لَهَـــا نَفَذٌ بَيْنَ الضُّلُـــوعِ كَطُـــرَّةِ الفَدَمِ (6)

« . . والمفدّم من الثياب : المشبع حمرة . . وفي حديث عروة : أنه كُرِهَ المفدم للمُحْرِمِ ولم يرَ بالمضرّج بأساً ، المضرّج : دون المفدّم وبعده المُورَّد » (7) .

---

(1) ديوان النابغة ص ـ177

(2) ديوان طرفة ص ـ79 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

(3) اللسان 11 - 331 ، معجم البلدان ـ لياقوت الحموي 3-195 دار صادر .

(4) اللسان 9-174 .

(5) ديوان الأعشى ص ـ156 : يركضن : يضربن بأرجلهن عند الرقص . العصب : من البرود اليمنية ؛ المريش : الموشى . المراجل : صور رجال

(6) ديوان عنترة ص ـ64 دار صعب ـ بيروت

(7) اللسان 12 -450 دار صادر

- **والقوهــي** ، « وهـو ضرب من الثياب بيض فارسـي ، الأزهـري : الثياب القوهية معروفة منسوبة الى قوهستان ، قال ذو الرمـة : **من القَهْـز والقوهِيِّ بيضُ المَقانِعِ** . وأنشد إبن بري لِنُصَيب :

سَوِدْتُ فلـــم أَمْلِكْ سَوَادِي ، وَتَحْتَهُ قميصٌ مِنَ القُوهِيِّ ،بيضُ بَنائِقُهُ »(1)

- **والقَهْزُ** : والقِهْزُ . والقَهْـزِي : ضرب من الثياب تتخـذ من صوف كالمرعِزَّى ، وقال ابن سيده : هي ثياب صوف كالمرعزى وربما خالطهـا حرير . وقيل هو القزُّ بعينه وأصله بالفارسية كهزانة(2) .

- **والقلمون** : وهي مطارف كثيرة الألوان(3) . **والقُـرْدح ،والقبطــري** (ثياب بيض) ، **والقَرْقل والقطر** : « . . والقِطْرِيَّةُ : ضرب من البرود . وفي الحديث : انه ، عليه السـلام ، كان متوشِّحاً بثوب قِطْـرِيٍّ . وفـي حديث عائشة : قال أيمن دخلت على عائشة وعليها درع قِطْرِيٌّ ثمنه خمسة دراهم . أبو عمرو ، القِطْرُ نوع من البرود ، وأنشد :

كَسَــاكَ الحَنْظَلِــيُّ كســاءَ صُوف وَقِطْــرِيّاً ، فَأَنْـــتَ بِهِ تفيد

شمر عن البكراوي قال : البرود القطرية حُمرٌ لها أعلام فيهـا بعض الخشونة . وقال خالد بن جنبه : هي حُلَلٌ تُعمل بمكان لا أدري أين هو . قال : وهي جياد وقد رأيتها وهي حمر تأتـي من قبـل البحـرين . قال أبـو منصور : وبالبحـرين علـى سيف وعُمـان مدينـة يقـال لهـا قَطَـرٌ . قال : وأحسبهـم نسبوا هذه الثياب إليها فخفّفوا وكسروا القاف للنسبة »(4) .

---

(1) اللسان13 -532 دار صادر
(2) اللسان5 -398 دار صادر
(3) المخصص ـ ابن سيدة المجلد الأول الجزء الرابع ص ـ79 المكتب التجاري ـ بيروت
(4) اللسان5 -105

ـ **والقسية** : « . . وقسٌ والقسٌ . موضع ، والثياب القسِّيَّة منسوبة اليه ، وهو ثياب فيها حرير تجلب من مصر . وفي حديث علي ، كرّم الله وجهه : أنه ، عليه السلام ، نهى عن لبس القسِّيِّ ، هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر ، نسبت الى قرية على ساحل البحر قريباً من تِنِّيس ، يقال لها القَسٌ »(1) .

وبعد أن يورد ياقوت الحموي ما ذكر في اللسان يضيف : « وفي بلاد الهند بين نهر (وارا) بلد يقال لها القَسٌ مشهور يجلب منه أنواع من الثياب والمآزر الملونة ، وهي أفخر من كل ما يجلب من الهند من ذلك الصنف »(2) .

وقد ذكر الإثنان لربيعة بن مقروم قوله :

جَعَلْنَ عتيق أنْمَاط خُدُوراً وَأظْهَرْنَ الكرادي والعُهُونا
على الأحْداجِ ،واسْتَشْعَرْنَ رَيْطاً عِرَاقيّاً ، وقَسِّيّاً مَصُونا

ـ **والكرباس** (فارسي) ، **والمعاجر** (يمني) ، **والمهصر** ، **والمرحل** (برود يمنية) قال امرؤ القيس :

فقُمْتُ بِها أمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنا على إثْرِنا أذْيالَ مِرْط مُرَحَّلِ(3)

ـ « والمرحّل : ضرب من برود اليمن ، سُميّ مرحلاً لأن عليه تصاوير رَحْل . ومرط مرحّل : إزار خزٍّ فيه علم ؛ وقال الأزهري : سمي مرحلاً لما عليه من تصاوير رحل وما ضاهاه . . ومرط مرحّل : عليه تصاوير الرِّحال (الطنافس الحيريّة)(4) .

---

(1) اللسان 6-175 ـ دار صادر
(2) معجم البلدان ـ4-346 ـ دار صادر
(3) شرح المعلقات ـ الانباري ـ هارون ص ـ53 البيت ـ28 الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر .
(4) اللسان 11-278 ـ دار صادر

ـ **والمرَجَّل** وذكره ابن سيده « المِرْجَل » ، وعند الدكتور جواد علي : « الممرجل (الممرحل) ، ثياب من الوشي فيها صور المراجل . ويظهر أنها المراجل ، جمع المرجل . والمرجل (المرحل) برد يماني . . ويظهر أنها كانت موشاة وكانت من ألبسة المترفين »[1] .

وقد ورد في شعر الأعشى قوله :

يَرْكُضْـــنَ كلَّ عَشِيَّةٍ عَصْـــبَ المُـــرَيَّشِ والمَرَاجِلْ[2]

« وبردٌ مُرَجَّلٌ : فيه صور كصور الرجال »[3]

ـ **والمهاصري** : ضرب من برود اليمن . **والنِّصْعُ** : « ضرب من الثياب شديد البياض ، قال الشاعر :

مُجْتَابُ نِصْعٍ يَمَانٍ فوقَ نُقْبَتِه، وبالأكارِعِ من دِيباجِه قطعَ[4]

ـ **والوصيل** : « برود اليمن ، الواحدة وصيلة . وفي الحديث : أن أول من كسا الكعبة كِسوة ، كاملة تُبَّعٌ ، كساها الأنطاع ، ثم كساها الوصائل أي حمر اليمن . . القتيبي : الوصائل ثياب يمانية ، وقيل : ثياب حمر مخطّطه يمانية ، ضرب هذا مثلاً لإحكامه إياه . . ابن الأثير : أراد بالوصائل ما يوصل به الشيء »[5] .

ـ **والطَّبْلُ** : « ضرب من الثياب ، وقيل : هو وشي يمان فيه كهيئة

---

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . د . جواد علي 7-525

(2) ديوان الأعشى ص156

(3) اللسان 11-267

(4) اللسان 8-356

(5) اللسان 11-729

الطبول . التهذيب : الطَّبل ثياب عليها صورة الطَّبل تسمى الطَّبْلِيَّة ، ويقال لها أردية الطبل تحمل من مِصر »[1] .

- والشطوية ،والشرعبية : قال الحطيئة :

مُنَعَّمَــةٌ تَصُــونُ إِلَيْكَ مِنْها كَصَوْنِكَ مِنْ رِداء شَرْعَبِي[2]

وقال الأعشى :

والبَغَــايَا يَرْكُضْــنَ أكْسِيَةَ الإِضْــ ــرِيجِ والشَّرعَبِيَّ ذاالأذْيالِ[3]

وقال الشماخ :

فقال : إزارٌ شرعبـــيٌّ وأربعٌ من من السِّـــيرَاءِ أو أواق نواجِزُ[4]

والشرعبيّ والشرعبية : ضرب من البـرود »[5] « والشرعبية أيضـاً من الثياب الحارية (نسبة إلى الحيرة[6] .

- والمجسَّـد :« . . قيل للثـوب : مجسد إذا صبغ بالزعفــران . . الليث : الجِساد الزعفران ونحوه من الصبـغ الأحمـر والأصفـر الشـديد الصفـرة . . والثوب المجسد ، وهو المشبع عصفرا أو زعفراناً »[7]

قال الحطيئة :

إذا النـومُ ألهَاهــا عن الـــزَّادِ خَلْتَها بُعَيْدَ الكَرَى باتــتْ على طيٍّ مجسد[8]

---

(1) اللسان 11 -398

(2) ديوان الحطيئة ص ـ138

(3) ديوان الأعشى ص ـ167

(4) جمهرة أشعار العرب ص ـ298

(5) اللسان 1 -494

(6) العمدة ـ ابن رشيق 2-231 ـ دار الجيل ـ الطبعة الرابعة .

(7) اللسان 3 -121

(8) ديوان الحطيئة ص ـ45

وقال ايضا :

إلـى طفلـةِ الأطــراف زَيَّنَ جيدَها مع الحَليْ والطِّيبِ المجاسِدُ والخُمُرْ[1]

وقال قيس بن الخطيم :

مِنَ اللأئــي إذا يَمْشِينَ هوْناً تَجَلْبَبْــنَ المَجَاسِــدَ والبُرُودَا[2]

وقال المرقش الأكبر :

يَرُحْـنَ معــاً بِطَــاءَ المُشْــي بُدّاً عليهــنّ المَجَاسِــدُ والبُرُودُ[3]

- **والفوف** : « . . ضرب من برود اليمن . وفي حديث عثمان : خرج وعليه حلَّةَ أفواف ؛ الأفواف : جمع فوف وهو القطـن . الليث : الأفـواف ضرب من عَصْبِ البرود . ابن الأعرابي : الفوف ثياب رقاق من ثياب اليمن موشّاة ؛ الجوهري : الفوف قطع القطن »[4] .

قال عنترة

وغَــادَرْنَ مَسْعُــوداً كأنَّ بِنَحْرِه شُقَيْقَــةَ بُرْه مِنْ يَمَــانٍ مُفَوَّفِ

- **الكتان** : سبق أن فصّلنا عن الكتان والآن نضيف أن منه **الأبق** . قال الحطيئة :

خافـوا الجنـانَ وَفَــرُّوا مِنْ مُسَوَّمَة يُلْـوَى بِأعْنَاقِهـا الكتــانُ والأبَقُ[5]

- **والشريع ،والرازقي ،والزير ،والفـرقبية ،والقنــب ،والكنــار** :

---

(1)

(2) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ146

(3) المفضليات ص ـ233 ـ شاكر وهارون ـ الطبعة الخامسة ـ دار المعارف بمصر

(4) اللسان 9-273

(5) ديوان الحطيئة ص ـ264 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت

« وفي المحكم : الكِنَّارُ الشقة من ثياب الكتان ، دَخِيلٌ[1] .

والهُبْـرُ : مُشَاقَةُ الكتـان ؛ يمـانية ، قال: كالهُبْـرِ ، تحـت الظُّلَّـةِ ، المرشوشِ »[2]

- **القطن** : سبق أن فصّلنا عنه وعن **البـرس والطُّـوط** وغـيره والآن نضيف .

والبيلم : القطن ، وقيل : قطن القصب ، وقيل : الذي في جوف القصبة ، وقيل : قطن البَرْدِيِّ »[3] **والخرفـع والخرنع**[4] **والسبيخـة** ، والضريبـة ، والعُطُبُ والعُطْبُ : القطن ، واحدته عُطبة . وفي التهـذيب: العَطْـبُ لين القطن والصوف . وفي حديث طاووس أو عِكْرمة : ليس في العُطْب زكاة ، هو القطن ، قال الشاعر :

كأنـه ، في ذُرَى عَمائِمهم مُوَضَّـعٌ من مَنـادِفِ العُطُبِ[5]

- **والكرسف** ، **والكرباس** ، وقد تكون أصـل لفظـة (قطـن) « وفـي التوراة لفظة (كربس) ، أي الكربـاس ، فسرهـا علمـاء التـوراة بمعنـى (قطن) . ولفظة (كرباس) معروفة في العربية . وهي من الألفاظ المعربة المعروفة عند الجاهليين . وترد في لغة بني إرم وفـي العبـرانية واليونـانية واللاتينية . وقد ذهب بعض العلماء ، أنها من أصل سنسكريتي وأنها تعني

---

(1) اللسان 5-152
(2) اللسان 5-248
(3) اللسان 12-53
(4) المفصل . د . جواد علي 7-613
(5) اللسان 1-610

شجرة القطن . . . »[1] . والقطن يخضع لعملية الندف والحلج والحدج والسحل[2] .

- **الوشي** : سبق أن فصّلنا عن : الرقم ، والمرجل ، والمسهم ، والخال ، والسيراء ، والعقل ، والمعضد ، والحبر ، والقرام والسيح والعهن والآن نضيف ما ذكره ابن سيدة :[3] العَقم والقِطْع والمُعين والمحفِد والمكعب والمخلّب ، والمنمنم والمضرس والموشّع والنّمش .

- **الخز والقز والحرير** : سبق أن فصّلنا عن الإبريسم ، والقز ، والسندس ، والاستبرق ، والدمقس ، والسرق ، والديباج ، والقسّي ، والسيراء ، والخسرواني . ونضيف الآن ما أورده ابن سيده[4] زيادة عما ذكرناه وهو : **الاضريح** . قال النابغة :

تُحَيِّيهُمُ بِيضُ الوَلائِدِ بينهم وأكْسِيةُ الإضْريحِ فوقَ المَشَاجِبِ[5]

وقال الأعشى :

والبَغَايَا يَرْكُضْنَ أكْسِيَةَ الإضْـ ـريحِ والشَّرْعَبِيَّ ذا الأذيالِ[6]

« والاضريح صبغ أحمر ؛ . . وقيل لا يكون الإضريح إلاّ من خزٍّ . . وقيل أصفر »[7]

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-613

(2) المخصص - ابن سيده - المجلد الأول - الجزء الرابع ص 80

(3) المصدر السابق .

(4) المصدر السابق .

(5) ديوان النابغة ص -47

(6) ديوان الأعشى ص -167

(7) اللسان 2-313

- **والـــرَّدن** : « الأَرْدَنُ : ضرب من الخــز الأحمــر ، والــرَّدَنُ ، بالتحريك : القزّ ، وقيل : الخزُّ . وقيل : الحرير ؛ قال عدي بن زيد :

ولقــد أَلْهُــو بِبِــكْرٍ شَادِنٍ   مَسُّهَــا أَلْيَنُ مِنْ مَسٍّ الرَّدَنْ

وقال الأعشى :

يَشُــقُّ الأُمــورَ وَيَجْتَابُها   كَشَــقِّ القَــرارِيِّ ثَوْبَ الرَّدَنْ

القراري : الخياط . وقال الليث في تفسير البيت : الـرَّدَنُ الخـز الأصفر ، والرّدن الغزل يفتل الى قدام ، وقيل هو الغزل المنكوس »[1] .

- **والسُّخام** : من الشعر والريش والقطن والخزّ ونحو ذلك : اللّين الحَسَن »[2]

والطُّرن : الطُّرن والطَّارونيُّ : ضرب من الخز . الليث : الطُّرن الخز ، والطاروني ُضرب منه »[3] **والقهز والقلمون** سبق توضيحهما في باب أنواع المنسوجات .

- **واللاَّذُ** : ثياب حرير تنسج بالصين ، واحدته لاذة ، وهو بالعجمية سواء ، تسميه العرب والعجم اللاذة »[4] .

د ـ أسماء الملابس وأنواعها :

يبدو أن ثياب المرأة في العصر الجاهلي كانت بصورة عامة كما يلي :

السروال ، والشّعار ، والدثار ، والنطاق والحلة والحبرة وللرأس العَمارُ والخمار .

---

(1) اللسان 13 -178

(2) اللسان 12 -283

(3) اللسان 13 -265

(4) اللسان 3 -508

ـ **السرَّاويل**: فارسي معرب، يذكر ويؤنث ، ولم يعرف الأصمعي فيها إلاّ التأنيث ؛ قال قيس بن عُبادة :

أرَدْتُ لِكَيْمـا يَعْلَـم النـاسُ أنها سَراوِيلُ قَيْس ، والوُفُـودُ شهودُ
وأن لا يَقُولـوا : غَابَ قَيْسٌ وهذه سَرَاويلُ عادِيٍّ نَمَتْـهُ ثَمودُ[1]

ـ **والشعار** : قال المرار بن المنقذ :

تَطَـأُ الخَـزَّ ولاَ تُكْرِمُهُ وتُـطِيلُ الـذَّيْلَ مِنْـهُ وتَجرْ
وتَـرَى الـرَّيْطَ مَوَادِيعَ لها شُعُـراً تَلْبَسُهـا بَعْـدَ شُعُرْ[2]

شعر جمع شعار وهو الثوب الذي يلي الجسد .

ـ **والدثار** : « الثوب الذي يستدفأ به من فوق الشعار » .[3]

ـ **النِّطاق** : « . . وفي المحكم : النِّطاق شقَّة أو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ، ثم ترسل الأعلى على الأسفل الى الركبة ، فالأسفل ينجر على الأرض ، وليس لها حجزة ولا نيفق ولا ساقان ، والجمع نُطُق »[4]

ـ **الحلّة** : « . . وقال اليمامي : الحُلَّة كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو دقيق ولا يكون إلا ذا ثوبين ، وقال ابن شميل : الحلّة القميص والإزار والرداء لا تكون أقل من هذه الثلاثة . وقال شمر : الحلة عند الأعراب ثلاثة أثواب »[5] .

---

(1) اللسان 11- 334
(2) المفضليات ص ـ91
(3) اللسان 4- 276
(4) اللسان 10- 355
(5) اللسان 11- 172

قال عنترة :

وَبَــدْرٌ قد تركنــاهُ طريحاً كأنَّ عليه حُلَّــةَ أُرْجُوَانِ[1]

وقال القطامي :

فَهُــنَّ كالْحُلَلِ المُوْشِــيِّ ظاهِرُها أو الكتــابِ الــذي قد مَسَّــهُ بَلَلُ[2]

- **والحبرة** : « هي ضرب من ضروب البرود كذلك ، وهي البرود الموشاة المخططة . وقيل ضرب من برود اليمن منمر . وذكر أن الحبير الثوب الجديد الناعم . وفي حديث أبي ذر : الحمد لله الذي أطعمنا الخمير وألبسنا الحبير . وفيه دلالة على أن الحبير من ألبسة المتمكنين ، وليس في وسع الفقراء اقتناؤها »[3] .

- **والعَمَار** والعَمَارة : كل شيء على الرأس من عمامة أو قلنسوة أو تاج أو غير ذلك »[4]

- **والخمار** : « . . والخمار للمرأة ، وهو النصيف ، وقيل : الخمار ما تغطي به المرأة رأسها »[5] قال النابغة :

سقــط النصيف ولــم ترد إسقاطه فتناولتــه واتقتنــا باليد *

---

(1) ديوان عنترة ص ـ233 ـ دار صعب ـ بيروت .
(2) جمهرة أشعار العرب ص ـ288 دار صادر .
(3) المفصل . د . جواد علي 7-525
(4) اللسان 4-605
(5) اللسان 4-257
(*) ديوان النابغة ص / 93 / دار المعارف .

ومن الملابس ما هو رقيق ومنها ما هو كثيف ومنها ما هو مخطط . ومن الملابس الرقيقة :

ـ **الخمار** سبق ذكره ، **والخال** سبق ذكره أيضاً ونضيف قول النابغة الذبياني :

كأنَّ كُشُوحَهُنَّ مُبَطَّنَاتٍ إلى فوقِ الكُعوبِ ،بُرُودُ خَالِ[1]

ـ **والسبوب** : « والسبُّ : الثوب الرقيق وجمعه أيضاً سُبُوبٌ .

قال شمر : السَّبائب متاع الكتان ، يُجاءُ بها من ناحية النيل ، وهي مشهورة بالكرْخ عند التجار ، ومنها ما يُعمل بمصر ، وطولها ثمان في ست »[2] .
قال عبد الله بن سلمة :

وَنَاجِيَةٍ بَعَثْتُ على سبيلٍ كأنَّ بياضَ مَنْجَرِهِ سُبُوبُ[3]

الناجية : الناقة السريعة . السبيل : الطريق . منجر الطريق : معظمه وجادته .

وقال علقمة بن عبدة :
تَتَبَّعُ أَفْيَاءَ الظِّلالِ عَشِيَّةً على طُرُقٍ كَأَنَّهُنَّ سُبُوبُ[4]

ـ **والسَّابري** : « . . والسَّابري من الثياب الرقاق ، قال ذو الرمة :
فجاءتْ بِنَسْجِ العنكبوتِ كأنَّهُ على عَصَوَيْها ،سَابِرِيٌّ مُشَبْرَقُ

---

(1) ديوان النابغة ص ـ89
(2) اللسان 1 -456
(3) المفضليات ص ـ104
(4) المفضليات ص ـ393

وكل رقيق سابري . . وفي المثل : عرض سابري ، بقوله من يُعرض عليه الشيء عرضاً لا يبالغ فيه لأن السابري من أجود الثياب يُرغب فيه بأدنى عرض »[1] .

قال عنترة :

وَبَطْــنٌ كَطَــيِّ السَّابِــرِيَّةِ لَيِّنٌ   أقَبُّ لَطِيفٌ ضَامِــرُ الْكَشْــحِ مُدْمَجُ[2]

- **والسِّلابُ والسُّلُبُ** : « ثياب سود تلبسها النساء في المأتم ، واحدتها سَلَبة . وسلَّبَت المرأة ، وهي مُسَلِّبٌ إذا كانت مُحِدّاً تلبس الثياب السود للحداد . وتسلَّبت : لبست السِّلاب وهي ثياب المأتم السود ؛ قال لبيد :

يَخْمِشْــنَ حُرَّ أوْجُــه صِحَاحِ   في السُّلُبِ السودِ ،وفــي الأمْسَاحِ[3]

(كساء من الشعر)

قال عنترة :

وقــد كنــتُ أخْشــى أن أمــوتَ ولــم تقُمْ

قَرَائِــبُ عَمْــروٍ وَسْــطَ نَوْحٍ مُسَلِّبِ[4]

- **والمُشَبْرَقُ** : « أبو عمرو : المشبرق الرقيق من الثياب ، والمقطوع أيضاً مشبرق »[5] .

- **والمشمرخ والهفاف أيضاً من الملابس الرقيقة .**

---

(1) اللسان 4-341

(2) ديوان عنترة ص ـ110

(3) اللسان 1-473

(4) ديوان عنترة ص ـ35

(5) اللسان 10-172

1 ـ النوع الكثيف من الملابس ، منها

- **البُصْمُ** : « . . وثوب له بُصْمٌ إذا كان كثيفاً كثير الغزل »(1)

ـ **والحصيف** : « . . وثوب حصيف اذا كان محكم النسج صفيقه ، وأحصفَ الناسجُ نسجَه »(2) .

ـ **والخَنيف** : « أردأ الكتان . . وقيل : الخنيف ثوب كتان أبيض غليظ . . وفي الحديث : أن قوماً أتوا النبي ، (ص) ، فقالوا : تخرقت عنا الخُنُفُ وأحرق بطوننا التمر ؛ الخنف واحدها خنيف ، وهو جنس من الكتان أردأ ما يكون منه كانوا يلبسونها »(3) .

قال قيس بن الخطيم :

واللهِ ذي المسْجِدِ الحرامِ وما ... جُلِّلَ مِنْ يُمْنَةٍ لَهَا خُنُفْ(4)

ـ **والخَصَفُ** : ثيابٌ غِلاظٌ جداً »(5) .

ـ **والشَّوْكاءُ** : « . . وحلَّةٌ شوكاء ؛ قال أبو عبيدة : عليها خشونة الجِدَّة ، وقال الأصمعي : لا أدري ما هي ؛ قال المتنخل الهذلي :

وأكسو الحُلَّةَ الشَّوْكاءَ خِدْني ... وبعضُ القَوْمِ في حُزَنٍ وِرَاطِ

وهذا البيت أورده ابن بري :

وأكسو الحلةَ الشوكاء خَدِّي ... إذا ضَنَّتْ يَدُ اللَّحِزِ اللَّطاطِ(6)

---

(1) اللسان 12 -50

(2) اللسان 9 -48

(3) اللسان 9 -98

(4) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ111 ـ مكتبة صادر ـ د . ناصر الدين الأسد ـ الطبعة الثانية ـ967

(5) اللسان 9 -72

(6) اللسان 10 -454

- **والشبيع** : « . . وحبلٌ شبيع الثَّلَّة : متينها : وثَلَّتُه صوفُه وشَعَرُهُ ووَبَرُه ، والجمع شُبُع ، وكذلك الثوب ، يقال : شبيع الغزل ، أي كثيره ، وثياب شُبُعٌ »[1] .

- **والصفيق** : « . . متين بيِّن الصَّفاقة ، وقد صَفُقَ صفاقة : كثف نسجه »[2] .

- **والمُوجَحُ** : « الكثيف الغليظ ، وثوب متين كثيف ، وثوب مُوجَحٌ : كثير الغزل كثيف »[3]

2 ـ النوع المخطط من الملابس ، منها

- **الآخِنِيُّ** : ثياب مخططة ؛ قال العجاج : **عليه كتّانٌ وآخِنِيٌّ** »[4] .
- **والدَّفَنِيُّ** : ضرب من الثياب ، وقيل من الثياب المخططة ، وأنشد ابن بري للأعشى :

الـواطِئينَ علـى صُدورِ نعالهم ، يمشـون في الدَّفَنِـيِّ والأبْرَادِ

- **والمبرقش** : من البرقشة ، « والبرقشة : شبه تنقيش بألوان شتّى . . وبرقَشَة : نقشه بألوان شتّى »[5] .

- **والمسيّر** : سبق ذكره فيه خطوط تعمل من القز كالسيُّور .
- **والمسيَّح** : « والسَّيّح : المِسْح (البلاس) المخطط . . وقيل :

---

(1) اللسان 8-171
(2) اللسان 10-204
(3) اللسان 2-629
(4) اللسان 13-9
(5) اللسان 6-265

العباءة المخطّطة ، وقيل : هو ضرب من البرود ، وجمعه سُيُوح ؛ أنشد ابن الأعرابي :

وإنـــي وإن تُنْـــكَرْ سُيُوحُ عَبَاءَتي شِفَـــاءُ الدَّقَـــى يا بِكْرَ أُمِّ تَميم [1]

وقال القطامي :

لمـــا وَرَدْنَ نَبِيّاً ، واستَتَـــبَّ بِنَا مُسْحَنْفِرٌ ، كخطوط السَّيْح مُنسَحِلُ [2]

(منجرد)

ـ **والمعضَّد** : الثوب المخطط . قال الحطيئة :

وتُضْحي الجبالُ الغُبْـرُ دونـي كَأَنَّها من الآلِ حُفَّــتْ بالمُـــلاءِ المُعَضَّدِ [3]

ـ **والمرسّم** : « وثوبٌ مُرَسَّمٌ ، بالتشديد : مخطّط » [4] . **والمفــوف** : سبق ذكره

ـ **والمسهّم** : « البُرْدُ المخطط ، قال ابن بري : ومنه قول أوْسٍ :

فإنّـا رأيْنَـا العِـرْضَ أَحْـوَجَ سَاعَةً إلى الصَّـوْنِ ، من رَيْطٍ يَمـانٍ مُسَهَّمِ

وفي حديث جابر : أنه كان يصلّي في برد مُسهّمٍ أي مخطّط فيه وشيٌ كالسِّهام . وبُرد مسهم : مخطط بصور على شكل السِّهام ؛ وقال اللحياني ؛ إنما ذلك لوشْيٍ فيه ؛ قال ذو الرمة يصف داراً :

كأنَّهـــا بعـــدَ أحْـــوالٍ مَضَيْنَ لها ، بالأَشْيَمَيْنِ ، يَمَـــانٍ فيه تَسْهِيمُ [5]

---

(1) اللسان 2-493

(2) جمهرة أشعار العرب ص ـ 288

(3) ديوان الحطيئة ص ـ 50

(4) اللسان 12-241

(5) اللسان 12-308 وما بعدها .

- **والنَّميق** : « . . وثوبٌ نَميقٌ ومُنَمَّقٌ : منقوش ، وقيل : هذا الأصل ثم كثر حتى استعمل في الكتاب »[1] .

هـ ـ الستور : ومنها :

- **الحجلة** : « والحجلة مثل القُبَّة . . ومنه حديث الاستئذان : ليس لبيوتهم ستور ولا حجال »[2]

- **والخدر** : « ستر يُمدُّ للجارية في ناحية البيت . . والجمع خدور وأخدار ، وأخادير جمع الجمع ، وأنشد : حتى تغامز ربات الأخادير »[3]

- **والرجائز** : مركب للنساء دون الهودج »[4]

- **والدرنوك والدرموك** : ضرب من الستورِ والفرش »[5] .

- **والسجف** : « ويعبر عن الستر بـ (السجف) ، وهو قماش يستر به . والسجافة السدافة ، أي الحجاب . وكل باب ستر بسترين مقرونين فكل شقٍّ منه سجف . وقيل لا يسمى سجفاً إلا أن يكون مشقوق الوسط كالمصراعين »[6] .

والشَفُّ ، والشِّفُّ : الثوب الرقيق ، وقيل : السِّتْر الرقيق يرى ما وراءه ، وجمعها شفوف »[7]

- **والقرام** : ستر أحمر أو ستر رقيق سبق ذكره .

---

(1) اللسان10 -361
(2) اللسان11 -144
(3) اللسان4 -230
(4) اللسان5 -353
(5) المفصل . د . جواد علي7 -611
(6) المفصل . د . جواد علي7 -619
(7) اللسان9 -180

ـ **والكلة** : « الستر الرقيق يُخاط كالبيت يُتوقى فيه من البـقّ ، قال : والكِلَّة غشاء من ثوب رقيق يُتَوَقّى به من البعوض »[1] قال المثقِّب العبدي :

ظَهَـرْنَ بِكِلَّـة وَسَـدَلْنَ أُخْرَى   وَثَقَّبْـنَ الوَصَـاوِصَ لِلْعُيُونِ[2]

ـ **والنُّجـود** : هي الثياب التـي تنجـد بهـا البيوت فتلبس حيطانهـا وتُبسط . . والنجود الستور التي تعلق على حيطان البيت يُزيّن بها »[3] .

و ـ الملاحف ومنها :

ـ **الإزار** : « الملحفة ، يذكر ويؤنث ؛ عن اللحياني ؛ قال أبو ذؤيب :

تَبَـرّأُ من دمِ القَتِيلِ وَبَزِّهِ ،   وقـد عَلِقَـتْ دَمَ القتيلِ إِزَارُهَا[4]

« عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانـت ملحفـة رسول الله (ص) التي يلبس في أهله مورسة (مصبوغة بالورس) حتى أنها لتردع (تنفض صبغها) على جلده » .

« . . عن ابراهيم التميمي عن أبيه عن عليّ ، قال : « رأيت لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما ، إزاراً فيه إحدى وعشرون رقعة من أدم ورقعة من ثيابنا »[5] .

ـ **والبرد** : « وقد عُرفت البرد أنها أكسية يلتحف بها ، وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هدب »[6]

---

(1) اللسان 11-595

(2) المفضليات ص ـ289 شاكر وهارون ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الخامسة

(3) اللسان 3-416

(4) اللسان 4-16

(5) عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ـ باب السؤدد ص ـ92 ـ دار الفكر ـ مكتبة الحياة .

(6) المفصل ـ د . جواد علي 7-600

قال عبيد بن الأبرص :

أو مُهْـرَةٌ مِنْ عِتَـاقِ الخيلِ سابحَةٌ   كأنَّهـا سُحْـقُ بُرْه بينَ أرْماحِ [1]

وقال قيس بن الخطيم :

مِنَ اللائِـي إذا يَمْشِينَ هـوناً   تَجَلْبَبْـنَ المَجَاسِـدَ والبُرُودا [2]

ـ والبرجد : كناية عن كساء ضخم مخطط » [3] .

قال طرفة بن العبد في معلقته :

أمـونٍ كألـواحِ الإرانِ نَصَأْتُها   علـى لاحـبٍ كأنّـه ظهـرُ بُرْجُدِ [4]

ـ والجلباب : « . . والجلباب : القميص . والجلباب : ثوب أوسع من الخمار ، دون الرداء ، تغطي به المرأة رأسها وصدرها ؛ وقيل هو ثوب واسع ، دون الملحفة تلبسه المرأة ، وقيل : هو الملحفة . قالت جَنُوبُ أخت عمرو ذي الكَلْب ترثيه :

تَمْشِـي النُّسـورُ اليه ، وهـي لاهِيَةٌ   مَشْيَ العَذَارى ، عَلَيهِنَّ الجَلابِيبُ [5]

قال قيس بن الخطيم :

كأنَّ القَرَنْفُـلَ والزَّنْجَبيلَ   وذاكي العَبِيرِ بِجِلْبَابِها [6]

---

(1) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ39 . تحقيق . د . حسين نصار القاهرة 1957

(2) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ146 مكتبة صادر الطبعة الثانية ـ 1967

(3) المفصل ـ د . جواد علي 7 - 601

(4) ديوان طرفة ص ـ22 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

(5) اللسان 1 - 272

(6) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ135 ـ دار صادر .

وقد ورد في القرآن الكريم : « يا أيُّها النبيُّ قلْ لأزواجِك وبناتِك ونساءِ المؤمنين يُدْنين عليهنَّ من جلابيبهنَّ »(1) .

- والحلّة : « . . قال خالد بن جَنْبة : الحُلَّة رداء وقميص وتمامها العمامة ، قال : ولا يزال الثوب الجيّد يقال له في الثياب حلّة ، فاذا وقع على الانسان ذهبت حلته حتى يجتمعن له إما إثنان وإما ثلاثة ، وأنكر أن تكون الحلة إزاراً ورداء وحده . . وقال ابن شميل : الحُلَّة القميص والإزار والرداء . . وقال شمر : الحلة عند الأعراب ثلاثة »(2) .

قال عنترة :

وَبَدْرٌ قَدْ تَرَكْنَاهُ طَرِيحاً   كأنَّ عَلَيْهِ حُلَّةَ أُرْجُوَانِ(3)

وقال القطامي :

فَهُنَّ كالحُلَلِ الموْشِيِّ ظَاهِرُها   أو الكتابِ الذي قدْ مَسَّهُ بَلَلُ(4)

- والرداء : « الذي يُلبس . . والرِّداء : من الملاحف . . والرداء : الغطاء الكبير »(5)

- والريطة : المُلاءَة ، وهي الملحفة والإزار . هي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين »(6)

- العطاف : الإزار والرداء . . وسُمِّيَ الرِّداءُ عطافاً لوقوعه على عِطْفَي الرجل وهما ناحيتا عنقه(7) .

---

(1) سورة الأحزاب الآية ـ59

(2) اللسان11 -172

(3) ديوان عنترة ص ـ233

(4) جمهرة أشعار العرب ص ـ288 دار صادر

(5) اللسان14 -316-317

(6) اللسان7 -307

(7) اللسان9 -251

قال الحطيئة :

من البيضِ كالغِزْلانِ والغُـرِّ كالدُّمَى حِسَانُ عَلَيْهِـنَّ المعـاطِفُ والأُزُرْ [1]

- **والعباءة** : هي مقابل (سمله) (شمله) عند العبرانيين ، وتلبس فوق الألبسة ، وتكون بعضها ثقيلة تصنع من الوبر أو الصوف ، وتستعمل في الشتاء خاصة وفي الأوقات الباردة . وبعضها خفيف ، يصنع من الصوف أو من شعر الماعز . . وتستعمل أثناء الصيف . . وقد تصنع من قطعتين من القماش ، وقد تصنع من قطعة واحدة ، وهي أحسنها وأغلاها . وتكون عباءة الأغنياء والرؤساء من قماش جيد منسوج نسجاً خاصاً محلاة في الغالب من ناحية العنق والصدر والجهة العليا من اليدين بخيوط من الحرير أو الذهب يروفها الروّاف » [2]

والمُلاءَةُ : يالضم والمدّ، وهي الملحفة والريطة » [3]

- **والمشملة** : كساء يشتمل به دون القطيفة . وذكر المشمل : كساءله خمل متفرق يلتحف به دون القطيفة . والقطيفة دثار مخمل » [4] .

- **والنساجة** : « وهي ضرب من الملاحف المنسوجة » [5] .

ز ـ من ضروب النسيج البسط والنمارق والفراش ومنها :

الأريكة : « والجمع أريك وأرائك . والأريكة : سرير في حَجَلة . وقال الزجاج : الأرائك الفُرُش في الحِجَال ، وقيل : هي الأسرَّة وهي في

---

(1) ديوان الحطيئة ص ـ100

(2) المفصل . د . جواد علي7-601 وما بعدها .

(3) اللسان1 -160

(4) المفصل . د . جواد علي7-611 و614

(5) المفصل . د . جواد علي7-611 عن جامع الأصول4-399

الحقيقة الفرش ، كانت في الحجال أو في غير الحجال . وقيل : الأريكة سرير منجّد مزين في قبّة »[1] وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الأرائك منها : « هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون »[2] .

ـ **والحَشِيَّةُ** : الفراش المحشو . . ومنه حديث عمرو بن العاص : ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله »[3] .

ـ **والدرنكة** : ورد أنها الطنفسة والبسط ذات الخمل ، وقد تكون كبيرة تفرش البيت »[4] .

ـ **والرفرف** : « . . ابن الأثير : الرَّفرف البساط أو السِّتر . . وذكر ابن الأثير عن ابن مسعود في قوله تعالى : « لقد رأى من آيات ربِّه الكبرى » . قال : رأى رفرفاً أخضر سدَّ الأفق أي بساطاً »[5] .

ـ **والزرابي** : « البسط ، وقيل : كل ما بُسِطَ واتُّكِيءَ عليه . وقيل : هي الطنافس ، وفي الصحاح : النمارق »[6] وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم : « وزرابي مبثوثة » .

ـ **والطِّنْفِسة** : والطُّنْفُسَة : النمرقة فوق الرحل ، وجمعها الطنافس . وقيل : هي البساط الذي له خَمْلٌ رقيق »[7]

---

(1) اللسان 10- 389

(2) سورة يس الآية ـ56

(3) اللسان 14- 180

(4) المفصل . د . جواد علي 7- 611 عن المعرب ص ـ152

(5) اللسان 9- 126

(6) اللسان 1- 447

سورة الغاشية الآية ـ16 .

(7) اللسان 6- 127

- **والعبقري** : « هي هذه البسط التي فيها الأصباغ والنقوش . . قال الفراء : العبقري الطنافس الثخان . . وعبقر قرية باليمن تُوَشَّى فيها الثياب والبسط . فثيابها أجود الثياب ، فصارت مثلاً لكل منسوب الى شيء رفيع »[1] .

- **والمحسبة** : الوسادة من الأَدَمِ »[2]. **والنُّخُّ** : بساط طوله أكثر من عرضه وهو فارسي معرب »[3] .

- **والنمرقة** : « فالوسادة أو الميثرة والطنفسة . وقيل : الوسادة الصغيرة ، وتوضع على الرحل كالمرفقة ، غير أن مؤخرها أعظم من مقدمها ولها أربعة سيور تشد بآخرة الرحل »[4] .

قال الأسود بن يعفر :

حَمَتْها رِماحُ الحربِ حتى تَهَوَّلَتْ بزاهِرِ نَوْرٍ مثل وَشْيِ النمارِق

وقد ورد ذكر النمارق في قوله تعالى : « ونمارق مصفوفة »* .

- **والنمط** : « ضرب من البُسُط ، والجمع أنماط . . ابن الأثير : هي ضرب من البسط له خمل رقيق »[5]

قال حسان :

طُفْنَ بالكَأسِ ، بين شَرْبٍ كِرَامٍ مَهَّدوا حُرَّ صالِحِ الأنْماطِ[6]

(1) اللسان 4-534

(2) اللسان 1-316

(3) اللسان 3-61

(4) المفصل . د . جواد علي 7-610-611 عن تاج العروس 7-81 * سورة الغاشية الآية ـ15 .

(5) اللسان 7-418

(6) ديوان حسان بن ثابت ص ـ138 دار صادر

وقال ربيعة بن مقروم :

جَعَلْنَ عَتِيــق أنْمــاط خُدوراً وَأَظْهَــرْنَ الــكَرَادي والعُهوانا[1]

وقال عبيد بن الأبرص :

عالَيْنَ رَقْمــاً وأنماطــاً مُظاهَرَةً وكِلَّــةً بعتيقِ العَقْــلِ مَقْرومَةً[2]

ح ـ الطيلسان

ويبدو أن هناك أنواع أخرى من المنسوجات ، ألفاظها من الألفـاظ المعربة أو هي من أنواع الطيلسان ومنها من الأكسية نذكر منها ما يلي :

ـ **الخميصة** : بَرْنكانٌ أسـود معلـم من المِرْعِـزَّى والصـوف ونحـوه . والخميصة : كساء أسود مربَّع له علمان فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة . قال الأعشى :

إذا جُرِّدَتْ يومــاً حَسِبْــتَ خَميصَةً عليهــا ، وجريالَ النَّضيرِ الدُلامِصَا

أراد شعرها الأسود ، شبهه بالخميصة والخميصة سوداء . النضير : الذهب . الدلامص : البراق »[3]

ـ **والبَتُّ** : « كساء غليظ ، مهلهل ، مربّع ، أخضر ، وقيل : هو من وبر وصـوف . . التهـذيب : البـت ضرب من الطَّيالِسَـة ، يسمـى السـاج . . الجوهري : البتُّ الطيلسان من خزٍّ ونحوه »[4] .

ـ **والسندس** : « البُزْيُون . . وقال المفسرون في السندس : إنه رقيق الديباج ورفيعه . وفي تفسير الاستبرق : إنه غليظ الديباج ، ولـم يختلفـوا

---

(1) معجم البلدان لياقوت4-346 واللسان6-175

(2) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ127

(3) اللسان7-31)

(4) اللسان2-8

فيه . الليث : السندس ضرب من البزيون يتخذ من المِرْعِزَّى ، ولم يختلف أهل اللغة فيهما أنهما معرّبان »[1] .

قال يزيد بن الخذاق الشني :

وداويتُها حتى شَتَتْ حَبَشِيَّةً كأنَّ عليها سُنْدُساً وسَدُوسا[2]

وقد ورد في القرآن الكريم : « عالِيَهُمْ ثيابُ سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ »[3] .

ـ **والسدوس** : الطيلسان . . وقيل : هو الأخضر منه »[4]

ـ **والسُّبْجَة** : « . . برد من صوف فيهاسواد وبياض . وقيل : ثوب له جيب ولا كميْن له . وقيل : كساء أسود . والسبيجة : القميص ، فارسي معرب »[5] .

ـ **والطَّاق** : « ضرب من الملابس . قال ابن الاعرابي : هو الطيلسان ، وقيل : الطيلسان الأخضر . عن كراع ؛ قال رؤبة :

ولو تَرَى إذ جُبَّتي مِنْ طاقِ ولِمَّتي مِثْلُ جَناحِ غاقِ[6]

ـ **والقطيفة** : وهي دثار مخمل . وقيل هي كساء مربع غليظ له خمل ووبر »[7] .

مصادر وصناعة المنسوجات

مما تقدم يبدو لنا أن صناعة النسيج والحياكة بلغت درجة ممتازة من

---

(1) اللسان6-107
(2) المفضليات ص ـ297
(3) سورة الانسان الآية ـ20
(4) اللسان6-105
(5) اللسان2-294
(6) اللسان10-233
(7) المفصل . د . جواد علي7-611 عن المعرب2-128

النضج عند العرب الجاهليين وخاصة في اليمن التي أصدرت أنواعاً عديدة من الأقمشة والثياب إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية . كما اشتهرت مناطق أخرى بهذه الحرفة منها عدن وهجر وصحار والحيرة وغيرها ؛ ومن أسماء بعضها يمكن أن نتعرف على مصدرها منها :

ـ **التزيديّات** : « وهي تنسب الى تزيد بن حيدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . قال علقمة بن عبدة الفحل :

ردَّ الإمـاءُ جمـالَ الحـيِّ فاحتَمَلُوا فَكُلُّهـا بالتَّـزيديَّاتِ معكومُ[1]

(مشدود)

ـ **والجيشانية** : منسوبة إلى جيشان « ومخلاف جيشان : باليمن كان ينزلها جيشان بن غيدان . . بن حمير . وهي مدينة وكورة ينسب إليها الخُمُرُ السود . قال عبيد بن الأبرص :

فأُبْنَا ونَازَعْنَا الحديثَ أوَانِساً عليهِنَّ جَيْشَانِيَّةٌ ذاتُ أغيالِ

أي خطوط ووشي ؛ وقال الكلبي : وبها تعمل الأقداح الجيشانية ، ينسب إليها اسماعيل بن محمد الجيشاني . . وقيل جيشان ملاّحة باليمن . وجيشان خطة بمصر وبالفسطاط »[2] .

والجَوْنِيَّة : « . . وفي حديث أنس : جئت الى النبي (ص) ، وعليه بردة جَوْنِيَّة ، منسوبة الى الجون ، وهو من الألوان ، ويقع على الأسود والأبيض . وقيل : الياء للمبالغة ؛ وقيل : هي منسوبة إلى بني الجَوْنِ قبيلة من الأزْد »[3] .

---

(1) المفضليات ص ـ397 شاكر وهارون ـ الطبعة الخامسة

(2) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي2 -200

(3) اللسان 13 -102

ـ **والسحولية** : قرية من قرى اليمن (سبق التحدث عنها)

ـ **والسديرية** ؛ موضع في أرض كندة . « وقيل : السدير أيضاً أرض باليمن تنسب إليها البرود ؛ قال الأعشى :

وبيداء قفـــر كبُـــرد السدير مشاربهـــا داثـــرات أُجُن[1]

والقطرية : نسبـة إلـى قَطَـر قرب البحـرين (سبـق التفصيل عنها) .

والمعافرية : « ومَعافِر : قبيلة ؛ قال سيبويه : مَعافـر بن مُرّ فيمـا يزعمون أخو تميم بن مُرّ ، . . ومعافر : بلد باليمن ، وثوب مَعافِرِيّ لأنـه نسب الى رجل اسمه مَعافِر . وقيل قبيلة باليمن »[2] . ولم تكن جميع تلك المنسوجات التي سبق التفصيل عنها من صنـع العـرب الجـاهلين ، فقـد استوردوا قسماً منها كما سبق وذكرنا من بابل وبلاد الشـأم والهنـد والصين ومصر وفارس والعراق وغيرها .

وعند الانتهاء من عملية الحياكة والنسيج يحوّل القماش إلى البزازين ومنهم إلى الخياطين ، والخياط يستعمل الابرة وذلك بادخال الخيط في ثقبها أو سَمِّها وتدعى الإِبرة الخياطِ أيضاً . وفي التنزيل : « **ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط** »[3] ومن أسماء الخياط (القـراريّ) قال الأعشى :

يَشُـــقُّ الأمـــورَ وَيَجْتَابُها ، كَشَـــقِّ القَـــرَارِيِّ ثَوْبَ الرَّدَنْ[4]

---

(1) معجم البلدان ـ ياقوت 3-201

(2) اللسان 4-590

(3) سورة الأعراف الآية ـ 40

(4) ديوان الأعشى ص ـ212 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

ويعبّر عن خياطة الخياط الثوب خياطة متباعدة بـ (شمج) و (شمرج) وذلك بأن يباعد بين الغرز . ويُعبر عن الخيط بلفظة (السلك) و (السلكة)[1] والكساء قد يكون ببطانة وقد يكون لا بطانة له فيقال له : « كساء سمط »[2] .

وقد اشتغل بعض العرب في العصر الجاهلي بحرفة الخياطة ومنهم : « العوّام أبو الزبير ، وكذلك قيس بن مخرمة وعثمان بن طلحة الذي دفع اليه النبي (ص) مفتاح البيت كان خياطاً »[3] .

وعادة صبغ الثياب من العادات المعروفة عند العرب قبل الاسلام ؛ وكانوا يستعملون في ذلك أصباغاً مختلفة ، كالقرف وهو قشور الشجر ، والجذور يستخرجون ما فيها من مادة ملونة لصبغ ما يضعونه فيها من ملابس ، والأصباغ المستخرجة من بعض النباتات[4] . ولألوان العمائم أو الملابس دخل في المناسبات الاجتماعية ، فكانوا يستعملون للحرب مثلاً نوعاً خاصاً من العمائم ذوات ألوان خاصة . ويستعملون في الأحزان نوعاً خاصاً من العمائم والثياب كما سبق وذكرنا عن (المسلب) وهو الثوب الأسود الذي كان يستعمل في الحِداد .

ويقوم بصبغ الثياب وقصرها الصباغون ، يصبغون الملابس كما يصبغون الأقمشة قبل تفصيلها وخياطتها . « وذكر أن الكهان كانوا لا يلبسون

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-612
(2) اللسان 7-324
(3) المعارف ـ ابن قتيبة ص ـ575 والمفصل . د . جواد علي 4-125
(4) المفصل . د . جواد علي 7-616 عن المخصص 11-14

المصبغ »[1] . ولعلهم كانوا يفعلون ذلك بسبب اعتقادهم أن تابع الكاهن ينفر من الصبغ .

وذكر « أن التَّشريق الصَّبغ الخفيف . . وفي الحديث : أكذب الناس الصبّاغون والصوّاغون ، هم صبّاغو الثياب وصاغةُ الحُلِيِّ لأنهم يمطلون بالمواعيد ، وأصل الصَّبغ التغيير »[2] .

« وفي جملة الأصباغ المعروفة والشائعة عند الجاهليين ، العصفر ، وهو نبت أصفر يستخرج منه صبغ أصفر ، تصبغ به الثياب والأقمشة وأمثالها . . والورس وهو صبغ أصفر ، يؤخذ من نبات طيب الرائحة تصبغ به الملابس ، فيقال ملحفة مورّسة »[3] .

« وعن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه ، قال : كانت ملحفة رسول الله (ص) التي يلبس في أهله مورّسة (مصبوغة بالورس) حتى أنها لتردع (تنفض صبغها) على جلده »[4] .

---

(1) المصدر السابق 7-617 عن بلوغ الأرب 3-407

(2) اللسان 8-437

(3) المفصل . د . جواد علي 7-617

(4) عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ـ باب السؤدد ص ـ92 دار الفكر مكتبة الحياة .

الفصل الثالث

القسم الأول :

المعادن العادية

١ـ الحديد والحدادة :

لقد دفعت حاجة الانسان إلى المعادن ، لاستخراجها واستخدامها في أموره الحياتية من حربية وزراعية ومنزلية ، فانصرف الى الاشتغال بها لتحويلها الى أشياء نافعة . لذلك ظهرت عملية التنقيب عن المعادن وظهرت صناعة الحدادة والصياغة وأمثالها ، فعند الانسان الى استخلاصها من المواد الغريبة المختلطة بها . كما اشتغل الصناع في خلط المعادن لإيجاد أنواع جديدة منها . وقد وقع ذلك بين أهل الحضر في الغالب ، أما أهل الوبر ، الأعراب ، فلبساطة حياتهم ، ولتنقلهم الشبه مستمر ، لم يشعروا بحاجة لهم إلى هذه الصناعات ، وإذا شعروا بوجود حاجة لهم فيها اشتروها من أهل المدن .

وفي صدد الحديث عن مورد التعدين وصناعته عند العرب الجاهليين ، يسترعي الانتباه عدد من الملاحظات سواء بصدد توزيعه على أقسام شبه جزيرة العرب ، أو في مدى معرفة سكان المنطقة به، أو في مدى حاجاتهم اليه أو إعتمادهم عليه أو نظرتهم اليه . وفيما يخص الظاهرة الأولى وهي توزيع هذا المورد ، فان المصادر تشير إلى وجود معادن ، على سبيل

المثال ، في المناطق دون مناطق أخرى ، فالمناطق التي توجد فيها هذه المعادن هي : الحجاز واليمن والساحل الشرقي المطل على الخليج والمحيط الهندي)) (١)

ومن الطبيعي أن أقساماً من شبه الجزيرة لا توجد فيها معادن ، كذلك من الطبيعي أنه إذا وجدت بعض المعادن في أماكن لا يوجد فيها عمران فقد تبقى مطمورة دون أن يعرف عن وجودها . . أما عن الظاهرة الثانية وهي مدى معرفة سكان شبه الجزيرة بالمعادن والتعدين فتدل على ذلك عدد من الشواهد : الشاهد الأول يأتي من القرآن الكريم (القرن السابع الميلادي) حيث نجد فيه إشارة مباشرة وصريحة الى معرفة بفوائد الحديد وإلى خبرة بصهر المعادن وصناعة الحلي والأدوات منها :

- يوجد في القرآن الكريم سورة تدعى (الحديد) رقم- ٥٧ . وفي نفس السورة الآية - ٢٥ جاء فيها : ((. . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)) . وفيها إشارة الى وجود الحديد وإلى فائدته . وقد ورد ذكر الحديد في آيات أخرى منها : ((ء اتوني زبر الحديد)) (٢) . ((ولهم مقامع من حديد)) (٣) . و ((يا جبال أوّبي معه والطير ، وألنّاله الحديد)) (٤) و : ((قل كونوا حجارة أو حديداً)) (٥) .

وهناك إشارة في القرآن الكريم تدل على معرفة العرب في العصر الجاهلي بصهر المعادن وصناعة الحلي وغيرها حيث ورد : ((. . ومما

---

(١) العرب في العصور القديمة . د . لطفي عبد الوهاب١٩٧٩

(٢) سورة الكهف الآية -٩٦

(٣) سورة الحج الآية -٢١

(٤) سورة سبأ الآية -١٠

(٥) سورة الاسراء الآية -٥٠

يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع)) [١] ((والشاهد الثاني نجده فيما تركه لنا الكتاب الكلاسيكيون من وصف لموارد شبه الجزيرة حيث يشير (أرتميدوروس أوائل القرن الثاني قبل الميلاد) ، الى وجود الذهب في المنطقة القريبة من الساحل الغربي لشبه الجزيرة شمالي (سبأ) - الحجاز أو نجران - سواء في صورة تراب الذهب أو في صورة معدن على هيئة قطع يصلون إليها عن طريق التعدين ، كذلك يشير الكاتب الروماني بلينيوس (أواسط القرن الأول الميلادي) الى وجود الذهب في بعض الأماكن على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة)) [٢] .

وكذلك من بين الشواهد الألفاظ العديدة التي استعملها كُتّاب العصر الاسلامي ، كأسماء للذهب في حالاته المختلفة : **التبر** وهو الذهب قبل أن يصاغ ويستعمل ، وقيل هو الذهب المكسور ؛ قال الشاعر :

كل قوم صيغة من تبرهم وبنو عبد مناف من ذهب [٣]

وهو يميّز هنا بين : التبر وبين الذهب.

والعسجد : الذهب ؛ وقيل : هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت [٤] .

والسحالة : وهي ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما إذا بُردا [٥] .

وطبيعي أن تعدد الأسماء التي كانت تطلق على كل معدن في حالاته

---

(١) سورة الرعد الآية -١٧

(٢) العرب في العصور القديمة .د. لطفي عبد الوهاب -١٩٧٩ ص -٣٣٤

(٣) اللسان ٤ -٨٨

(٤) اللسان ٣ -٢٩٠

(٥) اللسان ١١ -٣٢٩

المختلفة ووفرة عدد الأماكن التي كانت تستخرج منها المعادن شاهدان يدلان على المعرفة المفصلة بالمعادن والتعدين . وهو أمر لا يمكن أن يكون قد ظهر فجأة في العصر الاسلامي وإنما كان موجودا ، على الأقل في نسبة منه ، في عصور ما قبل الاسلام)) .

أما الشاهد الأخير في هذا الصدد ، فهو الآثار التي خلفها لنا سكان شبه الجزيرة العربية في الفترة السابقة للاسلام . وفي هذا المجال فقد عثرت شركة التعدين السعودية العربية في ((منجم مهد الذهب)) الذي يقع الى شمالي (المدينة) ، على أدوات ترجع الى عصر ما قبل الاسلام كانت تستخدم لاستخراج الذهب منه ، كما عثر المنقبون الأثريون على بقايا من الرصاص في المباني الأثرية باليمن تشير إلى أن أهل هذه المنطقة كانوا يصبون الرصاص المصهور في أسس الأعمدة لتثبيتها ، وبين مواضع إتصال الحجارة لتشدها الى بعضها))(١) .

ويبقى إلى أي حد نظر سكان شبه الجزيرة العربية الى هذه الموارد بعين الاهتمام ، والى أي حد كان استغلالهم له ؟ وهل وصل الى درجة صناعة سلع للتصدير ؟ الشواهد تدل على قدر غير قليل من الاهتمام بهذا المورد واستغلاله وتصدير بعض السلع ، على الأقل من منطقة إلى اخرى ، في داخل شبه الجزيرة مثل السيوف اليمانية التي كثر ذكرها في شعر الشعراء الجاهليين كما سنبين ذلك في باب السيوف ، مما يدل على أنها كانت تصل من اليمن الى بقية مناطق شبه الجزيرة العربية .

---

(١) العرب في العصور القديمة . د . لطفي عبد الوهاب يحيى ص – ٣٣٧ . المفصل . د . جواد علي ٧ ـ٥١٦

هذه لمحة عامة عن المعادن والتعدين في شبه الجزيرة خلال فترة ما قبل الاسلام وأما من الناحية التفصيلية فهي كما يلي :

- **الحديد** : من المعادن المتوفرة في شبه الجزيرة العربية ويبدو أنه كان معروفاً منذ العهود القديمة عند العبرانيين اذ ورد أن توبال قايين ، من نسل قايين ، اشتغل في النحاس والحديد . وفي العصر الموسوي المبكر كانت هناك فؤوس وأدوات أخرى من الحديد . وكان سرير عوج من الحديد . وفي زمن يشوع كانت الأواني تصنع من هذا المعدن [١] .

((وقد حدث أول صهر الحديد نحو-١٤٠٠ ق . م . وكانت خاماته تصهر في أفران مبنية من الحجارة ، نحو عشرة أقدام في الارتفاع ، وأما قطرها فطوله ثلاثة أقدام . وكان يستخدم الفحم فيها وتنفخ النار بمنفاخ . ويظهر أن الفلسطينيين قد تعلموا استخدام الحديد في الشمال وحافظوا بتدقيق على أساليب صنعه . وانتشر استخدام هذا المعدن بين العبرانيين بعدما هزم شاول وداوود الفلسطينيين)) [٢] .

والمعروف أن العبرانيين قد توغلوا الى داخل شبه الجزيرة العربية ، حيث استوطنوا في مناطق مختلفة منها وربما تعرف العرب عن طريق العبرانيين والأعاجم الى الحديد ، إذ ذكر أهل الأخبار أسماء بعض الحدادين الأعاجم منهم : الأزرق بن عقبة أبو عقبة الثقفي ، غلام الحارث بن كلدة الثقفي ، ذكر أنه كان رومياً حداداً [٣] .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص -٢٩٥

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص -٢٦٥

(٣) المفصل .د . جواد علي ٧ -٥٥٦ عن البلاذري ١ -١٥٧ والاصابة ١ -٢٩

ويبدو أن اليمن كانت في مقدمة أجزاء جزيرة العرب في الصناعة ، ولا نكاد نجد في جزيرة العرب مكاناً يسبقها فيها . وهي الأولى في الانتاج ايضاً . ومن الصناعات التي برزت في اليمن صناعة الحديد واستخراج المعادن وتحويلها إلى مصنوعات . وللحديد معدن في (رُفاغة) باليمن على مرحلة من صعدة ، وفي قساس ذكر أنه جبل بديار بني نمير ، وقيل بني أسد فيه معدن حديد . وذكر الهمداني أن باليمن معادن حديد غير معمولة بنقم وغمدان [1] .

ولعل كثرة الحديد باليمن ، واشتهارها به ، جعل أهل الأخبار يروون أن أول من عمل السنان من حديد هو (ذو يزن) (ديرون الحميري) [2] .

((ويوجد الحديد بعدن وفي الأراضي الممتدة بين صعدة والحجاز ، وفي نجران أيضا جبل يستخرج منه معدن الحديد ، وفي نقم وغمدان أيضا معدن الحديد)) [3] .

((وكان معدن الحديد متوافراً في مضارب قبيلة بني سليم التي اشتهرت بصناعة الحديد ، كما اشتهروا بصهره وتنقيته)) [4] .

((ومن المعادن التي تشتهر بها (حمير) الحديد في نقم وغمدان حول صنعاء ، وكان التجار يبتاعونه عند نزولهم صنعاء ، كما يوجد الحديد

---

(١) المصدر السابق ٧ -٥١٦ وما بعدها – عن الصفحة -٢٠٢

(٢) نفس المصدر ٧ -٥١٧

(٣) تاريخ العرب في العصر الجاهلي . د . عبد العزيز سالم ص -١١٨ دار النهضة بيروت – عن الصفحة ص -٢٠٢

(٤) النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية – حسين مروة ١ -١٩٠ –الحاشية عن بليابيف ص -١١٣

طريقة تنقية الحديد

في جبل الحديد بعدن)) [١] .

وقد عثر عند بعض المناجم على أدوات استخدمت في إذابة المعدن ، لاستخلاصه من المواد الغريبة العالقة به . وقد ذكر (فؤاد حمزة) في كلامه على جبل (تهلل) بجوار السودة في عسير ، وبه معدن الحديد ، أنه عثر فيها على عشرات النقر لإذابة المعادن . وقد كانوا يضعون خام الحديد المستخرج من منجمه في هذه النقر ومعه الخشب والأغصان التي توقد لايجاد النار الكافية لإذابة المعدن واستخلاصه من المواد الغريبة المختلطة في خامه . فاذا ذاب المعدن وخلص من المواد الغريبة التي كانت ممتزجه به ، عولج معالجة خاصة لتنقيته ولاستخراج فحمه والمواد الأخرى التي تجعله هشاً قابلاً للكسر والثلم بسهولة . وقد يعالج جملة مرات إن أريد استعماله في أمور تستدعي استعمال حديد نقي صاف في مثل السيوف الجيدة [٢] .

واستعمل الأتون أيضاً في إذابة المعادن لتنقيتها وإذابتها ولإحالتها إلى الشكل المطلوب . وتوقد النيران في أسفل الأتون ، لتذيب المعدن وتحيله الى سائل يسيل من فتحة تقع في جانبه ليحوله المعدن الى الشكل الذي يريده . ويخرج الدخان من فتحة تكون في نهاية موقد النار ، وتقوم هذه المدخنة في تهوية الموقد في الوقت نفسه ، وطريقة إذابة المعادن وتنقيتها هذه ، معروفة عند الرومان واليونان والفرس والعبرانيين [٣] .

---

(١) أهل اليمن في صدر الاسلام .د . نزار عبد اللطيف الحديثي ص -٤١ . المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت

(٢) المفصل . د . جواد علي ٧ -٥٦٨

(٣) المصدر السابق ٧ -٥٦٨

ولم يختلف أهل اليمن القدماء عن أهل اليمن المحدثين في طرقهم البدائية في استخراج المعادن واستخلاصها من خاماتها ، ولا يزال أهل اليمن يضرمون النار في الحجارة المحتوية على المعدن فيسيل المعدن بتأثير الحرارة ، فاذا سال سكب عليه الماء ، فيبرد ، وتتكون قطع منه يستعان بها في صنع ما يحتاجون اليه من آلات وأدوات [١] .

والانسان الذي يصنع تلك الأدوات أو الآلات من معدن الحديد يسمى حداداً ، فالحدّاد هو معالج الحديد ، ويعرف أيضاً بالقين ، ((فالقين الحداد . . التهذيب : كلُّ عامل الحديد عند العرب قين . . وفي حديث خبَّاب : كنت قيناً في الجاهلية [٢] .

من اشتهر بمهنة الحدادة

والآن هل مارس العرب في الجاهلية مهنة الحدادة ، وماهي نظرتهم إلى هؤلاء الأقيان يبدو أن العرب في العصر الجاهلي قد عرفوا القين ومارس بعضهم هذه الصنعة . وقيل ((إن أول من عمل الحديد من العرب الهالك ابن مراد بن أسد بن خزيمة ، فلذلك قيل لبني أسد القيون ، وقيل لكل حداد : هالكي)) [٣] . وقيل : ((وبنو أسد يقال لهم القيون لأن أوَّل من عَمِلَ عَمَلَ الحديد بالبادية ، الهالك بن أسد بن خزيمة)) [٤] فاذا كانت صناعة معالجة الحديد معروفة بالبادية ، فلا شك أنها كانت منتشرة في المدن عند أهل الحضر . وذكر الأخباريون ((أن من بين أصحاب الرسول من كان قيناً مثل (خبّاب بن الأرت) ذكر أنه كان يشتغل للعاص بن وائل ، وعقبة بن أبي

---

(١) المفصل . د . جواد علي ٧ ـ ٥٧٠

(٢) اللسان ١٣ ـ ٣٥٠

(٣) العمدة – ابن رشيق ٢ ـ ٢٣٢ – دار الجيل – الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٢

(٤) اللسان ١٣ ـ ٣٥١

معيط ، والوليد بن مغيرة ، وأُبَيّ بن خلف . وكان خبّاب يضرب السيوف الجياد ويدقها حتى نسبت اليه . ومن الحدادين الأعاجم الذين ذكرهم أهل الأخبار ، الأزرق بن عقبة ، ذكر أنه كان روميّاً حداداً)) [(١)] . ((وكان العاص بن هشام أخو أبي جهل حداداً)) [(٢)] .

ويبدو من خلال الشعر الجاهلي أن العرب كانوا يأنفون من الاشتغال بالحدادة ، لذلك نجد أنها كانت سبيلاً للهجاء والتحقير لمن يشتغل بها . فهذا أميّة بن خلف ، يهجو حسان بن ثابت قائلاً له :

أليس أبوك فينا كان قينا　　　لدى القينات فسلافي الحفاظ؟

يمانياً يظلُّ يَشُدُّ كيراً　　　ويَنفُخُ دائباً لهب الشُّواظِ[(٣)]

ومن شعر أمية هذا نستنتج أنه يعيّر حسان بوالده الحداد ، وربما لا حسان بن ثابت من بني النجار ، ثم من الخزرج ، وينتهي نسبه الى قحطان ، فهو إذاً من أصل يمنيّ [(٤)] .

وربما لم يكن أحد من أهل حسان حداداً ، فعندها يكون المقصود أهل اليمن وفي هذه الحالة يمكننا الاستنتاج أن صنعة الحدادة كانت منتشرة عند أهل اليمن ، خاصة وهو يقول في مطلع البيت يمانياً ويقصد نسبته الى اليمن . هذا مع العلم أن (معالة) أم حسان كانت امرأة من القين وإليها كانوا ينسبون [(٥)] .

---

(١) المفصل د . جواد علي ٧ -٥٥٥

(٢) المفصل . د . جواد علي ٤ -١٢٥

(٣) معجم البلدان – ياقوت الحموي – مادة (يمن) ص -٤٤٧ –دار صادر – المفصل . د . جواد علي -٤-٦٠٤

(٤) ديوان حسان ص -٥ دار صادر

(٥) الأغاني ٤ -١٣٤ مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت

وذاك قيس بن الخطيم يهجو بن طريف بن الخزرج في قوله :

وقـد رُدَ العزائم في طريف وأقيانٍ يَصُوغـون الحديدا[1]

فهو يريد أنهم حدادون . وقد ورد : وأقيال : والأصح أقيان . لأن ((أقيال . جمع قَيل وهو الملك من ملوك حِميَر)) [2] .

ويبدو أن اليهود استغلوا أنفة العرب من الاشتغال بالحدادة فاحتكروها لأنفسهم ، ويقول الأستاذ أحمد أمين ، ((وقد اشتهر اليهود في جزيرة العرب حيث حلّوا بمهاراتهم في الزراعة ، كما اشتهروا في يثرب أيضاً بصناعاتهم العدنية كالحدادة والصياغة وصنع الأسلحة)) [3] .

وقد صنع الحداد أشياء كثيرة منها النصال من الحديد ، وهي حديد السهم والرمح ، وصنع المطرقة ، وقد ذكرها المثقب العبدي في شعره حيث يقول :

فسـل الهـمَّ عنـك بذاتِ لوثٍ عُذافِـرَة كَمِطرَقَـةِ القيون[4]

المصنوعات الحديدية والادوات التي استخدمت

((وقد استخدم أهل الفلاحة آلات حديدية متنوعة بما في ذلك سكة المحراث . وكان العرب يستخدمون الجمل في جر المحراث وفي انتشال الماء من الآبار معتمدين في ذلك كله علة وسائل وآلات حديدية . وكان معدن الحديد متوافراً في مضارب قبيلة سليم التي اشتهرت بصناعة الحديد ، كما اشتهروا بصهره وتنقيته)) [5] .

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ١٤٨ ـ دار صادر

(٢) اللسان ١١ ـ٥٨٠

(٣) فجر الإسلام – أحمد أمين ص ـ٢٤ ـ دار الكتاب طبعة ـ١٩٦٩

(٤) المفضليات ص ـ٢٩٠

(٥) النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية ١ ـ١٩٠ ـ الحاشية عن بليابيف

وقد صنع الحداد من الحديد المعاول ، وقد عرفها العرب الجاهليون وذكرها بعض شعرائهم في شعرهم ومنهم الحطيئة حيث يقول :

ما كان ذَنبــي أن فَلَّــتُ مَعَاوِلَكُم   من آلِ لأيٍ صفــاةُ أَصلُهــا رَاسٍ[1]

وقال أيضاً في مكان آخر :

يُثيران جَوناً ذا ظِلالٍ كأنهُ   جَديدُ البِقَاعِ هَيَّجَتُــهُ المَعَاوِلُ[2]

ويبدو أن الحدادين صنعوا النصال للسكاكين وغيرها من الحديد حيث أن شعراءهم ذكروها في أشعارهم ومنهم لبيد حيث يقول :

جنوح الهالــكي علــى يديه   مكبّاً يجتلــي نقــب النصال[3]

كما أنهم صنعوا النواقيس للنصارى ، وهذا يبدو من شعر المرقش الأكبر حيث يقول :

وتسمَعُ تَزقَاءً من البُومِ حَولَنا   كما ضُرِبَت بعدَ الهدُوءِ النواقِسُ[4]

ويبدو أن الحداد في العصر الجاهلي كان يصنع الجلمان أيضاً وهو المقراض ، حيث ورد ذكره في شعر عنترة بقوله :

حرقُ الجناحِ كأنَّ لحيي رأسِهِ   جلمانِ ، بالأخبارِ هشّ مُولَعُ[5]

ومن قول عبده بن الطبيب نستنتج أن الحداد قد صنع الإزميل من الحديد في العصر الجاهلي حيث يقول :

عَيهمةُ يَنتحِي في الأرض مَنسِمُها   كما انتحى في أديم الصرفِ إزميلُ[6]

---

(١) ديوان الحطيئة -١٠٩ المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت
(٢) نفس المصدر ص -٢١٥
(٣) اللسان ١٠ -٥٠٧
(٤) المفضليات ص -٢٢٥ . الناقوس : مضراب النصارى الذي يضربونه لأوقات الصلاة.
(٥) ديوان عنترة ص -٤٨ –دار صادر . بيروت .
(٦) المفضليات ص -١٣٨

ومن خلال شعر عنترة نستنتج أن الحداد في العصر الجاهلي صنع أدوات أخرى منها فأس المسحل وهو حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس وكذلك المِبرد والمنجل حيث يقول :

سَلِسِ المُعذَّرِ لاحِقٍ أقَرَابُهُ　　　مُتقلبٍ عبثاً بفأسِ المِسحَلِ(١)

وقال عنترة أيضاً :

وَتَخَالُ أنفاسي إذا رددتها　　　بين الطلول محت نقوش المِبردِ(٢)

وقال أيضاً :

بِنواظِرٍ زُرقٍ ووجه أسود　　　وأظافِرٍ يُشبِهنَ حدَّ المِنجَلِ(٣)

ويبدو أن الحداد صنع أيضاً الجفان من الحديد في العصر الجاهلي ، وهي أعظم ما يكون من القصاع ، وربما صنعت من خشب الشيزي ((الذي يقال له الآبنوس وهو خشب أسود تتخذ منه الأمشاط وغيرها . قال لبيد :

وَصَبا غَدَاةَ مُقامة وزَّعتُها　　　بِجِفان شِيزَى ، فوقهن سنامُ(٤)

وقد قال حسان :

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعن بالضحى　　　وأسيافنا يقطرنَ من نجدة دما(٥)

ومن هذا القول نستنتج أن الجفنات كان منها ما يصنع من الحديد من قوله (يلمعن) إذ المعروف أن المعدن هو الذي يلمع غالباً تحت أشعة الشمس . ولو كانت من الخشب لما ظهر عليها ذاك البريق واللمعان .

---

(١) ديوان عنترة ص -٦١ .
(٢) ديوان عنترة ص -١٣٧
(٣) نفس المصدر ص -٢٠٢
(٤) اللسان ٥ -٣٦٣
(٥) ديوان حسان ص -٢٢١ – دار صادر .

هذه بعض الأدوات التي صنعها الحداد في العصر الجاهلي من الحديد والتي تمكنت من استنتاجها من خلال الأدب الجاهلي .

وقد بقي من المصنوعات الحديدية ، آلات الحرب ، من سيوف ورماح ، ودروع وسنان وسهام وترس وبيضة وخلافه والتي سأفرد لها باباً خاصاً .

والآن يجدر بنا أن نتعرف إلى أهم الأدوات التي كان الحداد يستعين بها أثناء عمله ليتمكن من تأمين الأشياء التي يريد صنعها . وهي ما يلي :

يستخدم الحداد كور الفحم ، والمنفاخ ، والملقط ، والمطرقة والسندان .

وقد ورد ذكر الكير في شعر علقمة بن عبدة (الفحل) حيث قال ؛

قد عُريت زَمنــاً حتــى استــطفَّ لها   كِتــر كَحافــةِ كير القين ملموم[1]

وورد في شعر الحطيئة أيضا حيث يقول :

وحصى الــكثيب بصــفحتيه كأنه   خبــثُ الحــديد أطارهن الكير[2]

ومن قول الحطيئة يمكننا أن نستنتج أن العرب في الجاهلية كانوا على قدر من المعرفة تخولهم التمييز بين انواع الحديد : الجيد منه والخبيث ، كما نستنتج أن عملية تصنيع الحديد كانت محلية ضمن البيئة العربية حيث أننا نحس ونحن نقرأ شعر الحطيئة وكأننا نشاهد القين وهو يعالج الحديد في الكير والخبث يتطاير منه . ومعنى ذلك أن الحطيئة قد شاهد بنفسه هذا المنظر الذي أثر فيه فانعكس على شعره .

---

(١) المفضليات ص -٣٩٨ شاكر وهارون –الطبعة الخامسة –القاهرة.
دار المعارف بمصر .
(٢) ديوان الحطيئة ص -٢٩ المؤسسة العربية للطباعة والنشر – بيروت.

وورد الكير في شعر بشر بن أبي خازم يقول :

كأن حفيف مِنخـــرهِ إذا ما كَتمــن الربــو كير مُستعار[١]

وقال أمية بن خلف الهذلي يذكر الكير والنفخ :

يمــانياً يظــلُ يشــد كيراً وينفـــخ دائبــاً لهـــب الشواظ[٢]

وكأن أمية يوحي إلينا أن صناعة الحدادة كانت منتشرة في بلاد اليمن أكثر من المناطق الأخرى من شبه جزيرة العرب .

وهنـا يجدر بنـا أن نشير إلـى ضرورة التمييز بين (الكور) و (الكير). ((فالكور هو مجمرة تُحمى فيها المعادن أو تصهر ، أي الذي فيه الجمر وتوقد فيه النار وهو مبنيٌّ من طين))[٣] .

وقد ورد ذكر الكور في الكتاب المقدس حيث يقول : ((البوطة للفضة والكور للذهب))[٤] . ((والكير هو زقٌّ أو جلد غليظ ذو حافات . . ابن سيدة : الكير الزق الذي ينفخ فيه الحداد))[٥] . والكير أو المنفاخ من أهم أدوات الحداد يوقد فيه النار ليحمّى الحديد ويجعله ليناً يسهل طرقُه وإعطاؤه الشكل المطلوب . والطَّرقُ يكون بالمطرقة ((وتسمى أيضاً المِيقَعَ والمِيقَعَة . . وفي حديث ابن عباس : نزل مع آدم ، عليه السلام ، الميقعة والسَّندان والكلبتان))[٦] . وقد ورد ذكر المطارق في الكتاب المقدس ،

---

(١) المفضليات ص ـ٣٤٤

(٢) معجم البلدان – ياقوت الحموي ص- ٤٤٧ دار صادر

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص -٧٩٥ . اللسان ٥ -١٥٥

(٤) الكتاب المقدس أمثال ١٧ -٣

(٥) اللسان ٥ -١٥٧

(٦) اللسان ٨ ٤٠٧ . دار صادر

حيث يقول : ((طبع الحديد قدوماً وعَمِلَ في الفحم وبالمطارق يُصَوِّرُهُ فيصنَعُهُ بذراع قُوَّتِهِ)) [1] .

وقد ورد ذكر المطرقة في شعر المثقب العبدي حيث يقول :

فسلّ الهم عنك بذات لوثٍ عُذَافِرَة كَمِطرَقَةِ القُيُون [2]

اللوث : الشدة – العذافرة : الشديدة القوية (الناقة) . القيون : الحدادون.

وورد ذكر المواقع في شعر المخبل السعدي حيث قال :

ولها مناسِمِ كالمواقِعِ لا مُعر أشاعِرُها ولا درِمُ [3]

المنسم: طرف خف البعي . المواقع : المطارق . معر : قليلة الشاعر . الأشاعرة: ما أحاط بالخف من الوبر . درم : لم يتبين حجمه لكثرة اللحم .

والسندان أو العلاة التي تضرب عليها الحداد حديده وهي أيضاً من الحديد. وقد ورد ذكر العلاة في شعر طرفة بن العبد حيث يقول :

وجمجمة مِثلُ العلاة كأنما وعى الملتقى منها إلى حرفِ مِبرِدِ [4]

وورد ذكرها في شعر عبدة بن الطبيب حيث يقول :

بجسرة كعلاةِ القين دوسرة فيها على الأينِ إرقال وتَبغِيلُ [5]

---

(١) اشعياء ٤٤-١٢
(٢) المفضليات ص-٢٩٠ شاكر وهارون- دار المعارف بمصر- الطبعة الخامسة
(٣) المفضليات ص-١١٧ شاكر وهارون- دار المعارف بمصر- الطبعة الخامسة
(٤) المعلقة البيت -٢٩ – الأنباري- هارون ص -١٧٣ دار المعارف بمصر
(٥) المفضليات ص -١٣٦

الجسرة : الناقة الصلبة ز الدوسرة : الضخمة الصلبة . الأين : الإعياء . الأرقال : مشي فيه سرعة وجمز . والتبغيل : أرفع من المشي ودون العَدّوِ .

وقد ورد ذكر العلاة في شعر عبيد بن الأبرص حيث يقول :

وقد أسلبي هموممي حين تحضرني　　　بجسـرة كعـلاةِ القين شِملالِ[1]

(خفيفة)

وقد تكرر ذكر العلاة في شعر عبيد حيث يقول :

جاوزت مهمــه يهماهــا بعيهمة　　　عيرانــة كعـلاة القين معقومة[2]

المهمه : المفازة البعيدة . الهيماء : فلاة بدون ماء . العيهمة : الناقة الضخمة العيرانة : الصلبة . معقومة : عقيم لا تلد .

والآن نأتي إلى القسم الباقي من المصنوعات الحديدية ، التي صنعها الحدادون في العصر الجاهلي ، وهو آلات الحرب .

٢- آلات الحرب

يبدو أن العرب في العصر الجاهلي قد استعملوا أنواعاً مختلفة من الأسلحة التي كانت معروفة في ذلك العصر نتبين ذلك من كثرة ترددادها في شعر شعرائهم وذكر بعضها في القرآن الكريم كما سنبين ذلك في حينه أثناء الحديث عنها بالتفصيل .

وتلك الأسلحة لم تكن وليدة المجتمع العربي الجاهلي بل كانت معروفة منذ أمد طويل وعند أمم مختلفة ، فقد ورد في قاموس الكتاب

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص -١٠١

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ص -١٢٩

المقدس ذكر الأسلحة حيث قسّمها إلى قسمين ، الأول : أسلحة الهجوم ومنها : العصا ، والمقلاع ، والسهم والقوس والرمح والسيف والفأس والثاني : أسلحة الدفاع ومنها : الترس أو المجن والخوذة والدرع والجرموق وهو جورب من النحاس كان يلبس على الرجل ، والمنطقة[1] .

أ- السيوف :

- وبما أننا بصدد المصنوعات الحديدية فنبدأ بالسيف وهو من أشهر أدوات الحرب في العصر الجاهلي ، وهو السلاح الرئيسي في القتال . استعمل في الهجوم وفي الدفاع عن النفس ، وقد يكون السيف قصيراً أيضاً ، وهو ذو حد واحد وذو حدّين قال الحصين بن الحمام المري :

بِكلّ رُقــاق الشَّفــرتين مُهَنَّد وأسمــرَ عَرَّاصِ المَهَــزَّةِ أرقب[2]

وقال الحطيئة :

مُثابــرة رهــواً وزعــت رعيلها بأبيض ماضي الشفرتين صقيل[3]

والزّرُّ ، حد السيف . قال قيس بن الخطيم :

ضربــتُ بذي الــزرَّينِ ربقــة مالك فَأبتُ بِنَفســي قد أصبــت شِفاءَها[4]

وقد يكون رأس السيف مدبباً حاداً يستعمل للطعن ، أما الضرب فيكون بحد السيف . والسيوف الجيدة هي المصنوعة من الحديد النقي ومن الفولاذ. وفي العربية لفظة (فولاذ) أي نوعاً مميزاً من أنواع الحديد ، إنه مُصَاصُ الحديد المنقى من خبثه[5] . ويقال لحديدة السيف (النصل) ،

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص -٤٧٦

(٢) المفضليات ص -٣١٧

(٣) ديوان الحطيئة ص ٩٢١

(٤) ديوان قيس بن الخطيم ص -٤٤

(٥) اللسان ٣ -٥٠٣ -دار صادر

وقال قيس بن الخطيم أيضاً :

إذا سَقِمـت نفسـي إلـى ذي عداوة　　　فإنـي بنصـل السيف باغٍ دواءها[1]

أما حدّه فيقال له ظبة وجمعها ظبي . قال عنترة :

مرت أوانَ العيد ، بين نواهِد　　　مثل الشمـوسِ لِحاظُهُـنَّ ظُباء[2]

الظباء ، الأصل ظبي بالقصر ومدَّ للشعر وهو جمع ظبة أي حدُّ السيف . ويبدو أنهم أتقنوا صناعة السيوف في العصر الجاهلي وعملوا على توشيته وتحليته بالفضة والذهب . ((وذكر أن (سعد بن سيل) – جد قصّي لأمه – كان أول من حلّى السيوف بالفضة والذهب ، وكان أهدى إلى (كلاب)- والد قصي - مع ابنته (فاطمة)- والدة قصيّ - سيفين محليين ، فجعلا في خزانة الكعبة))[3] . وهذا مثال على أن صناعة السيوف كانت صناعة محلية وهي متقنة ، وهذا عنترة يؤكد لنا تحلية السيوف ووشيها بقوله :

إذا لم أَرَوي صارمـي من دم العِدا　　　ويُصبِـحُ من إفرِنـدِهِ الـدَّم يقطر[4]

والإفرند هو جوهر السيف ووشيه . وقد يُزين السيف بخطوط مرسومة عليه . قال الأخنس بن شهاب التغلبي :

خليلاي هَوجـاء النجـاءِ شِمِلَّةُ　　　وذو شطـب لا يجتـويه المُصَاحِب[5]

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ٤٩

(٢) ديوان عنترة ص ـ٨٥

(٣) المفصل . د . جواد علي ٤ ـ٣٨ عن البلاذري ، أنساب ١ ـ٤٨

(٤) ديوان عنترة ص ـ١٤٦

(٥) المفضليات ص ـ٢٠٤

والرجل الذي يصقل السيوف يسمى الصيقل . وقد ورد ذكره في شعر عنترة أيضاً حيق يقول :

ذكر أشـق به الجماجـم في الوغى   وأقـولُ لا تقطـع يَمِينُ الصيقَل[1]

والصيقل يدوس السيف أي يصقله ، ((والمدوسة : خشبة عليها سنٌّ يداس بها السيف ، والمِدوَسُ : المصقلة وهي خشبـة يُشَـدُّ عليهـا مِسَنٌّ يدوس بها الصيقلُ السيف حتى يجلُوه . قال لاشاعر :

وأبيض ، كالغـديرِ ، ثَوَى عَلَيهِ   قُيُونٌ بالمـداوِسِ نِصفُ شَهر[2]

وقال أبو ذؤيب :

وكأنمـا هو مِدوس مُتَقَلّب   في الـكفّ إلا أنَّـه هو أضلع[3]

ويبدو أن بعض السيوف كانت تستورد من الخارج وخاصة من الهند وقد ذكرها الكثيرون من الشعراء في شعرهم منهم الخنساء في رثاء أخيها صخر حيث تقول :

بكل مُهَنـد عضـب حُسام

رقيق الحـد مَصقـولٍ رَحيض[4]

وقال الأعشى :

في فَتية كسيوفِ الهندِ قد عَلِمُوا   أن ليس يدفع عن ذي الحيلةِ الحِيَل[5]

---

(١) المصدر السابق ص -٦١

(٢) اللسان ٦ -٩٠

(٣) المفضليات ص -٤٢٤

(٤) ديوان الخنساء ص -٥٣ دار التراث العربي - بيروت

(٥) ديوان الأعشى ص -١٤٧

وقال قيس بن الخطيم :

كأن بطونهـن سيوف هند إذا ما هن زايلن الغمود[1]

وقال المزرد :

وأملس هنـدي متـى يعل حده ذرى البيض لا تسلم عليه الكواهل[2]

وصف السيف الهندي بأنه يتعدى البيضة المعدنية التي توضع على الرأس بقطعها ويجوزها حتى يقطع الكاهل . وهذا امتداح للسيف الهندي كما هو الحال في الشواهد الأخرى ، وبما أن صناعة السيوف كانت منتشرة في مناطق مختلفة من مناطق شبه الجزيرة العربية كما سنبين ذلك بعد قليل وبالإمكان الحصول عليها بسهولة ومع ذلك كان العرب يستوردون السيوف الهندية فربما كان ذلك لأن صناعتها ونوعيتها أفضل من تلك المصنوعة في الجزيرة العربية.

ويبدو أن اليمن من أشهر المناطق العربية في صناعة السيوف ، اشتهرت باجادتها وطبعها وصقلها ، وطبع الطباع السيف اي صاغه ، وقد بلغت شهرة اليمن بصناعة لسيوف جميع أنحاء الجزيرة العربية ، واشتهرت السيوف المصنوعة من حديد بيجان بالجودة ، لجودة حديدها[3] .

ومكة أيضاً ، يبدو أنها أخذت نصيبها من صناعة الأسلحة ، يقول حسين مروة : . . وإنه لذو دلالة هامة ، في موضوعنا هنا ، أن نجد صناعة

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ١٤٦

(٢) المفضليات ص ـ٩٩

(٣) المفصل . د . جواد علي ٧ ـ٥٥٦

الأسلحة بين الصناعات المنسوبة إلى مكة حينذاك))(١) . ولا نستبعد هذه الرواية خاصة إذا عرفنا أن (خباب بن الأرث) كان يعمل السيوف في الجاهلية ، وخباب صحابي من أصحاب رسول الله (ص) وكان من المسلمين الأولين الذين أعلنوا اسلامهم وعذبوا فيه ، وعليه فلا بدّ أنه كان بمكة[٢] .

ويبدو أن صناعة الأسلحة ومنها السيوف كانت متوفرة أيضاً في (نجد) ، يقول الكتاني : ((تقدم عن ابن اسحاق أنه ﷺ بعث سعيد بن زيد الى نجد ليبتاع له الخيل والسلاح واتخذ ﷺ أنواع السلاح التي كانت موجودة اذ ذاك عند الأمم. كان له من السيوف تسعة لكل واحد اسم يخصه)) (٣) .

ويبدو أن بعض القبائل العربية كانت تقوم بصناعة الأسلحة في العصر الجاهلي ومنها قبيلة (عدوان) حيث إن شاعرها ذا الأصبع العدواني يقول :

السيف والرمح والكِنانَة والـــ ـــنبل جياداً محشُورة صُنُعا

قوم أفواقها وترصها أنبل عدوان كلها صَنَعَا[٤]

((وكان معدن الحديد متوافراً في مضارب قبيلة سليم التي اشتهرت بصناعة الحديد ، كما اشتهروا بصهره وتنقيته))(٥) . وعليه يمكننا الاعتقاد ان أبناء هذه القبيلة قد اهتموا بصناعة الأسلحة ، ومنها السيوف .

---

(١) النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية ١ ـ١٩٧ – حسين مروة
(٢) التراتيب الادارية للكتاني ٢ ـ١٦٥ ـدار الكتاب العربي ـبيروت.
المفصل. د. جواد علي ٥ ـ٤٢٤ عن الاصابة ١ ـ٤١٦
(٣) التراتيب الادارية للكتاني ١ـ٣٤٣ ـدار الكتاب العربي ـبيروت .
(٤) المفضليات ص ـ١٥٤ ـشاكر وهارون ـدار المعارف بمصر .
(٥) النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية – حسين مروة ١ ـ١٩٠

وقد نتمكن من توضيح الصورة أكثر لمصادر السيوف في العصر الجاهلي إذا تعرفنا على الأنواع المشهورة من السيوف والتي غالباً ما تكون منسوبة إلى موضع أو شخص معين ، فمن أنواع السيوف المشهورة : الأريحية : ((وأَرِيَحُ : موضع بالشام ؛ قال صَخرُ الغَيّ يصف سيفاً :

فلوتُ عنه سُيُوف أريح ، إذ باء بِكَفّي ، فلم أكد أجِد

(ونسب للهذلي)

الأزهري : أريحُ حيّ من اليمن . . والأريحِيُّ : السيف ، إما أن يكون منسوباً إلى هذا الموضع الذي بالشام وإما أن يكون لاهتزازه ، قال :

وأريحياً عضباً وذا خُصَلٍ مخلولِق المَتن سابحاً نزقا

وأريحاء ، وأريحاء : بلد ، النسب اليه أريحي ، وهو من شاذ معدول النسب))(١) . وفي معجم البلدان أَرِيَحُ بلد بالشام ، وهو لغة في أريحا))(٢) .

والبصرية : عرفت سيوف (بُصرى) بالجودة كذلك ، ويقال للسيف المنسوب اليها بُصَّرِيّ . قال ساعد بن جؤية :

كأنما يقعُ البُصرِيُّ بينهم من الطوائف والأعناق بالوَذَمِ(٣)

وقد ورد في معجم البلدان : ((بُصرى : في موضعين ، بالضم ، والقصر : احداهما بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ،

---

(١) اللسان ٢ ـ٤٦٧ وما بعدها

(٢) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ١ـ١٦٥ ـ دار صادر

(٣) ديوان الهذليين ١ ـ٢٠٤ ـ الدار القومية ـ القاهرة ـ١٩٦٥

مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً ، ذكرها كثير في أشعارهم . . وبُصرى أيضاً: من قرى بغداد قرب عكبَرَاء)) [١] .

وقد مدحها الحصين بن الحمام المُرّي ، وأثنى على القيون الذين أخرجوا صفائح بصرى ، أي السيوف ، حيث يقول :

صفائح بصرى أخلصتها قُيُونُها ومُطـرِداً من نَسـجِ داوود مُبهَمَا[٢]

وتشير بعض المصادر الى اشتهار الروم بصنع السيوف الجيدة وكذلك الفرس[٣] . والسيوف السريجية من السيوف المشهـورة في العصر الجاهلي . ((وهي منسوبة إلى سُرَيج رجل من بني أسد ، قال محمد بن حبيب : هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، وكانوا قيوناً)) [٤] قال بشامة بن الغدير :

بِكُلّ سريجـي جَلا القَينُ مَتنَهُ رَقيقِ الحواشِـي يَترُكُ الجُرح أنجَلا [٥]

وهناك السيوف القلعيَّة ، نسبة الى القلعة وهي موضع باليمن ، بوادي ظهر به معدن حديد ، زعموا أن (الجن) تغلبت عليه [٦] . ((. . وفي الحديث : سيوفنا قَلَعِيَّة ؛ قال ابن الأثير : منسوبة الى القلعة ، وهي موضع

---

(١) معجم البلدان ١ -٤٤١ ياقوت الحموي .
(٢) المفضليات ص -٦٦ شاكر وهارون – دار المعارف بمصر
(٣) المفصل. د. جواد علي ٥ -٤٢٤ وشعر الحرب في العصر الجاهلي.
د. علي الجندي ص -١٥١ مشيراً الى ديوان طفيل ص -١٤
(٤) العمدة – ابن رشيق ٢-٢٣٢ – دار الجيل – بيروت الطبعة الرابعة.
(٥) المفضليات ص -٤٠٦
(٦) المفصل . د. جواد علي ٧ -٥١٦ عن تاج العروس ٥ -٤٨٠

بالبادية تنسب السيوف اليه ؛ قال الراجز :

مُحارِفُ بالشَّاءِ والأباعِرِ مُبَارِكٌ بالقَلَعيِّ الباتِرِ[1]

ومن السيوف التي اشتهرت في العصر الجاهلي السيوف المشرفية التي ورد ذكرها كثيراً في الشعر الجاهلي . يقول ابن رشيق : سيف مشرفي : منسوب إلى مشرف ، وهي قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها ، وليس قول من قال إنها تنسب إلى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء ، وإن قاله بعضهم)) [2] .

وقال ياقوت : والمشرفي منسوب إلى المشارف ، وهي قرى للعرب تدنو من الريف . قال أبو عبيدة ينسب إلى مشرف وهو جاهلي ، وقال ابن الكلبي : هو المشرف بن مالك بن دعر . . بن يعرب بن قحطان)) [3] .

وقد ورد في اللسان : ((. . والمشارف : ((قرى من أرض اليمن ، وقيل من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف المشرفية منسوبة إليها . يقال : سيف مشرفي . وفي حديث سطيح ؛ يسكن مشارف الشام ؛ وهي كل قرية بين بلاد الريف وجزيرة العرب ، قيل لها ذلك لأنها أشرفت على السواد . وقيل : هي القرى التي تقرب من المدن)) [4] .

وهذه الآراء وإن تبدو مختلفة ، إلا أنها في الواقع تلتقي على أن تلك السيوف صناعة محلية عربية . وقد ذكرتها الخنساء حيث تقول :

---

(١) اللسان ٨ ـ ٢٩٣

(٢) العمدة ـ ابن رشيق ٢ ـ ٢٣٢ دار الجيل ـ الطبعة الرابعة .

(٣) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ٥ ـ ١٣٢

(٤) اللسان ٩ ـ ١٧٤ دار صادر

فر الأقاربُ عنها بعد ما ضربوا   بالمشرفية ضرباً غير تغزير[1]

وذكرها زهير بن أبي سلمى حيث يقول :

يُحَشُّونها بالمشرفِيةِ والقنا   وفتيانِ صدقٍ ،لا ضعاف ،ولا نكل[2]

وقال الحطيئة :

وكل مُفاضة جدلاء زعف   مُضاعفة وأبيض مشرفي[3]

وقال قيس بن الخطيم :

مَعَا قِلهم آجامهم ونساؤهم   وأيماننُا بالمشرفية معقل[4]

وذكر السيف المشرفي أيضاً راشد بن شهاب اليشكري حيث يقول :

ولا تُوعِدَنّي إنني إن تُلاقِنِي   مَعِي مَشرفي في مَضَارِبِهِ قضم[5]

وهناك السيوف اليمانية بوجه عام والتي عمّت شهرتها أرجاء الجزيرة العربية مع العلم أن معظم الأنواع المشهورة من السيوف والتي سبق ذكرها منسوبة إلى اليمن أو إلى مناطق يمنية . قال عنترة :

بأسمر من رماح الخَط لدن   وأبيض صارمٍ ذكرٍ يَمَانِ[6]

واشتهرت بعض السيوف في الجاهلية ، بقيت شهرتها خالدة في الاسلام . ومن هذه السيوف سيف عرف بـ (الصمصامة) ، وهو سيف عمرو بن معد يكرب . وسيف عرف (بذي الفقار) ارتبط اسمه باسم علي

---

(١) ديوان الخنساء ص -٣٨ دار التراث العربي – بيروت .
(٢) ديوان زهير ص -٣٣ –المطبعة العربية حلب -١٩٧٠
(٣) ديوان الحطيئة ص -١٤٠ المؤسسة العربية للطباعة والنشر -بيروت
(٤) ديوان قيس بن الخطيم ص-١٣٧ مكتبة صادر –تحقيق. د. ناصر الدين الأسد –الطبعة الثانية -٩٦٧
(٥) المضليات ص -٣٠٨
(٦) ديوان عنترة ص-٧٢

بن أبي طالب ، وكان قد استولى عليه في معركة (بدر) ، أخذه من العاصي بن منبه)[١] . وقيل أن (ذو الفقار) هذا واحد من سبعة سيوف ، أهدتها بلقيس الى سليمان ثم وصل الى العاص بن منبه))[٢] وقيل : ذو الفقار سيف مرثد بن سعد عم عمرو بن قميئة ، وذلك لوجود حزوز فيه مطمئنـة علـى متنـه))[٣] .

وسيف يدعى (ذو الراحة) وهو من السيوف المشهورة وكان للمختار بن أبي عُبيد[٤] . ومن ثَمَّ كان بعضهم يسمي سيفه تبعاً للرسم الذي عليه . (فذو الحيات) كان سيف الحارث بن ظالم وذلك لرسم حيتين عليه . و (ذو النون) ، كان سيف مالك بن زهير لنقش صورة سمكة عليه))[٥] . ومن السيوف المشهورة أيضاً : مِخذَمٌ وَرَسُوبٌ ، وهما اسمان لسيفي الحرثِ بن أبي شَمِرٍ وعليه قول علقمة :

مظاهِـر سِربالــي حديد ،عليهما عَقِيلا سُيُوف : مِخـذَم وَرَسُوبُ[٦]

وقيل : أنه كان لرسول الله (ص) سيف يقال له رسوب أي يمضي في الضريبة ويغيب فيها ، وكان لخالد بن الوليد سيف سماه مِرسَباً))[٧] .

وأما عن حدة السيف ومضائه فقد أكثر الشعراء من الحديث عن هذه الناحية ، وربما كان ذلك ، لأنها أهم ناحية في السيف فعبروا عنها بتعبيرات

---

(١) المفصل . د . جواد علي ٥ -٤٢٣

(٢) المصدر السابق –الحاشية ٥ -٤٢٣ عن تاج العروس ٣ -٤٧٤

(٣) شعر الحرب في العصر الجاهلي. د. علي الجندي ص -١٥٠ عن فقه اللغة للثعالبي ص -٣٦٦

(٤) اللسان ٢ -٤٦٧

(٥) شعر الحرب . د . علي الجندي ص -١٤٩

(٦) اللسان ١٢ -١٦٨ – دار صادر

(٧) اللسان ١/ ٤١٨ – دار صادر

كثيرة جداً ، مختلفة في اللفظ ، لكنها تتحد في المعنى ، فقالوا عن السيف حسام . قال عبيد بن الأبرص :

فيه الحديـدُ وفيه كلُّ مَصُونَة   نَبــعٍ وكُلُّ مُثَقَّف وحُسام[١]

وقال المرقش الأكبر :

بِفَتــى ناجِف وَأَمــرٍ أَحَذّ   وَحُسامٍ كالمِلــحِ طوعِ اليمين[٢]

وقال المزرد :

سُلافُ حَدِيد ما يزالُ حُسامُهُ   ذَلِيقــاً وقدَّتــهُ القــرونُ الأوائل[٣]

وقال الشنفري الأزردي :

حُسَامٍ كَلَــونِ الملــحِ صافٍ حديدُهُ   جُزارٍ كأقطــاعِ الغَـدِيرِ المُنَعَّتِ[٤]

وقالوا عن السيف ، المرهف والعضيب والصارم . قال عنترة :

بأسمــرَ من رمــاحِ الخَــطِّ لَدنٍ   وأبيضَ صارمٍ ذكرٍ يمانِ[٥]

وقالوا عنه الباتر ، والجمع بواتر . قال عبيد بن الأبرص :

أيامَ نَضــرِبُ هامَهُم   بِبَواتِــرٍ حتَّــى انحَنَينا[٦]

وقالوا عن السيف ، القصال ، والمقصل ، والمخضل ، والمخذم ، أي ذي خذام قاطع قال عبيد :

وَنَصــدُّ الأعــدَاءَ عَنَّــا بِضَربٍ   ذي خِذامٍ ، وطعنُنــا بالحِراب[٧]

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص -١٢٣
(٢) المفضليات ص -٢٢٨
(٣) المفضليات ص -٩٩
(٤) المفضليات ص -١١١
(٥) ديوان عنترة ص -٧٢
(٦) ديوان عبيد بن الأبرص ص -١٣٧
(٧) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٢٣

وقالوا عن السيف المجراز والقاضب والهذام وكلها تعبيراً من مضائه .

ويبدو انهم أحبوا من السيوف ما كان خفيف النصل ، ورقيق الشفرتين أملس ليناً ، صقيلاً أبيض ، يتلألأ حدّه ، وتبرق صفحته ، . فقد قالت الخنساء تمتدح السيف الرقيق (المهو) :

بِمهَـو إذا أنـت صوبته كأنَّ العظـام له خِروعُ[1]

والسيف الرقيق دليل على أنه من معدن صلب ممتاز قد يكون من الفولاذ وهذا دليل على تقدم في صناعة المعادن . وقال الحطيئة يمتدح السيف الأبيض الماضي الشفرتين :

مثابـرة رهـواً وزعـت رعيلها بأبيض ماضـي الشفـرتين صقيل[2]

وقال عبيد بن الأبرص في السيف الأبيض :

هاتيك تحمِلُنِـي وأبيض صارِماً ومُحَرَّبـاً في مارن مخموسِ[3]

ومن أسماء السيف الذكر . قال عنترة :

ذكر أشقُّ به الجماجـم في الوغى وأقـول لا تقطـع يمين الصَّيقلِ[4]

((والذَّكرُ والذَّكِيرُ من الحديد : أيبسهُ وأشدُّهُ وأجوده ، وهو خلاف

---

(١) ديوان الخنساء، ص -٥٥

(٢) ديوان الحطيئة ص -٩٢

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص ص -٧٠

(٤) ديوان عنترة ص -٦١

الأنيث ، وبذلك يسمى السيف مذكَّراً)) (١) وقال عبد الله بن سلمة :

وإن أكبَـر فلا بأطِيرِ أصرِ يُفـارِقُ عاتقـي ذَكَر خَشِيب[٢]

ومن أسماء السيف المرد ، والمنصل ، قال عنترة :

يُذَبَّـبُ وَرد علـى إثرِهِ وأدركهُ وقـعُ مُره خَشِب[٣]

وقال أيضـاً :

إنــي امـروٌ من خيرِ عبس مَنصِباً شَطرِي وأحمي سائـري بالمُنصُلِ[٤]

ب ـ الرماح وأنواعها :

الرمح سلاح يستعمل لطعن العدو ، وهو من الأسلحة التي استعملت قديماً إذ ورد ذكره في الكتاب المقدس حيث يقول : ((. . وقال أَعِدَّا مئتي عسكري ليذهبوا الى قيصريّة وسبعين فارساً ومئتي رامح من الساعة الثالثة من الليل))(٥). وورد ذكر الرماح في القرآن الكريم بقوله تعالى : ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم))(٦) .

وقد ورد ذكر الرمح في شعر الكثيرين من شعراء العصر الجاهلي وهذا ما يؤكد لنا معرفة الجاهليين بهذا النوع من الأسلحة ، فقد قال عنترة :

فشككتُ بالرُّمـحِ الطـويل ثيابَهُ ليس الكريم على القنا بِمُحَرمِ[٧]

---

(١) اللسان ٤ ـ٣١١
(٢) المفضليات ص ـ١٠٣
(٣) ديوان عنترة ص ـ٣٢
(٤) المصدر السابق ص ـ٥٧
(٥) أعمال الرسل ٢٣ ـ٢٣
(٦) سورة المائدة الآية ـ٩٤
(٧) شرح القصائد السبع ـ الأنباري ـ هارون ص ـ٤٦

وقال مزرّد بن ضرار الذبياني :

ولو في بنى الثُّرماءِ حلّت تَحَدَّبوا   عليها بأرماح طِوال الحَدَائِدِ[١]

وقال زهير بن أبي سلمى :

وكُرَّت جميعاً ، ثُمَّ فُرّق بَينَها   سَقى رُمحهُ منها بأحمرآني[٢]

ويقول زهير في مكان آخر :

إذا فزِعوا طارُوا الى مُستَغِيثِهِم   طِوَالَ الرّماحِ ،لا ضِعَافٌ ولا عُزل[٣]

ويبدو لنا من خلال هذه الأبيات التي ذكرناها من شعر بعض الشعراء الجاهليين أنهم كانوا يفتخرون بطول الرمح ، وهذا يدل أيضاً على وجود رماح قصيرة ، إلى جانب الرماح الطويلة التي يستعملها عادة الفرسان الأشداء ، لذلك نلاحظ أن كلاً من الشعراء الذين استشهدنا بشعرهم اعتزّوا بطول الرمح فعنترة يقول بالرمح الطويل ، والمزرّد يقول بأرماح طوال ، وزهير أيضاً يقول طوال الرماح ، والآن يجدر بنا أن نتعرّف على هذا النوع من السلاح بالتفصيل. فالرمح يتكوّن من ثلاثة أقسام هي : القناة والسنان والزج .

أ ـ **القناة :** وهي القائم الذي يدخل في أعلاه السنان ويثبت في أسفله الزج. وهي تصنع عادة من نبات الوشيج والمران ون القصب الهندي معترضاً ، وفي المحكم ك ملتقاً دخل بعضه بعضاً ، وقيل :

---

(١) المفضليات ص ـ٧٩

(٢) ديوان زهير ص ـ٢٩٢ المطبعة العربية حلب ـ١٩٧٠

(٣) ديوان زهير ص ـ٣٠ المطبعة العربية حلب ـ١٩٧٠

سميت كذلك لأنه تنبت عروقُها تحت الأرض)) (١) والذي يؤكد لنا صناعة قناة الرمح من الوشيج هو ما ورد على لسان الشعراء الجاهليين . قال زهير :

وهل يُنبِـتُ الخَطّـيَّ إلا وشِيجُهُ وتُغرسُ إلا في منابِتِها النخلُ؟[٢]

وهنا يثبت لنا زهير أن الوشيج يعطي قناة الرماح الخطّية ، وربما كانت منطقة الخطّ وهي ((جهات البحرين وعمان ، أو جزيرة بالبحرين))(٣) ، هي من المناطق العربية التي ينبت فيها الوشيج ، وقال عبيد بن الأبرص :

طُعِنُوا بِمُرَّانِ الوَشِيجِ فما ترى خَلفَ الأسِنَّـةِ غيرَ عِرقٍ يَشخُبُ[٤]

وقال الخصفي المحاربي :

ويومَ رُجَيجٍ صَبَّحَـت جَمـعَ طَيّء عَنَـاجِيجُ يَحمِلنَ الـوَشِيجَ المُقَوَّمَا[٥]

أما ((المُرَّانِ فهو نبات الرماح . ورمح مارن : صلب ليّن))(٦) قال قيس بن الخطيم :

ترى قِصَدَ المُـرَّانِ تَهـوي كأنَّها تَذَرُّعُ خِرصـانٍ بأيدي الشَّوَاطِبِ[٧]

وقال قيس أيضاً :

جَنبْنَـا الجِـرَابَ وَرَاءَ الصَّرِيــــخِ حتـى تَقَصَّفَ مُرَّانُهَا[٨]

---

(١) اللسان ٢ -٣٩٨
(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى ص -٤٠
(٣) معجم البلدان – ياقوت الحموي ٨ -٣٧٨
(٤) ديوان عبيد بن الأبرص ص -٣ الطبعة الأولى -١٩٥٧ القاهرة .
(٥) المفضليات ص -٣١٩
(٦) اللسان ١٣ -٤٠٣
(٧) ديوان قيس بن الخطيم ص -٨٥
(٨) نفس المصدر ص -٧٠

أما القصب الهندي الذي استعمله العرب الجاهليون في صناعة الرماح فقد أشار اليه عبيد بن الأبرص حيث يقول :

صَدق من الهنـدي أُلبس جُبّه   لحقـت بكعـب كالنـواة مليس[١]

ب- السنان : وهو النصل ، ويصنع من حديد ، ويبدو أن صناعة السنان كانت محليّة ويبدو أنها بلغت درجة من الشهرة ، فقد قال عوف بن الأحوص :

قنـاة مُذرَّبِ أكرهـت فيها   شُرَاعِياً   مقالِمُهُ   (ظماء)[٢]

والشراعي : السنان . وقد ورد في اللسان : ((. . قال : شُراعيٌّ نسبة إلى رجل كان يعمل الأسنة كأنّ اسمه كان شُراعاً فيكون هذا على قياس النسب))[٣] .

ويبين لنا عوف بن الأحوص أنه الذي أكره السنان على إدخاله بالقناة وعليه يمكننا أن نستنتج أن القناة التي غالباً ما تكون من الوشيج أو المران وهو غالباً من الأرض العربية إذ لم يشر إليه على أنه من مصدر أجنبي إن في لسان العرب أو غيره ، وكذلك السنان المصنوع من الحديد من صنـع شُراعٍ أو نحوه فهو صناعة محليّة ، وعملية إدخال السنان بالقناة أيضاً محلية فتكون صناعة الرماح بمجملها كانت محليّة في المجتمع العربي الجاهلي .

وهناك مصدر آخر يؤكد لنا أن العرب في العصر الجاهلي قد صنعوا الأسنة والرماح فقد ورد في العمدة : ((القعَّضَـبِيَّة : ضرب من الأسِنَّـة ،

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص -٧١

(٢) المفضليات ص -١٧٥

(٣) اللسان٨ -١٧٩

تنسب إلى قَعضَب ، رجل قشيري كان يعملها ، وكذلك الشرعبية أيضاً . قال الأعشى :

وَلـدن من الخَطّـيّ فيهـا أسنة ذخائـر ممـا سَنَّ أبزى وشَرعَبُ[1]

ومن قول الأعشى يمكننا أن نستنتج أن شرعب كان ممن يصنعون السنان ، ويلفت انتباهنا كلمة أبزى وهي غالباً اسم وبما أن شرعب اسم علم ومعطوف على أبزى ، فأبزى هذا غالباً اسم علم . وعليه يمكننا إضافته إلى قائمة صناع الأسنة . وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لم يشر إليه ابن رشيق كما أشار إلى الشرعبية ؟

يبدو أن الشعراء في العصر الجاهلي قد تحدثوا عن الصفات المحبوبة في كل جزء من أجزاء الرمح ، وأعطوا عناية خاصة للسنان ، فاستحسنت الشعراء من أسنة الرمح ما كان صافياً ، لامعاً ، حاداً ، ماضياً ، مصقولاً ، أحمراً ، متوقداً ، أزرقاً قال الحطيئة :

يَجُلنَ بفتيانِ الوَغَـى بِأكُفّهِم رُدَينِيَّةٌ سُمـرٌ أَسِنَّتُهـا حُمُر[2]

وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

وَأسمَـرَ خَطّـيّ كَأنَّ سِنَانَهُ شِهـابُ غَضـاً شَيَّعتُـهُ فَتَلَهَّبَا[3]

وقال سلامة بن جندل :

بالمشرِفِيّ ومَصقـولٍ أسِنَّتُهَا صُمّ العوامـلِ صَدقـاتِ الأنَابِيبِ

يُجلُـوا أسِنَّتَهـا فتيانُ عَادِيَة لا مقـرِفِينَ ولا سُود جَعَابِيبِ[4]

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢ -٢٣١

(٢) ديوان الحطيئة ص -١٠٤

(٣) المفضليات ص -٣٧٦

(٤) المفضليات ص -١٢٢

ومن البيت الثاني نستنتج أن الفرسان ، فتيان الحرب كانوا يصلحون الأسنَّة ويجلونها ، وليس أبناء الإماء أو القصار الضعاف .

ويتابع سلامة قائلاً :

زُرقاً أسِنَّتُها حُمراً مُثقفَة أطرافُهُنَّ مَقيل لِليَعاسِيبِ

وقال عنترة :

تَخَالُ سِنَانَةُ باللَّيلِ نارا[1] ومُيطرِدُ الكُعوبِ أحص صَدَقُ

وقال عميرة بن جعل :

جَمَعتُ رُدَينِيًّا كأ نَّ سِنِانه سَنَا لَهُبٍ لم يستعِن بِدُخَانِ

إذا لم يستعن بدخان كان أصفى له ، شبّه السنان في صفائه بصفاء لسان النار . قال الأصمعي : هذا أشعر بيت في وصف السنان[2] .

ويقال للسنان الخرصُ . قال تميم بن مقبل العامري :

مُرَّ السّهام بِخرصَان مُسَوَّمَة والمَشرفية نُهديها بأيدِينَا[3]

وقال عبيد بن الأبرص :

أوجَرتُ جُفرَتَهُ خُرصاً فَمَال بِهِ كَمَا انثَنَى مُخضَدٌ مِن نَاعِمِ الضَّالِ[4]

ويقال للسنان الدقيق : الحَشَر ، فقد ورد في الأغاني - أخبار علس ذي جدن - وحينما يتحدث عن قبره بصنعاء وآثاره يقول : ((وهذا سيفي ذو الكفّ عندي ، ودرعي ذاتُ الفروج ورمحي الهزبري ، وقوسي الفجواء ، وقرني

---

(١) ديوان عنترة ص -٤٤
(٢) المفضليات ص -٢٥٩
(٣) الجمهرة ص -٣٠٩
(٤) ديوان عبيد بن الأبرص ص -١٠٣

ذات الشرّ ، فيها ثلاثمائة حَشرْ ، من صنعة ذي نِمِر ، أعددت ذلك لدفع الموت عنّي فخانني »[1] وفي الحاشية يشرح كلمة حَشرْ : الدقيق من الأسنّة . وإذا كان تفسير كلمة « حشر » صحيحاً كما ورد في الأغاني فمعنى ذلك ان السنان كانت تصنع « بذي نمر » وهو : واد بنجد في ديار بني كلاب »[2] .

ج ـ الزّج : وهو الحديدة التي تكون في أسفل الرمح ويبدو أن حظه قليل في الشعر العربي الجاهلي خلافاً لما كان عليه السنان وربما كان سبب ذلك الاعتماد على استعمال السنان وندرة استعمال الزّجّ .

ومن الأقسام الباقية للرمح ، الجبة وهو الجزء الذي تدخل فيه القناة في السنان ، قال عبيد بن الأبرص :

صَدْقٍ من الهِنْدِيِّ أُلْبِسَ جُبَّةً لَحِقَتْ بِكَعْبٍ كالنَّواةِ مَلِيسِ[3]

وهناك غراب السنان أو حدّه . قال الحطيئة :

وإنَّ الحدودَ الزُّرْقَ مِنْ أَسْلاتِنَا إذا واجَهَتَهُنَّ النُّحورُ اقْشَعَرَّتِ[4]

والظبّة وهي رأس السنان المدبب ، والكعوب وهي العقد بين الأنبوبين من القناة . قال عنترة :

وَمُطَّرِدُ الكُعوبِ أَحَصُّ صَدْقٌ تَخَالُ سِنَانَهُ باللَّيلِ نَارَا[5]

وهناك العامل وهو قدر ذراع من السنان ، والأنبوب وهو القسم

---

(1) الأغاني 4-218 مؤسسة جمّال للطباعة والنشر ـ بيروت .

(2) معجم البلدان 5-304 دار صادر

(3) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ71

(4) ديوان الحطيئة ص ـ120

(5) ديوان عنترة ص ـ44

الموجود بين عقدتين . قال سلامة بن جندل :

بالمَشرفِــيِّ ومَصْقـــولٍ أسِنَّتُها   صُمٍّ العوامِــلِ صَدْقَـــاتِ الأنابيب[1]

أما قائم الرمح فأجوده عند العرب الجاهليين ، ما كان أصم غير اجوف ، مطرداً ، معتدلاً ليس فيه أعوجاج ، أملس لا لحاء عليه ولا نتوء ، صلباً ، غير يابس ، مارنا ، يضطرب عند اهتزازه ، لدناً ، ليناً ، يرضي صاحبه ، ويلذّ به الكف كلما هزّ ، مثقفاً ، مقوماً ، وعقده صلبة ليست خوارة ، وكعوبة مطردة صحيحة ، وفضلوا من ألوانه الأحمر والأسمر لأن كلّاً منهما يدل على الصلابة وتمام النضج ، وذلك كما نرى في الشواهد التالية :

قال عروة بن الورد :

بكلِّ رُقــاقِ الشَّفْــرتَيْنِ مُهَنَّدٍ   وَلَدْنٍ من الخَطِّـي ، قَدْ طُرَّ ، أسْمَرَ[2]

وقال عمرو بن كلثوم :

بِسُمْـــرٍ من قنـــا الخطِّـــيِّ لُدْنٍ   ذوابِـــلَ أو ببيضٍ يَعْتَلِينا[3]

وقال الحطيئة :

بِكُلِّ قنـــاة صَدْقَـــة رُدَينَة   إذا أُكْرِهَــتْ لم تَنْأَطِـــرْ واثْمَأَرَّتِ[4]

وقال تميم بن مقبل العامري :

أو كاهتـــزازِ رُدَيْنِـــيٍّ تُداوِلُهُ   أَيْدِي الرِّجــالِ ، فزادوا مَسَّــهُ لِينَا[5]

---

(1) المفضليات ص ـ122

(2) ديوان عروة بن الورد ص ـ41 ـ دار صادر ـ

(3) معلقة عمرو بن كلثوم ـ شرح المعلقات البيت ـ31 ص ـ395 ـ الأنباري ـ هارون

(4) ديوان الحطيئة ص ـ120

(5) الجمهرة ص ـ309

وقال المزرد :

ومُطَّــردً لَدْنُ الكُعُــوبِ كأنما تَغَشَّــاهُ مُنْبَــاعٌ مِنَ الــزَّيْتِ سائِلُ(1)

وقال عنترة :

والبيضُ تَلْمَـعُ، والرِّمــاحُ عَواسِلٌ والقـــومُ بين مُجَـــدَّلٍ ومُقَيَّدِ(2)

وقد ورد في الشعر الجاهلي أسماء أنواع عدة من الرماح منها :

1 ـ الردينيّة :

قال النابغة الذبياني :

يُكَشِّفْـــنَ الألاءَ مُزَيَّنَاتٍ بغــابِ رُدَيْنَــةَ السُّحْــمِ الطــوالِ(3)

وقال الحطيئة :

يَجُلْنَ بِفِتْيانِ الوَغَـــى بِأَكُفِّهِمْ رُدَيْنِيَّةٌ سُمْـــرٌ أسِنَّتُهـــا حُمُرْ(4)

وقال عنترة :

تصـــيح الــرُّدَيْنِيَّاتُ في حجباتِهِـمْ صِياح العَوَالِي في الثِّقافِ المُثَقَّبِ(5)

وقال الحصين بن الحمام المري :

يَهُــزُّونَ سُمْــراً من رمـــاحِ رُدَيْنَة إذا حُرِّكَتْ بَضَّـــتْ عَوامِلُهَـــا دمَا(6)

وردينة هذه التي ورد ذكرها في الأبيات السابقة يبدو أنهم اختلفوا في

---

(1) المفضليات ص ـ99

(2) ديوان عنترة ص ـ138

(3) ديوان النابغة ص ـ 89

(4) ديوان الحطيئة ص ـ104

(5) ديوان عنترة ص ـ35

(6) المفضليات ص ـ 66: دار المعارف بمصر ـ شاكر وهارون .

أمرها ، إذ يقول صاحب معجم البلدان : « ردينة جزيرة ترفأ اليها السفن ، ويقال : ردينة امرأة والرماح منسوبة اليها ، ويقال : ردينة قرية تكون بها الرماح ، ويقال : هو رجل كان يثقف الرماح ، وقال أبو زياد : ردينة كورة تعمل بها الرماح »[1] .

أما صاحب اللسان فإنه يقول : « . . وردينة : اسم امرأة ، والرماح الردينية منسوبة إليها . الجوهري : القناة الردينية والرمح الرديني زعموا أنه منسوب إلى امرأة السمهري ، تسمى ردينة ، وكانا يقوِّمان القنا بخط هجر »[2] .

وعن بلوغ الأرب : أن الرماح الردينية وهي أكرم الرماح وأشرعها نفاذاً تنسب الى ردينة التي كانت تصنعها في منطقة البحرين »[3] .

فالأرجح أن ردينة اسم امرأة كانت تعمل مع زوجها في صناعة الرماح بخط هجر .

2 ـ السمهرية :

قال الحطيئة :

فَمَا إِنْ كانَ عن وُدٍّ ولكنْ أباحوهَا بِصُمٍّ السَّمْهَرِيِّ[4]

وقال الحصين بن الحمام المري :

نُطَارِدُهم نَسْتَنْقِذُ الجُرْدَ كالقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْهَرِيَّ المُقَوَّمَا[5]

---

(1) معجم البلدان لياقوت الحموي 3-41

(2) اللسان 13-178

(3) المرأة في التاريخ العربي قبل الاسلام . د . ليلى صباغ ص ـ117 عن بلوغ الأرب 2-64

(4) ديوان الحطيئة ص ـ139

(5) المفضليات ص ـ65

وقال زيد الخيل :

لَقِينَاهُــمُ نَسْتَنْقِــذُ الخَيْلَ كالقَنَا ويَسْتَسْلِبُونَ السَّمْهَــرِيَّ المقوَّما[1]

يقول صاحب العمدة : « والسمهري : الرمح الشديد ، يقال اسمهرّ الأمر ، إذا اشتدّ »[2] . ويقول صاحب لسان العرب : « السمهري : الرمح الصليب العود . . والسمهرية : القناة الصلبة ، ويقال : منسوبة الى سمهر اسم رجل كان يقوِّم الرماح ؛ يقال : رمح سمهريّ . . التهذيب : الرماح السمهرية تنسب إلى رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخطّ ، قال : وامرأته ردينة »[3] .

وعليه يبدو أن سمهر وزوجته ردينة كانا يصنعان الرماح بخط هجر ، ويبدوأنهما أتقنا صناعة الرماح حتى بلغا بها شأواً بعيداً من الشهرة التي عمّت أرجاء الجزيرة العربية في العصر الجاهلي لذلك أضحى معظم الشعراء الجاهليين يتغنون ويمتدحون الرماح الردينية والسمهرية .

3 ـ الخطِّيَّة :

قال عروة بن الورد :

بكل رُقَــاقِ الشَّفْــرتين مُهَنَّد وَلَدْنٍ من الخطِّيِّ ، قد طُرَّ ، أَسْمَرَا[4]

---

(1) شعر الحرب . د . علي الجندي ـ دار مكتبة الجامعة العربية ـ الطبعة الثالثة ـ 1966 ص ـ 481 عن الأغاني 16 -55

(2) العمدة ـ ابن رشيق 2 -232

(3) اللسان 4 -381 ـ دار صادر

(4) ديوان عروة بن الورد ص ـ 41 ـ دار صادر

وقال النابغة الذبياني :

لَهُــنَّ عليهــم عَادَةٌ قد عَرَفْنَها إذا عُرِّضَ الخطِّــيُّ فوقَ الكوائِبِ(1)

وقال عمرو بن كلثوم في معلقته :

بِسُمْــرٍ من قَنَــا الخطِّــيِّ لُدْنٍ ذَوَابِــلَ أو بِبِيضٍ يَعْتَلِينا(2)

وقال زهير بن أبي سلمى :

وهــل يُنْبِــتُ الخطِّــيَّ إلاَّ وَشِيجُهُ وتُغْـرَسُ إلاَّ في منابِتِهـا النَّخْلُ ؟(3)

قال ابن رشيق : « الخط : جزيرة بالبحرين تنسب إليها الرماح »(4) . وقال ياقوت : « الخط : أرض تنسب اليها الرماح الخطية ، وهو خط عمان ومن قرى الخط ، القطيف ، والعقير ، وقطر ، وهي مواضع كانت تجلب اليها الرماح القنا من الهند ، فتقوّم فيه وتباع على العرب »(5) . وورد في اللسان : « . . الليث : الخطُّ أرض ينسب إليها الرماح الخطية . . وهو خط عُمان . قال أبو منصور : وذلك السِّيفُ كله يسمى الخط ، ومن قرى الخط القطيف والعُقير وقطر . قال ابن سيده : والخط سِيفُ البحرين وعمان . وقيل : الخط مرفأ السفن بالبحرين تنسب اليه الرماح . . وليست الخط بمنبت للرماح ، ولكنها مرفأ السفن التي تحمل القنا من الهند . قال أبو حنيفة : الخطي الرماح . . ونسبته الى الخط خط البحرين وإليه ترفأ السفن إذا جاءت من أرض الهند، وليس الخطي الذي هو الرماح من نبات أرض

---

(1) ديوان النابغة ص ـ43

(2) البيت ـ31 شرح المعلقات ـ الأنباري ـ هارون ص ـ395

(3) ديوان زهير ص ـ40

(4) العمدة ـ ابن رشيق2 -232

(5) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي2 -378

العرب ، وقد كثر مجيئه في أشعارها ، قال الشاعر في نباته :

وهـــل يُنْبِـــتُ الخَطِّـــيَّ إلاّ وشيجهُ وتغـرسُ ، إلاّ في منابِتِهـا ، النَّخْلُ ؟

وفي حديث أمّ زرع : فأخذ خطياً ، الرمح المنسوب إلى الخط . الجوهري : الخط موضع باليمامة ، وهو خط هجر تنسب إليه الرماح الخطية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوّم به »[1] .

ومن كل ذلك يبدو لنا أن الخط كان مكاناً على شاطىء البحر جهة البحرين وقطر وعمان ، ويبدو أنه كان مرفأ لرسو السفن القادمة من الهند والتي تحمل الأخشاب التي تستعمل في صناعة الرماح ، وهي القناة . وان نسبة الرماح إلى الخط لا يقصد بها المكان الذي تنبت فيه أشجار الرماح ، لكن للمكان الذي ترد إليه من الخارج ، أو تقوّم به وتصنع .

4 ـ اليزنيّة :

قال أبو ذؤيب :

وكِلاهُمَـــا في كَفِّـــهِ يَزَنِيَّةٌ فيهـا سِنَـــانٌ كالمَنَـــارةِ أصْلَعُ[2]

وورد في العمدة : « الرماح اليزنية ، منسوبة إلى ذي يزن الملك ، ويقال الأيزنية ، قال ذو الرمة :

أرين الـذي استودعـــن سوداء قلبه هوىً مثل شكّ الأيزنـيّ النواجِم »[3]

ولكي نلمّ بعملية صناعة الرماح من جميع جوانبها يجدر بنا أن نتحدث

---

(1) لسان العرب 7-290

(2) المفضليات ص ـ 428

(3) العمدة ـ ابن رشيق 2-230

عن الثقاف ، تلك الكلمة التي ترددت عند الكثيرين من شعراء العصر الجاهلي . قال عبيد بن الأبرص :

وذَوِي الجيادِ الجُرْدِ والأسَلِ المُثَقَّفَةِ المُقَامَة[1]

وقال عمرو بن كلثوم :

إذا عَضَّ الثُّقَافُ بها اشْمأزَّتْ وَوَلَّتْهُمْ عَشَوْزَنَةً زَبونا[2]

وقال عنترة :

تصيحُ الرّدينياتُ في حَجَباتِهِمْ صياحَ العَوالي في الثّقافِ المُثَقَّبِ[3]

وقال سلامة بن جندل :

سَوَّى الثِّقافُ قَناهَا فَهْيَ مُحْكَمَةٌ قليلةُ الزَّيْغِ من سَنٍّ وتركيبِ[4]

مما تقدم نلاحظ إن قناة الرمح تخضع لعملية تثقيف بواسطة الثِّقَاف ، « والثقاف : حديدة تكون مع القوّاس والرّماح يقوِّم بها الشيءَ المعوجَّ . وقال أبو حنيفة : الثِّقاف خشبة قوية قدر الذّراع في طرفها خَرق يتسع للقوس وتدخل فيه على شحوبتها ويغمز منها حيث يُبتغى أن يُغمز حتى تصير الى ما يراد منها ، ولا يفعل ذلك بالقسيّ ولا بالرّماحِ إلا مدهونةً مملولة أو مضهوبةً على النار ملوّحة »[5] .

وقد جاء في الاستيعاب : « كان نوفل بن الحرث بن عبد المطلب

---

(1) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ125

(2) معلقة عمرو بن كلثوم البيت ـ48 ـ شرح المعلقات ـ الأنباري ـ هارون ص ـ404

(3) ديوان عنترة ص ـ35

(4) المفضليات ص ـ123

(5) اللسان9 -20

يتجر في الرماح وبها فدى نفسه لما أُسر في غزوة بدر وكانت ألف رمح . وفي طبقات ابن سعد لما أسر نوفل بن الحارث ببدرقال له النبي (ص) : أفد نفسك برماحك التي بجده . قال : أشهد أنك رسول الله ففدى نفسه بها وكانت ألف رمح . وفيها أنه أعان النبي (ص) يوم حنين بثلاثة آلاف رمح »[1] ونفهم من ذلك أن نوفل ربما كان أحد التجار المنتشرين في أرجاء الجزيرة العربية وربما كانوا يحصلون على أرباح طائلة منها .

جـ ـ صناعة الدروع وانواعها

الدِّرْعُ : لبوس الحديد ، تذكر وتؤنث . . والجمع في القليل أدرع وأدراع ، وفي الكثير دروع . . ابن السكيت: هي درع الحديد »[2] . يبدوأنها من الأسلحة التي استعملت قديماً ، إذ صنَّفها قاموس الكتاب المقدس من بين أسلحة الدفاع ، وذكر واضعوه أن الدرع كان يغطي الصدر والظهر والبطن ، وهو يتألف من جزئين موصولين عند الجنب ، وهو إحدى القطع التي جهزها (عزيا) لجنوده ، وكان (آخاب) يلبسه عندما مات في معركة (راموت جلعاد)[3] .

وقد ورد في عيون الأخبار : « . . حدّثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن . . ابن يزيد ـ فيما حفظت ان شاء الله ـ أن النبي (ص) كان عليه درعان يوم أحد »[4] .

ويبدو أن العرب ينسبون صناعة الدروع إلى عدة مصادر فمنهم من

---

(1) التراتيب الادارية للكتاني2-38

(2) اللسان8-81

(3) قاموس الكتاب المقدس ص ـ477

(4) عيون الأخبار ـ ابن قتيبة ـ باب الحرب ص ـ24 دار الفكر ـ مكتبة الحياة .

ينسبها إلى فرعون وغيره . يقول صاحب العمدة : « الدروع تنسب إلى فرعون . قال راشد بن كثير :

بكل فِرْعَوْنِيَّة لونُها مثل بصيص البغشة الغادية

وتنسب إلى داود ، وسليمان ، وتبع ، ومحرق ، يريدون بذلك القِدَمَ وجودة الصنعة » . . وسلوق : قرية باليمن ، واليها تنسب الكلاب والدروع . . والدروع الحُطَمِيَّة : منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن عبد القيس بن أقصى . وقال ابن الكلبي : هي منسوبة الى حطم ، وهو أحد بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة . وقال الأصمعي : لا أعلم ما تنسب إليه »[1] .

قال الحطيئة :

يَمْشُونَ في نسجِ داود كَأَنَّهُمُ بُزْلُ طَلى أُدْمَهَا بالزِّفْتِ طاليها[2]

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى :

شُمُّ العَرانين ، أبطالٌ ، لَبُوسُهُمُ من نَسْجِ داوودَ ، في الهيْجا ، سَرَابيلُ[3]

وقال بشامة بن عمرو :

ومِن نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةً تَرَى لِلْقَوَاضِبِ فيها صَلِيلا[4]

وقال الحصين بن الحمام المري :

صَفَائِحَ بُصْرَى أخْلَصَتْهَا قيونُهَا ومُطَّرِداً مِنْ نَسْجِ داودَ مُبْهَمَا[5]

---

(1) العمدة ـ ابن رشيق 2-230

(2) ديوان الحطيئة ص ـ242

(3) الجمهرة ص ـ287

(4) المفضليات ص ـ59

(5) المفضليات ص ـ66

هذا بعض ما ورد من أقوال الشعراء الجاهليين ومنه يبدو لنا أنهم كانوا ينسبون صناعةالدروع الى داوود عليه السلام . أما نسبة صناعتها إلى سليمان عليه السلام فتظهر لنا من شعر الحطيئة حيث يقول :

فيهِ الرِّماحُ وفيهِ كلُّ سابِغَة جَدْلاءَ مُبْهَمَة مِنْ نَسْجِ سَلاَّمِ[1]

ومن قول النابغة الذبياني :

وكلّ صَمُوتٍ نَثْلَة تُبَّعِيَّة وَنَسْجُ سُلَيْمٍ كلَّ قَضَّاءَ ذائِلِ[2]

والمقصود بـ « سلاَّم » و « سُليم » سليمان ابن داوود عليه السلام . والغالب عند الجاهليين نسبة الدروع الى داوود عليه السلام . كما أن القرآن الكريم يوضح لنا الصورة حيث جاء في قوله تعالى : « ولقد آتينا داوود منّا فضلاً يا جبالُ أوِّبي معه والطيرَ وألَنَّا له الحديد . أَنِ اعمَلَ سابغاتٍ وقَدِّرْ في السَّرْدِ واعْمَلُوا صالحاً إنِّي بما تعملونَ بصيرٌ »[3] . وهذه صورة واضحة تبيّن لنا أن داوود عليه السلام عمل بصناعة الحديد فكان في يده كالعجين وعمل منه السابغات أي الدروع الواسعة المحكمة السرد أي الصنع . وربما تعلم آل داود ومنهم ابنه سليمان صناعة الدروع أيضاً . أو ربما كانت الإشارة الى سليمان والمقصود بها والده داود .

وفي قول النابغة الذي سبق ذكره لفظة تبّعيّة ، والصموت هي الدرع اللينة ، فالمقصود الدرع اللينة النثلة أي السابغة ، الواسعة المنسوبة إلى

---

(1) ديوان الحطيئة ص ـ75

(2) ديوان النابغة ص ـ146 دار المعارف

(3) سورة سبأ ـ الآية ـ10 و11

تبّع . كما إن لفظة تبّع وردت أيضاً في شعر أبي ذؤيب حيث يقول :

وعليهما مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا   دَاوُودُ أَوْ صَنَعَ السَّوابِغِ تُبَّعُ(1)

والمسرودتان يعني الدرعين ، قضاهما : أحكمهما داوود أي منسوبة اليه ، أو حذق في عملهما تبّع « قال الأصمعي : سُمع بأن الحديد سخّر لداود عليه السلام ، وسمع بالدروع التبعية ، فظن أن تبّعاً عملها ، وكان تبّع أعظم شأناً من أن يصنع شيئاً بيده ، وإنما عُمِلَتْ بأمره وفي ملكه »(2) .

وبما أن هناك فترة زمنية طويلة بين داود عليه السلام وبين الشعراء الذين ذكرناهم ولا يعقل أن تكون تلك الدروع التي يشيرون اليها ويمتدحونها لا تزال مما نسجه داود ، فربما كانت إشارة إلى الصناع اليهود الذين كانوا في عصرهم ، وكانوا يعتبرونهم من أشياع داود وعليه كانت نسبة الدروع . وتبّع الذي ورد ذكره أيضاً في شعر المزرد حيث يقول :

ومَسْفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبَّعِيَّةٌ   وآهَا القَتِير تَجْتَوِيهَا المَعَابِلُ(3)

هل المقصود به تبّع بعينه أم كل تبّع ، والمعروف أن التبابعة هم ملوك اليمن ، فربما كان بعض الملوك يصنع الدروع ، وبما أن الدروع كانت من الأسلحة الوقائية الهامة في ذلك العصر وعليه يحتاجها كل إنسان فلا بدّ أن يكون قد تعلم صناعتها بعض قوم تبّع أو بعض أتباع التبابعة أي أهل اليمن ، لذلك يرجح أن يكون المقصود الدروع اليمنية هي المقصودة وهي التي امتدح الشعراء جودتها .

---

(1) المفضليات ص ـ428

(2) نفس المصدر

(3) المفضليات ص ـ98

ويقول الأخباريون أن (شمر يرعش) في أوائل القرن الرابع للميلاد ، هو أول ملك أمر بصنعة الدروع المفاضة التي منها سواعدها وأكفّها والأبدان ، وقد فرض على (فارس) ألف درع يؤدونها كل عام ، وكان عامله عليهم (بلاس بن قباذ) ، وجعل على الروم ألف درع ، يؤدونها كل عام ، وكان عامله على الروم (ما هان بن هرقل) وجعل على أهل بابل وعمان والبحرين ألف درع ، وعلى أهل اليمن ألف درع »[1] .

« . . والسابريّ ، والأصل فيها الدروع السابرية منسوبة الى سابور . . وسابور موضع أعجمي معرب »[2] .

وقد ورد ذكر الدروع في الشعر الجاهلي . قال امرؤ القيس :

أحْمَى الدُّروعَ لَهُمْ فَسَرْبَلَهُمْ بِها ... والنارَ كَحَّلَهُمْ بِها تكْحِيلا[3]

كما أن الشعراء في العصر الجاهلي عَبَّروا عن الدروع بأسماء مختلفة منها : اللَّبوس . قال زهير :

عليها أُسودٌ ،ضارياتٌ ،لَبُوسُهُمْ ... سَوَابِغُ ، بِيضٌ ، لا تُخَرِّقُها النَّبْلُ[4]

وقال عنترة بن شداد :

تَرَكُوا اللَّبوسَ مع السِّلاحِ هَزِيمَةً ... يَجْرُونَ في عُرْضِ الفلاةِ المُقْفِرِ[5]

ومنها السربال . قال الحطيئة :

وَحَثَّهُ الرَّكْضَ والسِّرْبالُ سَابِغَةٌ ... الى نِداءِ بِظَهْرِ الغَيْبِ تَثْوِيبِ

---

(1) المفصل - الدكتور جواد علي 2-539

(2) اللسان 4-342

(3) شرح القصاد السبع - الأنباري - هارون ص -12

(4) ديوان زهير ص -31

(5) ديوان عنترة ص -125

ومنها الخرصان فقد ورد في اللسان : « الأزهري : ويقال للدروع خُرصان وخِرصان وأنشد :

سمّ الصَّبَاحِ بِخُرْصَانٍ مُسَوَّمَة والمَشْرَفِيَّةُ نُهْدِيهَا بِأَيْدِينَا

قال بعضهم : أراد بالخرصان الدروع ، وتسويمها جعل حِلَقٍ صُفْرٍ فيها »(1)

ومنها النَّثْرَةُ . قال ثعلبة بن صعير :

تَئِق كَجُلْمُودِ القِذَافِ وَنَثْرَة ثقْف وعَرّاصِ المَهَزَّةِ عَاتِرِ(2)

والبيضاء ، قال ثعلبة بن عمرو العُبدي :

بِبَيْضَاءَ مِثْلِ النِّهْيِ رِيحَ وَمَدَّهُ شآبيبُ غَيْثٍ يَحْفِشُ الأُكْمَ صَائِفُ(3)

واللأمة، قال عبيد بن الأبرص :

ترى لَهُنَّ عَزِيقاً في مُوَاثَبَة إذا هُمُ لَبِسُوا اللأماتِ وافْتَرَطُوا(4)

ومن أسماء الدرع الشليل ، قال زبان بن سيار المري :

أعْددتُها لِبَنِي اللَّقِيطَةِ فَوْقَهَا رُمْحِي وسَيْفٌ صارمٌ وشَلِيلُ(5)

وقد ورد في اللسان : « . . الشليل : الغلالة التي تلبس فوق الدرع ، وقيل : هي الدرع الصغيرة القصيرة تكون تحت الكبيرة . وقيل تحت الدرع من ثوب أو غيره . وقيل : هي الدرع ما كانت ، والجمع

---

(1) اللسان 7-22 hggshk
(2) المفضليات ص ـ131
(3) المفضليات ص ـ282
(4) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ84
(5) المفضليات ص ـ353

الأشلَّة ؛ قال أوس :

وَجِئْنَا بِهَا شَهْبَاءَ ذاتَ أشِلَّة ، لها عارِضٌ فيه المَنِيَّةُ تَلْمَعُ

ابن شميل : ويقال للدرع نفسها شليل »[1] .

ومنها السرد . قال عبيد بن الأبرص :

كَلَوْنِ الماءِ أسْوَدُ ذُو قُتُورٍ نُسِجْنَ تَلاَحُمَ السَّرْدِ الدِّلاصِ[2]

وقد ورد في اللسان : « والسرْدُ : اسم جامع للدروع وسائر الحلق وما أشبهها من عمل الخلق ، وسُمِّيَ سرداً لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار ، فذلك الحلق المِسْرَدْ ، والمسرودة الدرع المثقوبة »[3] .

ومنها الْيَلَبُ واحدتها يلبة . قال عمرو بن كلثوم :

عَلَيْنَا البَيْضُ واليَلَبُ اليَمَانِي وَأسْيَافٌ يُقَمْنَ وَيَنْحَنِينَا[4]

وقد ورد في اللسان: اليلب : الدروع ، يمانية ، ابن سيدة : اليلب الترسة ، وقيل : الدرق ، وقيل : هي البيض . . . واليلب : الفولاذ من الحديد . التهذيب ، ابن شميل : اليلب خالص الحديد واستشهد بقول عمرو بن كلثوم »[5] . ويقال للدرع الواسعة : المفاضة . قال نابغة بني جعدة :

وَنَهْنَهْتُهُ حتى لَبِستُ مَفَاضَةً مُضَاعَفَةً كالنِّهْي رِيحَ ، وأمْطَرا[6]

---

(1) لسان العرب 11-362

(2) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ78

(3) اللسان 3-211

(4) شرح القصائد السبع ـ الأنباري ـ هارون ـ المعلقة البيت ـ67 ـ ص ـ414

(5) اللسان 1-806

(6) جمهرة أشعار العرب ص ـ278

ويقال للدروع الفضفاضة ـ السوابغ ـ قال كعب بن زهير بن أبي سلمى :

بِيضٌ سَوَابِغُ قد شُكَّتْ لهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ القَفْعَاءِ مَجْدُولُ(1)

وقال قيس بن الخطيم :

أَبَحْنَا المُسْبِغِينَ كما أَبَاحَتْ يَمَانُونَا بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْرِ(2)

وقال عنترة :

إذا مَشَوْا في السّابغاتِ حَسِبْتَهُمْ سُيُولاً وقد جاشتْ بهنَّ الأَبَاطِحُ(3)

ويقال للدرع الفضفاضة اللينة : السابغة الزغف . قال عنترة :

أُحِبُّ كما يَهْوَاهُ رُمْحِي وَصَارِمِي وسابغةٌ زَعْفٌ وسابِغَةٌ نَهْدُ(4)

والدرع اللينة فقط الزغف . قال الحطيئة :

وكلَّ مُفاضةٍ جَدْلاءَ زَغْفٍ مُضَاعَفَةٍ وَأَبْيَضَ مَشْرَفِيِّ(5)

وقال يزيد بن الخذاق الشني :

يُعِدُّ لِيَوْمِ الرَّوْعِ زَغْفاً مُفاضَةً دِلاصاً وذا غَرْبٍ أحَدَّ ضَرُوسَا(6)

ويقال للدرع اللينة أيضاً : الصَّموتُ . قال النابغة الذبياني :

وكلّ صَمُوتٍ نَثْلةٍ تُبَّعِيَّةٍ ونَسْجُ سُلَيْمٍ كلَّ قضَّاءَ ذائِلِ(7)

---

(1) جمهرة أشعار العرب ص ـ287
(2) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ185
(3) ديوان عنترة ص ـ38
(4) ديوان عنترة ص ـ125
(5) ديوان الحطيئة ص ـ140
(6) المفضليات ص ـ298
(7) ديوان النابغة الذبياني ص ـ146

ويبدو أن الجاهليين وغيرهم قد تفنّنوا بصناعة الدروع ، فاختاروا لها أجود الحديد وصنعوها فضفاضة لينة ذات نتوء وغيره ، كما إنهم نسجوها مضاعفة الحلقات وبذلك تضاعفت متانتها . قال قيس بن الخطيم :

مُضَاعَفَةً يَغْشَى الأنامِلَ فَضْلُها كَأنَّ قَتِيرَيْها عُيُون الجنادبِ(1)

ويقال للدرع المضاعفة الحلقات أيضاً : الموْضُونَة . قال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري :

أعْدَدْتُ لِلأعْداءِ مَوْضُونَةً فَضْفَاضَةً كالنِّهْيِ بالقَاعِ(2)

وقد ورد في اللسان : « . . والموْضونة : الدرع المنسوجة ، ويقال : المنسوجة بالجواهر ، تُوضَنُ حِلَقُ الدرع بعضها في بعض مضاعفة . وقال بعضهم ؛ درع موضونة مقاربة في النسج »(3)

وتربط حلقات الدرع بعضها ببعض بواسطة مسامير محكمة الصنع تكوّن نتوءاً تصدّ ضربات السيوف والرماح ، ويقال لتلك المسامير : الحرابي ، وللدروع من هذا النوع : ذات الحرابي . قال الحطيئة :

كالهُنْدُوَانِيِّ لا تَثْنِي مَضَارِبَهُ ذَاتُ الحَرَابِيِّ فَوْقَ الدَّارِعِ البَطَلِ(4)

ويقال للمسامير أيضاً القتير . قال المزرد :

ومسفُوحَةٌ فَضْفَاضَةٌ تُبَّعِيَّةٌ وآهَا القَتِيرُ تَجْتَوِيها المَعَابِلُ(5)

ويتابع المزرد مسترسلاً في وصف الدرع ، وقد يكون بذلك من

---

(1) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ82
(2) المفضليات ص ـ284
(3) اللسان 13 -450
(4) ديوان الحطيئة ص ـ98
(5) المفضليات ص ـ98

أفضل الشعراء المجيدين في هذا الوصف ، ويمكن لمن أراد الاطلاع عليه في المرجع المشار اليه .

وأما الحداد الذي يصنع الدروع فيقال له : الجِنْثِيُّ . قال لبيد :

أحْكَمَ الجِنْثِيُّ ، مِنْ عَوْرَاتِها كلَّ حِرْبَاء ، إذا أُكْرِهِ صَلْ(1)

مما تقدم نستنتج أن صناعة الدروع كانت متوفرة في المجتمع الجاهلي وخاصة في اليمن ، وأنها كانت من أدوات الحرب الضرورية ، ولذلك أكثر الشعراء من ذكرها في أشعارهم وغالباً ما افتخروا بها ، وتحدثوا عن جودة مادتها وإحكام صنعتها ، وصلابتها ، ومساميرها وحلقها ونسجها المحكم . وذكروا المضاعفة النسج والسابغة وذات الأذيال وغيرها .

د ـ صناعة القسي والسهام وانواعها :

القوس والسهم ، سلاح يمكن أن يستعمله المشاة أو راكبو الخيل . فالقوس هي الآلة التي تمسك باليد ، ويُشد وترها شداً قوياً ، ليرمي السهم إلى الهدف المراد رميه . وكلما كان الشدّ قوياً ،صارت الرمية بعيدة مؤثرة .

وهو من الأسلحة التي استعملت قديماً إذ ورد ذكره في الكتاب المقدس وقد أشار القاموس الى ذلك(2) . كما ورد ذكر القوس في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : « ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى »(3) . وينسب الى الرسول (ص) أنه كان يحث أصحابه على تعلم الرماية وإتقانها .

---

(1) اللسان 1 -306

(2) قاموس الكتاب المقدس ص ـ476

(3) سورة النجم الآية ـ9

« فلقد عدت الرماية من جملة الخصال العالية في الشخص المكملة للانسان . وقد اشتهر في الجاهلية قوم بدقة رمايتهم . وإذا أرادوا وصف رجل بدقة الرمي ، قالوا فيه : كان من أرمى الناس . وكانت الرماية دراسة يتعملها الرامي من رماة ماهرين . . ولقد استعان الفرس والروم والرومان بالرماة الماهرين من العرب ، فكوّنوا منهم فرقاً خاصة في جيوشهم . . وقد كان في صفوف قريش والوثنيين جماعة من الرماة المهرة الذين يصيبون الأهداف »(1) .

1 ـ أسماء القوس :

ولأهمية هذا السلاح في المجتمع الجاهلي فقد ورد ذكره على ألسنة الشعراء إذ قلّما نجد شاعراً تجنب الاشارة اليه . قال عنترة :

فَأَعْجَبْ لَهُنَّ سِهاماً غَيْرَ طَائِشَةٍ   من الجُفُونِ بلا قَوْسٍ ولا وَتَرِ(2)

وقد أشار الشعراء إلى القسي بأسماء مختلفة منها : العطائف . قال ذو الرمة :

وَأَشْقَرَ بَلَّى وَشْيَهُ خَفَقَانُهُ   على البيضِ في أغْمَادِهَا والعَطَائِفِ

« والعطائف : القسيّ واحدتها عَطِيفَة ، كما سمّوْها حنيّة »(3) .

ومن أسماء القوس ، الصفراء ، قال الشماخ بن ضرار :

مُطِلّاً بزرق ما يُداوى رَمِيُّها ،   وصفراءَ من نبْعٍ عليها الجلائز(4)

---

(1) المفصل . د . جواد علي 5 - 426 وما بعدها .
(2) ديوان عنترة ص ـ 150
(3) اللسان 9 - 250
(4) جمهرة أشعار العرب ـ ص ـ 297 ـ دار صادر

ويتابع الشماخ واصفاً القوس وصفاً دقيقاً والسهم ، وصوته المترنم وهو ينطلق نحو هدفه ، لذلك عُدَّ الشماخ أوصف الناس للقسي ، فقد قال صاحب العمدة : « وأما الحمر الوحشية والقسيّ فأوصف الناس لها الشماخ ، شهدَ له بذلك الحطيئة والفرزدق ، وهذان يجيدان صفات الخيل والقسيّ أيضاً والنبل »[1] .

وقال المزرد :

لنَعْتِ صُبَاحِيٌّ طويلٍ شَقَاؤه　　لَهُ رَقَمِيَّاتٌ وَصَفْرَاءُ ذَابِلُ[2]

وقد أشير إلى القوس بـ (الفرع) . قال راشد بن شهاب اليشكري :

ونَبْلٌ قِرانٌ كالسُّيُورِ سَلاجِمٌ　　وَفَرْعٌ هَتُوفٌ لا سَقِيٌّ ولا نَشَمْ[3]

وأشير الى القوس بـ (الهتوف) . قال عنترة :

بكُلِّ هَتُوفٍ عَجْسُها رَضْوِيَّة　　وَسَهْمٍ كَسَيْرِ الحِمْيَرِيِّ المؤنَّفِ[4]

وقيل عن القوس النفيجة . فقد ورد في اللسان : « . . والنفيجة : القوس ، وهي شطيبة من نبع ؛ قال الجوهري : ولم يعرفه أبو سعيد بالحاء ؛ وقال مُلَيْحُ الهُذَلي :

أنَا خُوا مُعِيدَاتِ الوَجِيفِ كَأَنَّها　　نفائجُ نَبْعٍ ، لم تُرَيَّعْ ، ذَوَابِلُ[5]

2 ـ أنواع القسيّ وصناعتها :

اشتهرت أنواع من القسيّ ، منها :

أ ـ القسي الماسخية : يقول صاحب اللسان : « . . وماسخة :

---

(1) العمدة ـ ابن رشيق 2-296

(2) المفضليات ص ـ101

(3) المفضليات ص ـ308

(4) ديوان عنترة ص ـ52

(5) اللسان 2-382

رجل من الأزد ، والماسخية : القسي منسوبة إليه لأنه أول من عملها ، قال الشاعر :

كقوسِ الماسِخِيِّ أرَنَّ فيها من الشَّرْعِيِّ ، مَرْبوعٌ مَتِينُ

وقال أبو حنيفة : زعموا أن ماسخة رجل من أزد السراة كان قواساً ، قال ابن الكلبي : هو أول من عمل القسيّ من العرب . قال : والقواسون والنبّالون من أهل السراة كثير لكثرة الشجر بالسراة ، قالوا : فلما كثرت النسبة إليه وتقادم ذلك قيل لكل قوّاس ماسخي ، وفي تسمية كل قواس ماسخيّاً ، قال الشماخ في وصف ناقته :

عَنْسٌ مُذَكَّرَةٌ ، كأنَّ ضُلوعَها أطُرٌ حَنَاها الماسِخِيُّ بِيَثْرِبِ[1]

ويقول صاحب العمدة : « . . ويقال للقسي أيضاً : الماسخية ، منسوبة الى رجل من الأزد ، واسمه ماسخة هو أول من عملها »[2] .

وقيل : نبيشة بن الحارث ، ذكر أنه أول من عمل القسي[3] .

ومن قول الشماخ نستنتج أيضاً أن صناعة القسي كانت متوفرة بيثرب وأن الماسخي الذي هو القواس كان يحني الأطر حتى تصبح كالضلوع .

وقد ورد ذكر الماسخية في شعر الأعشى حيث يقول :

مَنَعَتْ قِيَاسُ الماسِخِيَّةِ رَأْسَهُ بِسِهَامِ يَثْرِبَ أوْ سِهَامِ بَلادِ[4]

ب ـ قسي زارة : وتنسب القسيّ أيضاً إلى (زارة) وهي امرأة

---

(1) لسان العرب3-55

(2) العمدة ـ ابن رشيق2-233

(3) المفصل . د . جواد علي5-427

(4) ديوان الأعشى ص ـ51

ماسخة[1] . ويقول صاحب اللسان : « . . (وزارة) : حيّ من أزد السراة . وزارة : موضع »[2] . وعليه يمكننا الربط بين ما قيل أن ماسخة رجل من أزد السراة ، ووزارة حيٌّ من أزد السراة . فأزد السراة اشتهرت بصناعة القسي ، وإنْ كانت هذه الشهرة تعود لأحد أبنائها أو أحد أحيائها .

ج ـ القسي الرضوية : قال عنترة :

بكُلِّ هَتُوفٍ عُجْسُها رَضْوِيَّة وَسَهْمٍ كَسَيْرِ الحِمْيَرِيِّ المؤلَّفِ[3]

وقد ورد في معجم البلدان : « . . وقال أبو زيد : وقرب (ينبع) جبل (رضوى) ، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية ، ورأيته من (ينبع) أخضر ، وأخبرني من طاف في شعابه أن به مياهاً كثيرة وأشجاراً ، وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفيّة به مقيم حيّ يرزق . ومن رضوى يقطع حجر المسَنّ ويحمل الى الدنيا كلّها »[4] .

وقيل : قوس رضويّة : نسبة الى رضوى ، وهي امرأة »[5] . وقيل رضوى : جبل بالمدينة ، والنسبة إليه رَضَوي ، قال ابن سيده : ورضوى اسم جبل بعينه ، وبه سميت المرأة »[6] .

وعليه فإنني أرى أن الأرجح في قول عنترة أنه يقصد أن (عُجْسُ)

---

(1) المفصل . د . جواد علي 5-427 . المرأة في التاريخ العربي قبل الاسلام . د . ليلى صباغ ص ـ 117

(2) اللسان 4-338

(3) ديوان عنترة ص ـ 52

(4) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي 3-51

(5) شعر الحرب في العصر الجاهلي . د . علي الجندي ص ـ 137 الطبعة الثالثة ـ عن عنترة ـ العقد الثمين قصيدة ـ 15

(6) لسان العرب 14-324

القوس وهو عجز القوس ومقبضها الذي يقبضها الرامي منه ، إنما هو من خشب شجر جبل رضوى .

د ـ **القسي العصفورية** : « القسيّ العصفورية منسوبة الى رجل يسمى عصفوراً ، حكاه الجاحظ وأنشد لابن بشير :

عطف السيات بواقع في بذلها ... تُعْزَى اذا نُسِبت الى عصفور»[1]

وقد عرفت خولان في اليمن بصناعة القسي والنبل المصنعة من شجر النبع الذي يعتبر من أجود النباتات المستخدمة في صناعة القسي والنبل[2] .

3 ـ أجزاء القوس :

تتكون القوس من خمسة أجزاء عدا الوتر ، وهي السِّيَتان ، والذراعان ، والمقبض . وللقوس نصفان : أعلى ، وهو ما يكون في جهة السماء عند الرمي ، وأسفل وهو الذي يتجه نحو الأرض . والأعلى عبارة عن الجزء الذي يبتدىء من نهاية السِّيَة العليا إلى مقدار عرض أصبع من المقبض ويتضمن الذراع الأعلى . وما بقي بعد المقبض فهو عبارة عن الجزء الأسفل . وعرض الأصبع من المقبض مما يلي الذراع العليا وهو وسط القوس يسمى كبد القوس وهو الموضع الذي يمر منه السهم عند الرمي . . أما الوتر فيصنع عادة من الجلد ، وأحسنها ما كان من جلد الإبل غير السمينة »[3] .

---

(1) العمدة ـ ابن رشيق 2-233

(2) أهل اليمن في صدر الاسلام . د . نزار عبد اللطيف الحديثي ص ـ49 عن الاكليل 1-325

(3) شعر الحرب في العصر الجاهلي . د . علي الجندي ـ ص ـ133 وما بعدها ـ الطبعة الثالثة ـ966 ـ دار مكتبة الجامعة العربية ـ بيروت

4 ـ خشب القوس :

ذكر الشعراء الجاهليون أن القسيّ كانت تصنع من أنواع مختلفة من خشب الأشجار منها :

النشم : قال امرؤ القيس :

عارِضٍ زَوْراءَ . من نَشَمٍ غَيْرِ باناتٍ على وَتَرِهْ

والنَّشَمْ : شجر جبلي تتخذ منه القسي »[1] . وكذلك شجر القان :

قال ساعدة بن جؤية :

يَأْوِي الى مُشْمَخِرّاتٍ مُصَعَّدَة شُمٌّ بِهِنَّ فُرُوعُ القَانِ والنَّشَمِ[2]

والسَّراء : قال زهير بن أبي سلمى :

ثلاثُ كأقواسِ السَّراءِ ومِسْحَلٌ قد اخضرَّ من لَسِّ الغَميرِ جَحافِلُهْ[3]

والتَّأْلَبُ : قال ساعدة بن جؤية :

فَأَزَالَ نَاصِحَهَا بِأَبْيَضَ مُفْرَط مِنْ ماءِ أَلْهَابٍ عليه التَّأْلَبُ[4]

والنبع : « وهو شجر ، زاد الأزهريّ : من أشجار الجبال تتخذ منه القسيّ . وقيل : النبع شجر أصفر العود رزينه ثقيله في اليد وإذا تقادم احْمَرَّ ، قال : وكل القسيّ إذا ضمّت الى قوس النبع كَرَمَتْها قوس النبع لأنها أجمع القسي للشدة واللين ، ومن أغصانه تتخذ السهام ، ، قال دريد بن الصمّة :

وَأَصْفَرَ من قِداحِ النَّبْعِ فَرْعٌ بِهِ عَلَمانِ من عَقَبٍ وضَرْسِ

---

(1) لسان العرب12 -576

(2) ديوان الهذليين1 -194

(3) ديوان زهير ص ـ46

(4) ديوان الهذليين1 -182

يقول إنه بُرِيَ من فرع الغصن ليس بِغِلْقٍ . المبرد : النّبع والشَّوْحط والشَّريان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماؤها لاختلاف منابتها وتكرم على ذلك ، فما كان منها في قُلَّة الجبل فهو النّبع ، وما كان في سفحه فهو الشريان ، وما كان في الحضيض فهو الشوحط . والنّبع لا نار فيه . قال الشاعر يفضل قوس النبع على قوس الشوحط والشريان :

وكيفَ تخافُ القومَ ،أمُّكَ هابِلٌ   وَعِنْدكَ قَوْسٌ فارِجٌ وجفِير
من النَّبْعِ لا شَرْيَانَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ   ولا شَوْحَطٌ عند اللِّقاءِ غَرُورُ[1]

وقال ثعلبة بن عمرو العبدي :

وَصَفْراءُ من نَبْعٍ سِلاحٌ أُعِدُّهَا   وأَبْيَضُ قَصَّالُ الضَّرِيبَةِ جائِفُ[2]

والجشىء : القضيب الخفيف من النبع تعمل منه القوس . قال أبو ذؤيب :

وَنَمِيمَةٍ مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ   في كَفِّه جَشْءٌ أَجَشُّ وَأَقْطُعُ[3]

والضَّالُ : وهو السِّدر البري . قال الشماخ بن ضرار :

تَخَيَّرهَا القَوَّاسُ من فَرْعِ ضَالة ،   لَهَا شَذَبُ مِنْ دُونِهَا ، وَحَزَائِزُ[4]

والشَّوحط : « وهو ضرب من النبع تتخذ منه القسيّ أو القياس وهي من شجر الجبال ، جبال السّراة » قال الأعشى :

وَجِياداً ، كأنها قُضُبُ الشَّوْ   حَطِ يَحْمِلْنَ شِكَّةَ الأَبْطَالِ

---

(1) اللسان 8 - 345
(2) المفضليات ص ـ 282
(3) المفضليات ص ـ 424
(4) جمهرة أشعار العرب ص ـ 297

قال أبو حنيفة ؛ أخبرني العالم بالشوحط أن نباته نبات الأرز ، قضبان تسمو كثيرة من أصل واحد ، قال : وورقه فيما ذكر رقاق طوال[1] . (وقد سبق ذكره مع النبع) . وقال تميم بن مقبل العامري :

وَعَاتِــقٍ شَوْحَــط صُمٌّ مَقَاطِعُها مكْسُـوَّةٌ منْ خِيارِ الوشْـي تَلْوينا[2]

والأشكل : السدر الجبلي . قال أبو حنيفة : أخبرني بعض العرب أن الأشكل شجر مثل شجر العناب في شوكه وعقف أغصانه . . وهـو صلـب جداً . . منابته شواهق الجبال تتخذ منه القسي »[3] .

والغرف : « أبو حنيفة : والغَرَف شجر تعمل منه القسي »[4]

صناعة السهام وتريبشها واسماؤها ونوعها :

السهم : واحد النبـل ، وهـو ما يُرْمـى في الهـدف ، أي هو قذيفـة القوس ، قبل أن يُريّش يسمى : القِدْح ، فاذا ما وضع عليه الريش سمي : المريَّش ، وإذا ما وضع فيه النصل فهو السهم . وهذه أجزاؤه : 1 ـ الفُوق أو الكَزّ ، 2 ـ **الشرّخان** ـ 3 ـ الأطرة، 4 ـ الحُفْو ، 5 ! المذبح أو الخصر ، 6 ـ الزافرة ، 7 ـ المتـن ، 8 ـ الرَّصْفَـة ، 9 ـ الرُّعـظ ، 10 ـ النصـل أو الحديد ، 11 ـ الظُّبه ، 12 ـ الغراران ، 13 ـ الكُلية ، 14 ـ السِّنخ[5] .

لقد صنع العرب النبل والسهام وأكثرها شهرة سهام بلام وسهام يثرب ،

---

(1) اللسان 7-328

(2) جمهرة أشعار العرب ص ـ308

(3) اللسان 11-360

(4) اللسان 9-266

(5) شعر الحرب في العصر الجاهلي ـ د . علي الجندي ـ ص 138 ـ الطبعة الثالثة ـ 1966 ـ دار مكتبة الجامعة العربية ـ بيروت

يقول صاحب العمدة : « أجود السهام التي صنعها العرب في الجاهلية سهام بلام ، وسهام يثرب ، وهما بلدان قريبان من حجر اليمامة ، وأنشد الأعشى : بسهام يثرب أم سهام بلام »[1] . وقد ورد ذكر السهام في الشعر العربي . قال الحطيئة :

فأمْهَلَهَا حتَّى تَرَوَّتْ عِطَاشُهَا فَأرْسَلَ فيها مِنْ كِنَانَتِه سَهْمَا[2]

وذكرها الشماخ حيث يقول :

هَتُوفٌ ،إذا ما خالطَ الظبيَ سَهْمُهَا وإنْ رِيعَ منها أسْلَمَتْهُ النَّوافِزُ[3]

وقال عبيد بن الأبرص :

تَحْتِي مُسَوَّمَةٌ جَرْدَاءُ عِجْلِزَةٌ كالسَّهْمِ أرْسَلَهُ مِنْ كَفِّهِ الغَالِي[4]

وقال عنترة :

إذا يَقَعُ السِّهَامُ بِجَانِبَيْهِ تَأخَّرَ قَابعاً ، فيهِ صُدُودُ[5]

وقال ساعدة بن جؤية :

فإن يك عَتَّابٌ أصابَ بسهمِهِ حَشاه فَعَنَّاه الجَوَى والمحَارِفُ[6]

هذا بعض ما ذكره الشعراء الجاهليون عن السهام ، ويبدو أنها كانت من الأسلحة المهمة في العصر الجاهلي ولها شأن كبير بدليل كثرة ورودها في الشعر ، وقد كانوا يضعون السهام في جعبة خاصة تسمى الكنانة كما ورد

---

(1) العمدة - ابن رشيق 2-232
(2) ديوان الحطيئة ص -272
(3) جمهرة أشعار العرب ص -299
(4) ديوان عبيد بن الأبرص ص -102
(5) ديوان عنترة ص -42
(6) ديوان الهذليين 1-226

في شعر الحطيئة الأنف الذكر . وذكر الكنانة أيضاً غير الحطيئة ومنهم ذو الأصبع العدواني حيث يقول :

السيفَ والرُمـحَ والكِنانَـةَ والـ ـنَّبْـلَ جياداً مَحْشُـورَةً صُنُعاً(1)

ومن أسماء الكنانة ـ الجفر ـ قال الشنفري الأزدي :

إذا فَزِعُـوا طارتْ بأبيضَ صارمٍ ورامَـتْ بمـا في جَفْرِهـا ثم سَلَّتِ(2)

« وأشهر الكنائن ، المعروفة بالكنائن (الزغرية) وهي منسوبة إلى (زغر) ، موضع بالشأم ، تعمل كنائن حمر مذهبة . وقد ذكرها أبو دؤاد الإيادي في شعره :

ككنانـة الزُغـري زينها من الذهـب الدلامص »(3)

وقد كانوا يصنعون السهام من أنواع معينة من الخشب يختارون أصلبها ومن تلك الأشجار التي استعملوا أخشابها في صناعة السهام ، أشجار الشوحط قال عبيد بن الأبرص :

والعَنَـاجِيج كالقِـداحِ من الشَوْ حَطِ يَحْمِلْنَ شِكَّةَ الأبْطَال(4)

ومن خشب الضال ، قال ساعدة بن جؤية :

أجَـزْتَ بِمَخْشُـوبٍ صَقِيلٍ وَضَالة مَبَاعِـجَ ثُجْـرٍ كلُّهـا أنـتَ شائِفُ(5)

وكانوا يُصنّعون تلك الأخشاب ويبرونها ، فقد ذكر أن سعد بن أبي وقاص كان يبري النبل »(6) .

---

(1) المفضليات ص ـ154

(2) المفضليات ص ـ111

(3) المفصل . د . جواد علي5 -428 عن بلوغ الأرب2 -65 ـ العمدة ـ ابن رشيق2 -331

(4) ديوان عبيد بن الأبرص ـ ص ـ109

(5) ديوان الهذليين1 -225

(6) المعارف ابن قتيبة ص ـ575

وكانوا يريشون النبل والسهام ويختارون لذلك أنواعاً معينة من الريش قال المثقب العبدي :

بِتَلْهِيَة أَرِيشُ بهـا سِهامِي تَبذُّ المرشقات من القطين[1]

وقال ذو الإصبع العدواني :

قَوَّمَ أَفْوَاقَهَـا وَتَرَّصَهَا أَنْبَـلُ عَدْوَانَ كُلِّهـا صَنَعَا

ثم كَسَاهَـا أحَـمَّ أسْـوَدَ فَيْـنَانـاً وكانَ الثـلاثَ والتُّبَعَا[2]

يقول ذو الاصبع أن الذي قوّم النبل وأحكم صنع الأفواق ، (الواحد فُوق) وهو موضع الوتر من السهم ، أحذق شخص في قبيلة عدوان ، وهذا دليل على أن تلك القبيلة كانت مشهورة بصناعة السهام . ويتابع ذو الأصبع فيخبرنا أن ذاك الصانع الحاذق كسا النبل بالريش الأحم الأسود الفينان أي ما كثر لباس قصبه ، وعني به ريش الفرخ لأنه ألين مسّاً وأكثر لباساً . ويقول المزرّد :

لنَعْـتُ صُبَاحِـيٍّ طَويلٍ شَقَاؤُهُ لهُ رَقَمِيَّاتٌ وَصَفْـراءُ ذَابِلُ[3]

وقد ورد شرح الرقميات في المفضليات أنها سهام منسوبة الى صانع أو بلد ، ويقول صاحب معجم البلدان : « رَقَم : : بفتح أوله وثانيه : موضع بالمدينة تنسب اليه الرقميات ، وفي كتاب نصر : الرقم جبال دون مكة بديار غطفان وماء عندها أيضاً ، والسهام الرقميات منسوبة الى هذا الموضع صنعت ثمّة »[4] .

---

(1) المفضليات ص ـ289

(2) المفضليات ص ـ154

(3) المفضليات ص ـ101

(4) معجم البلدان ـ ياقوت الحموي3-58

قال أوس بن حجر :

وَحَشْــوَ جَفِيرٍ من فروعٍ غرائبٍ   تنطَّــعَ فيهــا صانــعٌ وَتَنَبَّلا
تُخَيِّرْنَ أَنْضَــاءً وَرُكِّبْــنَ أَنْصُلا   كجَمْــرِ الغَضَــا في يومِ ريحٍ تَزَيَّلا
فلمّا قضَى في الصنعِ منهــن فهْمَهُ   فلــم يبــق إلاّ أن تُسَــنَّ وتُصْقَلا
كساهــنَّ من ريش يمــانٍ ظواهراً   سِخامــا لُؤَامــا ليِّنَ المسِّ أطْحَلا(1)

وهنا يبيّن لنا أوس بن حجر طريقة صناعة السهام باختيار أطراف القضبان لصناعة السهام وحشوها في الجفير وهي الكنانة أي جعبة السهام ، وعملية اختيار الانضاء وهي السهام بلا ريش ولا نصل ، ثم تركيب الأنصل ، وقبل أن تصقل تريّش بالريش الليّن السخام أي الموجود تحت ريش الطير بطريقة ملائمة أي بأن تكون بطن كل ريشة إلى ظهر الأخرى . وهذه كما يبدو صورة مفصلة عن عملية صناعة السهام .

وقبل أن يريّش السهم يسمى : القِدْح . وقد ورد في اللسان : بالكسر : السهم قبل أن ينصَّل ويُراش ؛ وقال أبو حنيفة : القدح العود إذا بلغ فشُذِّب عنه الغصن وقُطع على مقدار النبل الذى يراد من الطول والقصر . . قال : وأوّل ما يقطع ويقضب يسمى ، قطعاً والجمع القطوع ، ثم يُبرى فيسمّى بريًّا وذلك قبل أن يُقوّم ، فاذا قُوّم وأنَى له أن يُراش ويُنصل ، فهو القدح ، فاذا رِيشَ وركّب نصله فيه صار نصلاً »(2) .

قال المزرد :

لَهُ طُحَــرٌ عُوجٌ كَأَنَّ مَضِيغَها   قِدَاحٌ بَرَاهــا صانِــعُ الْــكَفِّ نابِلُ(3)

---

(1) شعر الحرب في العصر الجاهلي . د . علي الجندي ـ دار مكتبة الجامعة العربية ـ بيروت ص ـ163 عن شعراء النصرانية ص ـ494

(2) لسان العرب2-556

(3) المفضليات ص ـ96

وقال ساعدة بن جؤية :

كَساها رَطيبُ الرِّيشِ فاعتدلتْ لها قِدَاحٌ كأعناقِ الظِّباء زَفازِفُ[1]

والسهام التي لا نصال لها ، يُرمى بها لتبلغ الغاية ، وقد تكون لاستعمال الصبية يتدربون بواسطتها على الرمي وإصابة الهدف ، تسمّى المغالي . قال المزرد :

إلى صِبْيَةٍ مثلِ المغَالِي وخِرْمِلٍ رَواه ، ومن شرِّ النِّساءِ الخَرَامِلُ[2]

وهناك نوع من السهام الصغيرة يرمي بها الصبيان يجعل على رأسها طينة يقال لها : الجامح . قال الحطيئة :

أخو المَرْءِ دُونَهُ ثمَّ يُتَّقى بِزُبِّ اللّحى جُرْدِ الخُصَى كالجمامحِ[3]

وهناك الحظاء ، وهي السهام الصغار لا نصال لها . قال المزد :

دِلاصٌ كَظَهْرِ النُّونِ لا يَسْتَطِيعُها سِنَانٌ ولا تلكَ الحِظَاءُ الدَّوَاخِلُ[4]

وهناك أيضاً السهم : الحشر الأعجف ، وهو الرقيق الدقيق . قال ربيعة بن مقروم :

وأعْجَفُ حَشْرٌ تَرَى بالرِّضا فِ ممَّا يُخَالِطُ منها عَصِيمَا[5]

وقد تستعمل السهام المسمومة وبذلك يتضاعف خطرها ، وربما استعملت لإشعال الحرائق عند العدو وذلك بالصاق مواد محرقة على نصل السهم قبل انطلاقه .

---

(1) ديوان الهذليين 1 -225

(2) المفضليات ص ـ101

(3) ديوان الحطيئة ص ـ130

(4) المفضليات ص ـ98

(5) المفضليات ص ـ182

ومن مشاهير الرماة عمرو بن عبد المسيح الطائي ، وكان أرمى العرب ، وفد إلى النبي ، وفيه يقول امرؤ القيس :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنـي ثُعَلٍ مخـرجٍ كفيه من ستره »(1)

وقد ورد الشطر الثاني في ديوان امرىء القيس على الشكل التالي : مُتْلِجٍ كَفَّيْهِ في قُتَرِهْ »(2) . واشتهر (القارة) بالرمي ، فقيل : إنهم أرمى حي في العرب ، ولهم يقال : « قد أنصف القارة من راماها »(3) .

هـ ـ صناعة الترس والبيضة :

الترس من السلاح : المتوقّى بها ، وجمعه أَتْراس وتِراس وتِرَسَه وتُرُوس ، قال :

كأنَّ شَمْسـا نازَعَـتْ شُموسا دُروعَنـا ، والبَيْضَ والتروسا(4)

وقيل : الترس أو المجن ، والترس هو الصغير والمجن هو الترس الكبير (5) . وقد ورد في اللسان : « والمِجَنُّ : التُّرس منه ، على ما ذهب اليه سيبويه من أن وزنه فِعَلّ (6) . فهو لم يبيّن الصّغر والكبر . وهناك الدَرَقَة وهي ترس من الجلود (7) .

---

(1) المفصل . د . جواد علي 5 -428

(2) ديوان امرؤ القيس ـ ص ـ102 دار صعب ـ بيروت

(3) المفصل . د . جواد علي 5 -428 عن العقد الفريد 3 -341

(4) اللسان 6 -32

(5) قاموس الكتاب المقدس ص ـ477

(6) اللسان 13 -400

(7) اللسان 10 -95

ويقال للترس : الجَوْبُ . والجمع أجواب ، وهو المِجْوَبُ . قال لبيد :

فأجازَني منه بِطِرْسٍ ناطق ، وبكلّ أطْلَسَ ،جَوْبُهُ في المَنْكِبِ

يعني بكل حبشيٍّ جوْبهُ في منكبيه . وفي حديث غزوة أُحُد : وأبو طلحة مُجَوِّبٌ على النبي (ص) بحجفة أي مُتَرِّسٌ عليه يقيه بها . ويقال للتُّرس أيضاً : جوبة »[1] .

فالترس هو من أدوات الحرب التي تتخذ للوقاية ، وقد ذكره نابغة بني جعدة حيث يقول :

وَبَطْنٌ كَظَهْرِ الترسِ لو شُلَّ أرْبعاً لأصْبَحَ صِفْراً بَطْنُهُ ما تَجَرْجَرَا[2]

ويبدو أنه يشبه البطن المنتفخ ، المملوء بالطعام ، كظهر الترس فهو يبيّن لنا شكل الترس . وورد ال مجْنًُّ أيضاً في شعر أبو قيس بن الأسلت السُّلمي ، وهو الترس وذلك لإحديدا به حيث يقول :

صَدْقٍ ، حُسامٍ ، وادقٍ حَدُّهُ ، ومُجْنَأ ، أسْمَرَ ، قَرَّاعِ[3]

وورد ذكر الجَوْب في شعر المزرد حيث يقول :

وَجَوبٌ يَرَى كالشمسِ في طَخْيَةِ الدُّجَى
وأبْيَضُ ماض في الضَّرِيبَةِ قاصِلُ[4]

وهذا الترس الذي يُرى كالشمس رغم ظلمة الغيم الذي يحول دون

---

(1) اللسان1 -287
(2) جمهرة أشعار العرب ص -279
(3) اللسان1 - 51
(4) المفضليات ص -99

السماء ودون الشمس ربّما سببه التلوين أو الزيت ، لأنهم كانوا يصنعون الترس من الخشب ، وكان يلوّن أحياناً بألوان مختلفة على هيئة دوائر في النصف ، وكثيراً ما كانوا يغطونه بالجلد ، ويغمسون الجلد في الزيت حتى لا يتشقق[1] .

وورد المِجَنّ في شعر عنترة حيث يقول :

فَرَأَيْتُنَا ما بَيْنَنَا مِنْ حاجزٍ   إلاّ المِجَنَّ وَنَصْلُ أَبْيَضَ مِفْصَلِ[2]

والحجف : « ضرب من التِّرسة ، واحدتها حجفة ، وقيل هي من الجلود خاصة ، وقيل هي من جلود الإبل مُقَوَّرَةً . . قال الأعشى :

لَسْنَا بِعِيرٍ ، وَبَيْتِ اللهِ ، مائرة   لكن عَلَيْنَا دروعُ القومِ والحَجَفُ .

ويقال للترس إذا كان من جلود ، ليس فيه خشب ولا عقب : حجفة ودرقة »[3] .

ووردت الحجف في شعر عنترة أيضاً حيث يقول :

فَدونَ بَيْتِكِ أُسْدٌ في أَنَامِلِها   بِيضٌ تَقُدُّ أعَالي البَيْضِ والحَجَفِ[4]

فالترس من الأسلحة الواقية ، « كان يصنع من الخشب ، وكثيراً ما كانوا يغطونه بالجلد ، أو يصنعونه كله من الجلد ، الجلود الثخينة ، مثل جلود الجمال والبقر وبعض انواع الأسماك والحيوانات الوحشيّة ذوات الجلود الغليظة . وكان المحارب يحمل الترس بحزام جلدي على ظهره ،

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص ـ477

(2) ديوان عنترة ص ـ60

(3) اللسان 9-39

(4) ديوان عنترة ص ـ172

فاذا جاءت المعركة نزعه ليستعمله بيده اليسرى ، بادخال اليد تحت سيرين من الجلد على مؤخر الترس وقبض الأصابع على سير صغير عند حافته .

وكان الترس يستعمل لحماية المحارب من السهام والرماح والسيوف والحجارة فيتقي به ضربات خصمه . وأخذوا يصنعون الترس من الحديد . وبعض الأتراس دائرية على هيئة قرص ، ومعظم أنواع الأتراس عند الجاهليين وعند العرب الاسلاميين هي من هذا النوع »[1] .

البيضة هي غطاء الرأس ، استخدمها المحاربون لحماية الرأس من ضربات السيوف والحجارة والعصي وما شابه . ويبدو أن صناعتها قديمة إذ ورد ذكرها في الكتاب المقدس كما أشار إلى ذلك قاموسه ، إنما استعمل تسمية الخوذة ولم يستعمل البيضة ، ربما كانت كلمة الخوذة غير عربية إذ لم ترد في لسان العرب . ويبدو أن الخوذ كانت لباس رأس الملوك والقواد والمحاربين . وكانت من جلد أو نحاس تتزين قمتّها بريش أو بعرف »[2] . وبما أن البيضة أو الخوذة لحماية الرأس فلا بدّ أن تصنع من مواد واقية تحفظ الرأس من الأخطار ، كأن تكون مصنوعة من الحديد أو المواد المعدنية الأخرى أو من الجلود الثخينة .

تحدث الشعراء الجاهليون عن البيضة في مجال حديثهم عن أدوات الحرب ، ومن أحاديثهم في هذا الصدد ، حديث يدور حول المادة التي صنعت منها ، وعن جودتها ومنظرها . فخيرها ما كان من أجود الحديد ،

---

(1) عن قاموس الكتاب المقدس ص ـ477 . والمفصل . د . جواد علي5 -430

(2) قاموس الكتاب المقدس ص ـ477

دلامصة أي سهلة لينة ، قوية صلبة ، بحيث تتكسر عنها الحجارة وتتفتت لو ضربت بها وهذا ما ذكره المزرد حيث يقول :

وَتَسْبِغَـــةُ في تَرْكَة حِمْيَرِيَّة دُلامِصَـة تَرْفضُ عنهـــا الجنادِلُ(1)

والتسبغة هي نسيج من حلق من الحديد يلبس تحت البيضة المستديرة ، « والتريكة والتركة هي بيضة الحديد للرأس . قال ابن سيدة : وأراها على التشبيه بالتريكة التي هي البيضة »(2) . وإن ما يلفت الانتباه زيادة هو كلمة (حِمْيرية) وكأني بالمزرد يشير الى مصدرها الصناعي المشهور « حِمْيَر » .

وقد ورد ذكر البيضة أيضاً في شعر أبي القيس بن الأسلت الأنصاري حيث يقول :

قد حَصَّـــتِ البيضـــةُ رأسِـــي فما أَطْعَـــمُ غُمْضـــاً غَيْرَ تَهْجَاعِ(3)

ويوحي الينا قيس بن الخطيم أنهم كانوا يتفننون في صناعة البيض ويزخرفونها وربما حلّوْها بالذهب أو غيره وذلك في قصيدته التي يمدح فيها خداش بن زهير حيث يقول :

الضَّـــارِبُ البَيْضَ المُتَقَّـــنَ صُنْعُهُ يَوْمَ الهياجِ بكُلِّ أبيضَ صافي(4)

« ويقال لمقدم البيضة « القونس » وقيل أعلاها . قال حُسَيل بن سُحَيح الضَّبي :

بِمُطَّـــرِدٍ لَدْنٍ صِحَـــاحٍ كُعوبُه، وذي رَوْنَـقٍ عَضْـــبٍ يَقُـدُّ القوانسا

---

(1) المفضليات ص ـ98

(2) اللسان10 -406

(3) المفضليات ص ـ284

(4) ديوان قيس بن الخطيم صـ192

الأصمعي : القونس مقدم البيضة . . النضر : القونس في البيضة سنبكها الذي فوق جمجمتها ، وهي الحديد الطويلة في أعلاها ، والجمجمة ظهر البيضة ، والبيضة التي لا جمجمة لها يقال لها المُؤَأَّمَةُ »[1] .

وقد ورد ذكر القونس في شعر عبيد بن الأبرص حيث يقول :

يَسْبِقُ الأَلْفَ بالمُدَجَّجِ ذي القَوْ ... نسِ حتى يَؤُوبَ كالتِّمْثالِ[2]

والعمائم خوذ المحاربين عند الجاهليين ، فاذا خاض المحارب معركة ما اعتم بعمامة ، وقد يضع عليها ريشة . . ولكن هذا لا يعني أن الجاهليين كانوا لا يستعملون الخوذ في حروبهم . لقد كان عرب العراق وعرب بلاد الشأم واليمن يستعملونها أيضاً ، وإذا كانت الخوذ قليلة الاستعمال في معظم أنحاء الجزيرة العرب ، فانما يعود سبب ذلك الى غلاء ثمنها ، لأنها من المعدن في الغالب »[3] .

قد تكون هذه المعلومات التي أوردناه وهي كما أشرنا للدكتور جواد علي ، قد تكون صحيحة إلى حدٍّ ما ، اللهم إلاّ إذا كان يميز بين الخوذ والبيض ، فان يكن المقصود البيض فانني أرى أن ذلك لا ينطبق تماماً مع الواقع استناداً الى ما أوردناه من شواهد شعرية تدل على معرفتهم بأنواع البيض المختلفة واستعمالهم لتلك الأنواع وربما يكون جلّهم ليسوا من عرب العراق وبلاد الشام واليمن ، ومعنى ذلك أن البيض كان كثير الاستعمال ومعروفاً في معظم أنحاء جزيرة العرب ، كما إن صناعة

---

(1) اللسان 6-184

(2) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ109

(3) المفصل د . جواد علي 5-433

المعادن كانت متوفرة عند الجاهليين وخاصة الحديد كما بيّنا ذلك في حينه .

وبالنسبة الى غلاء الثمن وهو التبرير الذي ذكره الدكتور جواد علي ، فأعتقد أن ثمنها لم يكن أغلى من روح العربي الجاهلي إذ كانت حياته وحياة عياله وقفاً على مقدار قوته وعلى ما يتوفر لديه من سلاح يستطيع بواسطته أن يذود عن نفسه وعائلته وقبيلته أو أن يجني الأرباح والثروة بالغزو والسطو على غيره .

2 ـ صناعات معدنية متفرقة :

1 ـ صناعة النحاس :

النِّحاس ؛ ضرب من الصُّفر والآنية شديد الحمرة ، والنُّحاس : الدخان الذي لا لهب فيه . وفي التنزيل : يُرسل عليكما شُواظٌ من نارٍ ونُحاسٌ »(1) .

النحاس : معدن أحمر اللون صالح للاستعمال في أمور كثيرة بعد طرقه صفائح أو جذبه أسلاكاً وقد عرف منذ العهود القديمة . ويقال أنه أول ما عرف في شبه جزيرة سيناء ، بين مصر وفلسطين ، حوالي سنة خمسة آلاف قبل الميلاد . ومع أنه نادر الوجود في فلسطين والشام ولبنان ، حالياً ، فقد كان في هذه المناطق مناجم غنية به في الأزمنة القديمة . وقد ورد ذكره في رسائل تل العمارنة كأحد المواد الرئيسية في دفع جزية ملوك سورية لمصر . وفي أيام سليمان عثر على النحاس في وادي العربة ، وقد استعمله

---

(1) اللسان 6-227

اليهود في بناء خيمة الاجتماع والهيكل والمذابح ، ومع أنه كان يوجد بوفرة (حتى وصفت فلسطين بأنها أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاساً) فقد كان غالي الثمن[1] .

وقيل أن أول صناعة ذكرها الكتاب المقدس عند بني آدم هي صناعة توبال قايين الذي كان ضارب كل آلة من نحاس وحديد »[2] .

وكثيراً ما برع العبرانيون في شغل النحاس . وكان لا بدّ لكل يهودي بعد السبي أن يتعلم صنعة ولم يكونوا يعتبرون العمل اليدوي عاراً . قال أحد الربانيّين : « إن الذي لا يعلّم ابنه صناعة يجعله قاطع طريق »[3] .

ويقول صاحب تاريخ العرب : « لقد كان مبعث اهتمام المصريين في شبه جزيرة سيناء ، ما فيها من مناجم النحاس والفيروز المتوافرة في وادي مغارة بجنوب سيناء قريباً من البلدة المعروفة اليوم بالطور . وفي العهد السابق لفجر التاريخ المصري كان بدو سيناء يبيعون هذه المنتوجات الثمينة في أسواق وادي النيل[4] .

والمعروف أنه كان هناك اتصالات بين العرب والعبرانيين ، اذ كان اليهود من الناحية الجغرافية جيران العرب الأقربين ، وكانوا من الناحية الجنسية أقرب الشعوب نسباً اليهم . ولقد توافرت في التوراة الإشارات التي تشعر بأن أصل العبرانيين كان من الصحراء . . وقد انتشرت اليهودية أيضاً

---

(1) قاموس الكتاب المقدس صفـ960

(2) الكتاب المقدس تكوين ـ4-22

(3) قاموس الكتاب المقدس ص ـ558

(4) تاريخ العرب . د . فيليب حتي ورفاقه ص ـ62 ـ دار غندور ـ الطبعة الخامسة .

في اليمن في عهد الدولة الحميرية الثانية . ولا بدّ أن تكون قد دخلت شمال الجزيرة قبل ذلك الزمن[1] .

وعملية اتصال الشعوب بعضها ببعض لا بدّ وأن ينتج عنها عملية تأثر وتأثير وعليه يمكننا القول أن العرب في العصر الجاهلي لا بدّ أن يكونوا قد تعلّموا من اليهود وغيرهم عملية استخراج النحاس وتصنيعه .

ويقول صاحب تاريخ العرب : « ولقد تاخمت بلاد العرب الشرقية أرض الرافدين ، وكان سكان العراق القدماء السومريون والأكديون ، قد اتصلوا بمن جاورهم من أهل البلاد الغربية (الأمورو) وذلك قبل الألف الرابع السابق للميلاد فنشأت بين الطرفين علاقات عن طريقي البر والبحر . والراجح أن السومريين استحضروا النحاس (وهو أول المعادن التي اكتشفها الانسان واستعملها) من مناجمه في عُمان »[2] .

وفي وصف قصر غمدان يقول الهمداني :

يسمو إلى كبدِ السماءِ مصعداً عشرين سقفاً سمكها لا يقصرُ
ومن السحابِ معصَّبُ بعمامة ومن الرخامِ مُنَطَّقُ ومُؤَزَّرُ
وبكلِّ رُكْنٍ رأسُ نسرٍ طائرٍ أو رأسُ ليثٍ من نحاسٍ يزأرُ

وإذا عرفنا أن (إلشرحا) وهو (ليشرح بن يحصب) قد تولى الحكم في القرن الأول الميلادي ، أنه هو الذي بنى قصر غمدان في صنعاء[3] ؛ وفيه رؤوس الأسود من النحاس والتي ذكرها الهمداني في شعره ، إذا عرفنا

---

(1) تاريخ العرب . د . فيليب حتي ورفاقه ص ـ70 و ـ97 دار غندور ـ الطبعة الخامسة .
(2) نفس المصدر ص ـ64 .
(3) تاريخ العرب . د . فيليب حتي ورفاقه ص ـ91

ذلك أدركنا مدى تقدم الحميريين بصناعة النحاس والمستوى الفني الذي بلغوه في تلك الصناعة ، فكانت إذا هبت الريح تدخل أجواف تلك الأسود النحاسية فتزأر عند ذلك .

وفي الحقبة الأولى من تاريخ حِمْيَر ضرب الملك نقوداً من الذهب والفضة والنحاس تحمل رسمه على أحد وجهيها ، وصورة بومة على الوجه الآخر (البومة شعار لمدينة أثنية اليونانية . ومعنى هذا أن أهل الجنوب إنما توخوا في سك النقود قواعد أثينية[1] . ويقال للنحاس الصِّيدان وقد ذكره أبو ذؤيب في شعره حيث يقول :

وسُودٌ من الصِّيدانِ فيها مذَانِبٌ نُضَارٌ إذا لم نَسْتَفِدْها نُعارُها[2]

يريد أن لهم قدوراً من نحاس ، وهذا دليل على وجود تلك الصناعة من النحاس في العصر الجاهلي .

والصُّفْرُ : النحاس الجيد ، وقيل : الصفر ضرب من النحاس ، وقيل هو ما صفر منه . الجوهري : والصفر ، بالضم ، الذي تعمل منه الأواني ، والصَّفَّار : صانع الصفر »[3] والعبلاء : معدن الصُّفر في بلاد قيس »[4] .

ويقول صاحب اللسان أيضاً : « والقِطْرُ ، بالكسر : النحاس الذائب ، قيل ضرب منه »[5] وقد ورد ذكر القطر في القرآن الكريم في قوله

---

(1) نفس المصدر ص ـ92

(2) ديوان الهذليين ص ـ27

(3) اللسان 4-461

(4) اللسان 11 -422

(5) اللسان 5-105

تعالى : « قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قِطْرا »(1) .

والشَّبَهُ : النحاس يُصبغ فيصفر . التهذيب : ضرب من النحاس يُلقى عليه دواء فيصفر . قال المرّار :

تَدِينُ لِمِزْرُورٍ إلى جَنْبِ حَلْقَة من الشِّبهِ ،سوّاها بِرِفْقٍ طَبِيبُها(2)

2 ـ صناعة البرونز :

« إذا جمع النحاس مع القصدير نتج معدن آخر هو البرونز . وهو معدن صلب ، وقد توصل القدماء الى صنعه وكانوا يصنعون منه السلاسل والأسلحة وآلات الضرب وآلات الحفر والصناعة . ووجدت آثار البرونز بكثرة في مخلفات القدماء »(3) .

وجاء في قصة الحضارة : « وقد أنشأ سكان جنوبي أسبانيا الشرقي ـ في ترتِسوس وهي ترشيش الفينيقية ـ حوالى عام ـ 2000 ـ ق . م . صناعة البرنز ، وكانوا يبيعون منتجاتها في جميع بلاد البحر الأبيض المتوسط . . والراجح أن صيدا قد كشفت طريقة صنع الزجاج بالنفخ ، وأنها تخصصت وقتئذ في صناعة الزجاج والبرنز »(4) .

وجاء في تاريخ العرب : « وفضلاً عن النقود فقد عثر المنقبون في اليمن على أشكال وتماثيل صغيرة من البرونز من صنع الهلينيين والساسانيين » . وأقدم ما عثر عليه من الرُّقُم يرجع عهده الى القرن السادس

---

(1) سورة الكهف الآية ـ96

(2) اللسان 13 -505

(3) قاموس الكتاب المقدس ص ـ960

(4) قصة الحضارة ـ ول ديورانت ـ ترجمة محمد بدران 11 -40 و122

أو السابع قبل الميلاد . . والرقم النذرية وهي محفورة على ألواح برونزية أقيمت في الهياكل وقدمت للآلهة »[1] .

أما الدكتور جواد علي فيقول : وفي جملة الأشياء الثمينة التي عثر عليها في (تمنع) القتبانية تمثالا أسدين صنعا من البرنز ، أثرت فيهما طبيعة الأرض فحولّت لونهما الى لون أخضر داكن ، وقد ركب أحدهما راكب يظهر وكأنه طفل سمين على هيئة (كيوبيد) ابن (فينوس) اله الحب - في الأساطير اليونانية الرومانية - يحمل بإحدى يديه سهماً وباليد الأخرى سلسلة قد انفصمت ، تنتهي بطوق يطوّق عنق الأسد . . وقد استدل (ألبرايت) من طريقة صنع التمثالين ومن طرازهما أنهما تقليد ومحاكاة لتماثيل (هلينية) ، ولا يمكن لذلك أن يرتقي تأريخ صنعهما الى أكثر من -150 - سنة قبل الميلاد[2] .

ويقول أيضاً في موضع آخر : « وكتب التوفيق لسائح أوروبي آخر ، هو الضابط الأنكليزي Coghlan فحصل سنة -1860 - على عشرين لوحاً برنزياً سليماً ، عثر عليها في أنقاض مدينة (عمران) . وقد أرشدت هذه الألواح المعدنية المستشرقين الى ناحية مهمة من نواحي الفن العربي القديم »[3] .

نستنتج مما تقدم أن صناعة البرونز هي من الصناعات القديمة ، ويبدو أنها انتقلت الى العرب من مصادر مختلفة ، وقد قلّد العرب ، الهيليين

---

(1) تاريخ العرب - د . فيليب حتي ورفاقه ص -92 و-83

(2) المفصل . د . جواد علي2-227

(3) المفصل . د . جواد علي1-126

وغيرهم في صناعة البرونز الفنية ، ويبدو أن تلك الصناعة كانت معروفة في شبه جزيرة العرب وخاصة في الجنوب منذ فترة بعيدة قبل الاسلام .

3 ـ صناعة الرصاص :

« الرَّصاص معدن ثقيل كان معروفاً منذ عهد بعيد ، وُجد في مصر وكان يصدر من ترشيش ، وكان يستعمل في الأوزان وكألواح للكتابة عليها »[1] .

ويقول صاحب اللسان : والرِّصاص والرَّصاص : معروف من المعدنيات مشتق من ذلك لتداخل أجزائه ، والرَّصاص أكثر من الرِّصاص وشاهد الرَّصاص بالفتح قول الراجز :

أنا ابنُ عمروٍ ذي السَّنا الربّاصِ وابنُ ابيه مُسْعِطُ الرَّصاصِ

وأول من أسعط بالرصاص من ملوك العرب ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الأزد . وشيء مرصص مطليّ به[2] .

والآنُك : الأُسْرُبُّ وهو الرصاص القلعي ، وقال كراع : هو القزدير . . وفي الحديث من استمع الى قينة صب الله الآنُك في أذنيه يوم القيامة . . وقيل : هو الرصاص الأبيض ، وقيل الأسود ، وقيل : هو الخالص منه[3] .

وقد عرف العرب الجاهليون الرصاص وخاصة أهل اليمن الذين

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص ـ405

(2) لسان العرب7 -41

(3) نفس المصدر10 -394

استخدمـوه في كثير من الأعمـال ، منهـا صبـه في أسس الأعمـدة ، وبين مواضع إتصال الحجارة ، وذلك بعد إذابته ، لترتبط بعضها ببعض ، وقد عثر المنقبون على بقايا منه في مواضع متعددة من الأماكن الأثرية في اليمن(1) .

والرصاص ضربان : أسود وأبيض ، ويقال للأبيض : القلعي ، وقد عرف بالآنك ، والصرفـان : الرصـاص القلعـي(2) . والأسـرف : الآنـك فارسية معربة(3) . والأُسْرُبُ والأسربٌ : الرّصـاص ، أعجمـي وهـو في الأصل سُرْب ، والأُسرب : دخان الفضة(4) .

وقد كانوا يطلون الأواني ويشربون بها . ويقال أن الرصاص القلعي ، هو رصاص استخرج من القلعة موضع باليمن ، بوادي (ظهر) به معـدن حديد ، وإليه نسبت السيوف القلعية(5) .

واستعملت لفظـة (هـاع) بمعنـى سال وذاب ، وخص بعضهـم به ذوبان الرصاص ، والرصاص يهيع في المَذوب(6) .

وقد ورد ذكر الرصاص في شعر عبيد بن الأبرص حيث يقول :

لِزَادِ المَـــرْءِ آبَصَ مِنْ عُقابٍ وَعِنْـدَ البـابِ أَثْقَـلَ مِنْ رَصَاصِ(7)

وعليه يبدو أن العرب الجاهليين كانوا يدركون أن الرصاص من أثقل

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-516

(2) اللسان 9-193

(3) اللسان 9-150

(4) اللسان 1-466

(5) المفصل . د . جواد علي 7-516

(6) اللسان 8-379

(7) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ78

المعادن لذلك شبّه به عبيد طول وقوف البخيل على الباب . هذا بالاضافة الى معرفتهم . تصنيعه باذابته واستعماله في تركيز أسس الأعمدة وبين الحجارة الكبيرة التي يبنون بها الجدران كما سبق وبيّنا ذلك في حينه كما استعملوا الرصاص لطلاء أواني الشرب وخلافه ولأشياء أخرى .

4 ـ صناعة الكبريت :

الكِبْريت : من الحجارة المُوقَدِ بها ؛ قال ابن دريد : لا أحسبه عربياً صحيحاً . الليث : الكبريت عين تجري ، فاذا جمدماؤها صاركبريتاً أبيض وأصفر وأكدر . قال أبو منصور : يقال كبّرت فلان بعيره إذا طلاه بالكبريت مخلوطاً بالدَّسم[1] .

والكبريت من المعادن الموجودة في اليمن . وذمار هي مركزه ومنها يجلب إلى سائر أعمال اليمن . وذكر أنهم كانوا يكبرتون أباعرهم ، يطلونها بالكبريت مخلوطاً بالدسم والخضخاض ، وهو ضرب من النفط أسود رقيق لا خثورة فيه ، وليس بالقطران ، لأنه عصارة شجر أسود خاثر . وكانوا يستحمون في العيون التي يجري منها الماء مشوباً به ، ولها رائحة الكبريت[2] .

وقد استغلّ الجاهليون بعض الحرار لاستخراج الكبريت منها ؛ وذكر (نيبور) أن أهل اليمن كانوا يستخرجون الكبريت من جبل يقع في شرقي ذمار ، ويظهر أن هذا الجبل بركان قديم »[3]

---

(1) اللسان 2-76

(2) المفصل . د . جواد علي 7-517

(3) المصدر السابق 1-190

5 ـ صناعة الملح :

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن الملح كثير الوجود في الأرض المقدسة فان جبل اصدم مؤلف من الملح الصخري وطوله 7 أميال وعرضه ثلاثة أميال ونصف . وبقرب دمشق وحلب وتدمر وغيرها من المدن سبخات وهي مواضع يجتمع اليها ماء المطر في الشتاء حاملاً كمية كبيرة من الملح فاذا تبخر الماء في الصيف بقي الملح على هيئة صفائح وقشور وعلى هذا المبدأ يتبلور الملح على شواطىء بحر لوط ويستحضره الأهلون من مياه البحر بالتبخر إما على النار أو بتركه لحرارة الشمس على صفحات الصخور . وكانت القرابين تملح ، وكانو يملحون الطفل يوم ولادته كما هي العادة في بعض الأماكن الآن[1] .

وعليه يبدو أن الملح كان معروفاً منذ الزمن القديم وبنوعيه الصخري والبحري وكان يستعمل في مجالات مختلفة .

ويقول صاحب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : « والملح من المواد التي تاجر بها الجاهليون وتوجد معادنه في مواضع متعددة من جزيرة العرب . وكان بعضهم يستحضره من المياه المالحة ، ومنهم من كان يستخرجه من مناجم تحفر . وقد ذكر الهمداني أسماء مواضع وجدت فيها معادن الملح . وقد أشير في (المسند) الى الملح وإلى الا تجاربه ، وإلى وجود كيّالين كانوا يكيلونه ويرسلونه الى الأسواق لبيعه فيها . ومن أشهر مواضع الملح في اليمن : جبل الملح في بلاد مأرب ، وهو ملح صاف

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص915 وما بعدها

كالبلور[1] . وقد وردت إشارة الى الملح في شعر أبو ذؤيب :

يَسْتَــنُّ في جانِــبِ الصَّحْــرَاءِ فَائِرُهُ   كأنّـــه سَبِـــطُ الأهْــدَابِ مَمْلوحُ [2]

يقول يستن الفائر وهو السراب يهيج كأنه سبط وهو البحر .

---

(1) المفصل . د . جواد علي 7-522 عن الصفـة ـ 155 ـ أهل اليمن في صدر الاسلام . د . نزاد عبد اللطيف الحديثي ص ـ 53

(2) ديوان الهذليين 1-112

القسم الثاني :

المعادن الثمينة

يتضمن هذا القسم ما يعرف عادة بالمعادن الثمينة وهي التالية :

1 ـ الذهب :

أ ـ **تعريفه** : معروف ، وربما أُنِّث . غيره : الذهب التِّبر ، القطعة منه ذهبة . . وفي حديث عليّ ، كرّم الله تعالى وجهه : لو أراد الله أن يفتح لهم كنوز الذِّهبْان ، لفَعَل ؛ وهو جمع ذهب[1] . وهو من أثقل وأثمن المعادن ، ويقبل التطريق أكثر من غيره .

ب ـ **معرفته عند الأقدميين** : يبدو أن الذهب كان معروفاً منذ العصور القديمة إذ جاء في قاموس الكتاب المقدس « أنه كان يستورد قديماً من أرض الحويلة ، ومن سبأ ، ومن أوفير . وكان استعمال الذهب شائعاً بين العبرانيين ، فان عدة قطع اثاث في خيمة الاجتماع ثم في الهيكل كانت مغشاة بالذهب ، وقد صنعت أصنام كثيرة من الذهب كما صنعت تيجان وسلاسل وخواتم وحلقان . كما استعمل الذهب كعملة في وقت مبكر جداً[2] .

ج ـ **معرفته عند العرب الجاهليين** : هناك أدلّة عديدة على معرفة العرب الجاهليين للذهب ولتصنيعه منها :

1 ـ **ما ورد في كتب الاخباريين** : يقول صاحب كتاب تاريخ العرب : « . . ولقد أصبحت « السبأي » و « الجرهاي » ـ وهي الجرعاء في

---

(1) اللسان 1-394

(2) قاموس الكتاب المقدس ص387 وما بعدها .

العربية على الخليج العربي . . أغنى القبائل عامة فعندهما مستحدثات الأدوات المصوغة من الذهب والفضة . . ومنها الأسرة ومثلثات القوائم والأحواض وأوعية الشرب وناهيك بمنازلهم الفخمة ، وقد تزوقت أبوابها وجدرانها وسطوحها بالألوان وترصعت بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة »(1) .

ويتابع قائلاً : « ولئن كان اللبان والطيوب أفخر الحاصلات التي اشتهرت بها البلاد فثروتها المعدنية لم تقل عن تلك قيمة وأخص معادنها الذهب ، وكانت مناجمه على ساحل الجزيرة الغربي بين مدين واليمن وفي أواسط الجزيرة أيضاً . . وقد بسط ديدورس أن الجزيرة غنية بمناجم الذهب الذي بلغت نقاوته حداً لم تعد معه حاجة الى تصفيته بواسطة الصهر »(2) .

وفي مكان آخر يقول : وأنبأنا سرجون الثاني (722-705) ق . م . أنه تلقى من (سمسي) ملكة بلاد العرب و (يَثْعَمَرْ) زعيم سبأ وسواهما من ملوك مصر والبادية جزية من الذهب و . . »(3) .

وورد في الأغاني : « عن . . أخبرني رجل من أهل صنعاء : أنهم حفروا حفيراً في زمن مروان ، فوقفوا على أزج له باب ، فاذا هم برجل على سرير كأعظم ما يكون من الرجال ، عليه خاتم من ذهب وعصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه . . »(4) .

---

(1) تاريخ العرب ـ د . فيليب حتي ورفاقه ص ـ 78
(2) تاريخ العرب ـ د . فيليب حتي ورفاقه ص ـ 79
(3) نفس المصدر السابق ص ـ 66
(4) الأغاني 4-218

ويقول صاحب « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » : « وأعطت ملكة سبأ (سليمان) مئة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة . وجاء في سفر (الملوك الأول) حكاية عن الذهب الذي وصل إلى سليمان ؛ « وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ستمئة وست وستين وزنة ذهب ، ما عدا الذي ورد من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض »[1] .

ويقول في مكان آخر : « إن سادات بعض القبائل العربية قدموا الى القيصر تاجاً من ذهب ليعبروا عن خضوعهم له »[2] .

وجاء في كتاب « حضارة العرب » : « ووصف هيرودتس ، قبل المسيح بنحو أربعمائة سنة ، بلاد العرب السعيدة بأنها من أغنى بقاع العالم ، وأنه كان في مأرب ، أو سبأ التي ورد ذكرها في التوراة ، قصور نضرة ذات أبواب عسجدية وآنية من ذهب وفضة وسرر من المعادن الثمينة . . ولم يَرْوِ استرابون غير ما رواه هيرودتس ، واستند إسترابون في روايته عن مدينة مأرب الى أرتيميدور فقال : « إن قصورها ذات سقوف مزخرفة بالذهب والعاج والحجارة الثمينة وذات أثاث فاخر وآنية منقوشة »[3] .

2 ـ من الاشياء الاثرية :

سبق أن ذكرنا ما ورد في الأغاني عن الحفير الذي حفروه في زمن

---

(1) المفصل . د . جواد علي 1-636

(2) المصدر السابق 2-643

(3) حضارة العرب ـ غوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر ص ـ118 دار احياء التراث العربي الطبعة الثالثة ـ1979

مروان ، حيث وجدوا رجلاً مسجّى : « عليه خاتم من ذهب وعصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب »[1] .

ويقول الدكتور جواد علي : « . . عثر علماء الآثار في (تمنع) عاصمة (القتبانيين على رأس لفتاة منحوت من رخام أبيض معرق ، كما عثر على بقايا ملابس وأخشاب متأكلة وعلى حليٍّ بعضه من ذهب ، ومن جملته عقد ذهب يتألف من هلال فتحته الى الأعلى ، أما حشيته فانها مخرمة ، وقد زُيّن الهلال باسم صاحبته »[2] .

وعليه يبدو لنا أن العرب الجاهليين بلغوا درجة ممتازة من إتقان صنعة الحليّ من الذهب إذ تمكنوا من صناعة الشكل المطلوب وبالتالي عملية تخريم حاشية العقد لا بدّ وأن تتطلب دقة ومهارة في الصنعة .

3 ـ من القرآن الكريم والسيرة .

لقد أنزل القرآن الكريم بلغة قوم يفقهون معاني ألفاظه ، وعليه حينما يذكر لهم (الذهب) لا شك أنهم يعرفون ما هو الذهب . وهذا دليل آخر على معرفة العرب الجاهليين لهذا المعدن . فقد ذكر الذهب في مواضع عدة من القرآن الكريم منها : « زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة »[3] وقوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم »[4] .

---

(1) الأغاني 4-218

(2) المفصل . د . جواد علي 2-230

(3) سورة آل عمران الآية ـ14

(4) سورة التوبة الآية ـ34

وجاء في كتاب التراتيب الادارية : « خرج ابن أبي حاتم في العلل من طريق العقيلي عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن أمه قالت : دخل رسول الله (ص) على عقيل ، فوهب له خاتماً ، أهداه الى رسول الله (ص) ، النجاشي ، مثل الفلكة ، فكتب رسول الله (ص) فيه قل هو الله أحد والمعوذتين » . وهناك من أنكر هذا الحديث .

ويتابع قائلاً : ترجم في الاصابة للضحاك بن عرفجة السعدي فذكر أن ابن منده روى عنه أنه أصيب أنفه يوم الكلاب فأمره النبي (ص) أن يتخذ أنفاً من ذهب . . . وقد روي عن غير واحد من أهل العلم أنهم شدوا أسنانهم بالذهب فأشار النبيﷺ إلى أن الذهب خاصيته أن لا ينتن »[1] .

وهذا أيضاً دليل على المستوى الفني الذي بلغه العرب في العصر الجاهلي وصدر الاسلام في دقة الصنعة والاتقان ، لأن صنع الأنف من ذهب وتركيبه في محله ليس مما يستطيعه كل عامل أو صانع .

4 ـ من الشعر الجاهلي

لقد ورد ذكر الذهب وأسمائه المختلفة في شعر الشعراء الجاهليين منها :

قال المرقش الأكبر :

يُهَدِّلْهــنَ بِالآذانِ من كُلِّ مُذْهَبٍ   لهُ رَبَــذٌ يَعْيَا بِهِ كلُّ واصِفِ[2]

---

(1) التراتيب الادارية ـ الكتاني 2 -64 و65

(2) المفضليات ص ـ231

وقال لبيد :

أَوْ مُذْهَبٌ جَدَدٌ ، على ألواحِهِ ألنَّاطِقُ المَبْرُوزُ ، والمَخْتُومُ[1]

وقال المثقِّب العبدي :

وَمِنْ ذَهَبٍ يَلُوحُ على تَرِيبٍ كَلَوْنِ العاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ[2]

ـ والتبر : الذهب كلُّه ، وقيل : هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض . . وغير ذلك مما إستخرج من المعدن قبل أن يصاغ ويستعمل ؛ وقيل : هو الذهب المكسور ، قال الشاعر :

كُلُّ قَوْمٍ صِيغَةٌ مِنْ تِبْرِهِمْ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافِه مِنْ ذَهَبْ

أبن الأعرابي : التبر الفتات من الذهب والفضة قبل أن يصاغا فاذا صيغا فهما ذهب وفضة . الجوهري : التبر ما كان من الذهب غير مضروب فاذا ضرب دنانير فهو عين . قال : ولا يقال تبر إلا للذهب وبعضهم يقوله للفضة أيضاً . . قال ابن جنى : لا يقال له تبر حتى يكون في تراب معدنه أو مكسوراً »[3] .

وقد ذكر الشماخ بن ضرار التبر في شعره حيث يقول :

ثمانٍ مِنَ الكُورِيِّ حمر ،كأنّها من التِّبر ما أذكى عَنِ النَّارِ خابزُ[4]

ـ والعسجد : هو الذهب ، وقيل : هو اسم جامع للجوهر كلّه من الدرّ

---

(1) اللسان 1 -394

(2) المفضليات ص ـ289

(3) اللسان 4 -88

(4) جمهرة أشعار العرب ص ـ298

والياقوت . . قال : العسجد الذهب ، وكذلك العِقْيَانُ ، والعسجدية ركاب الملوك وهي إبل كانت تزيّن للنعمان »[1] .

وقد ورد ذكر العسجد في شعر عنترة حيث يقول :

وَخُـذِي كَلاَمــاً صُغْتُــهُ مِنْ عَسْجَد   وَمَعَــانِياً رَصَّعْتُهــا بالجَوْهَرِ[2]

ـ والعقيان : وهو الذهب »[3] . وقيل : الذهب الخالص ، أو الذهب الذي لا يستذاب من الحجارة ، وإنما هو ذهب ينبت نباتاً »[4] .

ـ والسحالة : ما تَحَاتَّ من الحديد وبرد من الموازين »[5] ويقال لتراب الذهب السحالة ، وهي أيضاً قشر البر والشعير والأرز »[6] .

ـ والأصفران : الذهب والزّعفران ، ويقال : الورس والزعفران . والصفراء : الذهب للونها . وفي الحديث أن النبي (ص) ، صالح أهل خيبر على الصفراء والبيضاء والحلقة (الذهب والفضة والدروع)[7]

ـ والشَّذْرُ : قطع من الذهب يلقط من المعدن من غير إذابة الحجارة ، ومما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر . والشذر أيضاً صغار

(1) اللسان 3 -290

(2) ديوان عنترة ص ـ153

(3) اللسان 13 -288

(4) المفصل . د . جواد علي 7 -512 عن تاج العروس 10 -249

(5) اللسان 11 -329

(6) المفصل ـ د . جواد علي 7 -512 عن تاج العروس 7 -372

(7) اللسان 4 -460

اللؤلؤ »(1) . وقد ورد ذكر الشذر في شعر المرقش الأصغر حيث يقول :

تَحَلَّيْنَ ياقُوتــاً وَشَــذْراً وصِيغَةً وجَزْعــاً ظَفَــارِياً ودُراً تَوَائِمَا(2)

- والسِّيَرَاءُ : الذهب ، وقيل الذهب الصافي »(3)

- والنَّضير : « . . النَّضيرُ والنُّضارُ والأَنْضَرُ : اسم الذهب والفضة ، وقد غلب على الذهب وهو النَّضْرُ ، عن ابن جنى ؛ قال الأعشى :

إذا جُرِّدَتْ يومــاً حَسِبْــتَ خَمِيصَةً عليها وجِـرْيَالَ النَّـضِيـرِ الدُّلامِصَا

وجمعه نضار وأنضر ؛ قال أبو كبير الهذلي :

وَبَيَاضُ وَجْــهٍ لَمْ تَحُــلْ أَسْرَارُهُ مثـل الوَذِيلَــةِ أَوْ كَشَــنْفِ الأنضُرِ

التهذيب : النضر الذهب وجمعه أنضر . والنضرة : السبيكة من الذهب »(4) .

- والسَّام : « عروق الذهب والفضة في الحجر ، وقيل : السَّام عروق الذهب والفضة ، واحدته سامة ، وبه سُمِّي سامة بن لؤيّ بن غالب ؛ قال قيس بن الخطيم :

لَوَ أَنَّكَ تُلْقِي حَنْظَلاً فوْقَ بيضنَا تَدَحْـرَجَ عن ذِي سامِـهِ المُتَقَارِبِ

قال : وقال الأصمعي وابن الأعرابي وغيره : السَّام الذهب والفضة ، قال النابغة الذبياني :

كَأَنَّ فَاهَــا ، إذا تُوَسَّــنُ ، من طِيبِ رُضَــابٍ وحُسْــنِ مُبْتَسَمِ
رُكِّبَ في السَّــامِ والــزَّبِيبِ أَقَا حِيُّ كَثِيبٍ ، يَنْــدَى مِنَ الرِّهَمِ

---

(1) اللسان 4-399

(2) المفضليات ص ـ245

(3) اللسان 4-390

(4) اللسان 5-213

قال : فهذا لا يكون إلا فضة لأنه إنما شبه أسنان الثغر بها في بياضها ، والأعرف من كل ذلك أن السَّامَ الذهبُ دون الفضة »[1] .

د ـ أماكن وجود الذهب في الجزيرة العربية :

يبدو أن الذهب كان موجوداً بوفرة وفي مواضع مختلفة من شبه الجزيرة العربية ، وهذا ما رواه الكتاب الأخباريون . يقول صاحب المفصّل : « وقد ذكر الجغرافيون العرب أسماء ومواضع عرفت بوجود خام الذهب بها، مثل موضع (بيش) وقد كان الناس يجمعون التبر منه ، ويستخلصون منه الذهب ، و (ضنكان) وكان به معدن غزير من التبر ، والمنطقة التي بين القنفذة و (مرسي حلج)[2] .

ويتابع قائلاً : « ويظهر من المؤلفات اليونانية ومن الكتب العربية أن المنطقة التي بين القنفذة وعتود ، كانت معروفة بوجود التبر فيها . فكان الناس يشتغلون هناك باستخلاص الذهب منه ، ولهذا رأى (موريتس) أن هذه المنطقة هي منطقة (أوفير) التي ورد ذكرها في التوراة على أنها كانت تصدر الذهب . ويشاهد في وادي تثليث على مقربة من (حمضة) آثار التبر ، ويظهر أنه كان من المواضع التي استغلت قديماً لاستخراج الذهب منها . . وقد ذكر الكتبة اليونان أن الذهب يستخرج في مواضع من جزيرة العرب خالصاً نقياً، لا يعالج بالنار لاستخلاصه من الشوائب الغريبة ولا يصهر لتنقيته . . ويظن بعض الباحثين أن منجم (مهد الذهب) هو المنجم الذي كان لبني سُليم ، فعرف باسمهم ، وقيل له : معدن (بني سُليم) وقد وهبه

---

(1) اللسان 12 - 313

(2) المفصل . د . جواد علي 1 - 192 عن البلدان 2 - 333 والصفة ـ 120

الرسول الى بلال بن الحارث . وعرفت (أرض مدين) وما والاها من الأرضين في شمال (وادي الحمض) ، بوجود التبر فيها ، واستخراج الناس له هناك قبل الميلاد بمئات من السنين . وتوجد آثار المناجم التي كانت تستغل مبعثرة في مواضع عديدة حتى اليوم[1] . وعرفت (شبا) بثروتها وبوجود الذهب فيها ، وقد قيل لذهبها (ذهب شبا) والمقصود سبأ[2] .

ومعدن (صعاد) وهو من ديار (عقيل) هو أغزر معدن في جزيرة العرب ، وهو الذي ذكره الرسول في قوله : مُطرت أرض عقيل ذهباً . ويذكر صاحب المفصل أسماء عديدة لمواضع وجود الذهب يمكن الرجوع اليها لمن يحتاجها[3] .

ويذكر صاحب « تاريخ العرب » أثناء تحدثه عن الدولة الحميرية الأولى أنه كان للذهب مناجم في عسير[4] . أما صاحب « أهل اليمن في صدر الاسلام فيذكر لنا أسماء ومواضع مختلفة لأماكن وجود الذهب في شبه الجزيرة العربية منها : « (ذمار) كمركز قديم لانتاج الذهب وقد سميت بعض قراها باسمه مثل (سامة العليا) و (سامة السفلى) . وفي منطقة همدان مناجم بعض المعادن وأشهرها معدن الذهب في (المخلفة) من أرض حجور في أعالي وادي مور غرب البون . . وفي منطقة (خولان) معدن ذهب (القفاعة) ويقع غربي صعدة قرب مدينة الخصوف ويعرف بمعدن البار . . ويوجد الذهب فيما بين نجران وبين صعدة (معدن بني سابغة) . .

---

(1) المصدر السابق 1-193 وما بعدها

(2) المفصل . د . جواد علي 2-262

(3) المفصل . د . جواد علي 7-512 وما بعدها .

(4) تاريخ العرب . د . حتي ورفاقه ـ ص ـ90

غير أن المنطقة (أرض سبأ) غنية بمناجم معادن الذهب والفضة ، ومن أشهرها منجم ذهب السر في أرض سبأ وهي مناجم جاهلية كثيرة الانتاج يملكها في الاسلام ابن الروية رئيس مذحج »[1] .

وعليه يبدو أن الذهب كان متوفراً بكثرة في شبه الجزيرة العربية وخاصة في المنطقة الجنوبية حيث عمل الجاهليون على استخراجه وتصنيعه .

هـ ـ طريقة استخراج الذهب وتصنيعه :

عرف العرب الجاهليون الذهب كما أوضحنا ذلك سابقاً . وكان له قيمته عندهم مما دفعهم لاستخراجه من الأماكن التي يتوفر وجوده فيها ، وهو إما أن يكون من الذهب الخالص وهذا لم يكلفهم مجهوداً يذكر . أو يكون مخلوطاً بالأتربة أو موجوداً على شكل عروق بين الطبقات الصخرية فيتبعون طريقه ويخرجونه بواسطة أدوات حفر بدائية .

وقد عثرت (شركة التعدين السعودية العربية) في أثناء بحثها عن الذهب في (مهد الذهب) على أدوات استعملها الأولون قبل الاسلام في استخراج الذهب واستخلاصه من شوائبه مثل : رحى وأدوات تنظيف ومدقات ومصابيح ، وشاهدت آثار القوم في حفر العروق التي تكوّن الذهب »[2] .

ربما كانت الرحى لجرش الحجارة المحتوية على الذهب أو لطحنها

---

(1) أهل اليمن في صدر الاسلام . د . نزار عبد اللطيف الحديثي ص ـ41 و47 و48 و49 عن معجم البلدان 4 - 147 والصفة ص ـ108

(2) المفصل . د . جواد علي 1 - 193

والمدقات أيضاً لكسر الحجارة وتصغيرها . وقد تكون هذه العملية مقدمة لتذرية تراب المعدن طلباً لذهبه .

وكانوا يضعون المعدن في التنور ليميع ، ثم يجعلونه في (الكوج) ليتخلص المعدن وينقى من الشوائب[1] .

وقد استعمل الأتون أيضاً في إذابة المعادن لتنقيتها وإذابتها ولإحالتها الى الشكل المطلوب . وتوقد النار في أسفل الأتون لتذيب المعدن وتحيله الى سائل يسيل من فتحة تقع في جانبه ليحوله المعدن الى الشكل الذي يريده . ويخرج الدخان من فتحة تكون في نهاية موقد النار ، وتقوم هذه المدخنة في تهوية الموقد في الوقت نفسه »[2] .

وهناك آية في القرآن الكريم تتحدث عن هذا الموضوع وهي : « ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبدٌ مثلهُ كذلك يضرب الله الحق بالباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال »[3] .

وقد جاء في تفسير هذه الآية في الجلالين كما يلي : « (ومما يوقدون عليه في النار) من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس (ابتغاء) طلب (حلية) زينة (أو متاع) ينتفع به كالأواني اذا أذيبت (زبد مثله) أي مثل زبد السيل وهو خبثه والذي ينفيه الكير (كذلك) المذكور (يضرب الله الحق والباطل) أي مثلهما (فأما الزبد) من السيل وما أوقد عليه من الجوهر

---

(1) المفصل . د . جواد علي7-512 عن بلاد العرب ـ380 وما بعدها .
(2) المصدر السابق7-568
(3) سورة الرعد . الآية ـ19

(فيذهب جفاءً) أي باطلاً مرمياً به ، (وأما ما ينفع الناس من الماء والجواهر (فيمكث) يبقى (في الأرض) زماناً . . الخ .

وكأن هذه الآية الكريمة تبيّن لنا طريقة صهر المعادن ، الذهب والفضة وغيرهما من جواهر الأرض ، بايقاد النار لإذابة الجوهر الذي ينفصل عن الأتربة والأشياء الأخرى التي كانت ممزوجة معه . وتشير في نفس الوقت الى أن ذاك الجوهر ، تحت تأثير الحرارة ، يذاب ويطرق ويصنع منه الحلى وأدوات الزينة والآنية وغيرها .

وقد قال الشمّاخ :

فقال : إزارُ شَرعبيّ ، وأربُع من السِّيَراءِ ، أو أواقٍ نواجِزُ
ثمانٍ من الكُوريِّ حمرٍ ، كأنّها من التِّبرِ ما أذكى عَنِ النّارِ خابزُ(1)

ولعل الأواق الثمان النواجز التي يشير إليها الشماخ هي من الذهب أو الفضة ، ولفظة كوري هي نسبة إلى كور الصائغ ، وأنها من الذهب الصافي ، وقد أصبحت كذلك بعد أن أذكى النار ، أي أحسن ايقادها . وبذلك يدلنا الشمّاخ على طريقة تنقية الذهب من الشوائب بواسطة « الكور » والنار ، وليس المقصود هنا صناعة الحلى لأنه ذكر الأواق الثمان .

وبعد الحصول على الذهب الصافي يبدأ عمل الصاغة في تصنيعه حلى وأدوات وخلافها . وقد كان الصاغة موجودين في العصر الجاهلي بدليل ما ورد في الحديث : « أكذب الناس الصباغون والصواغون » لأنهم يمطلون بالمواعيد الكاذبة(2) . وقد قيل « عن عليّ أنه لما أراد أن يبني

---

(1) الجمهرة ص ـ298
(2) اللسان 8-442

بفاطمة عليها السلام ، قال : وعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع (شعب من يهود المدينة) ، أن يرتحل معي فنأتي بأذخر أردت أن أبيعه من الصواغين واستعين به في وليمة عرسي »[1] . وقد اشتهر بنو قينقاع بالصياغة[2] وقد ورد عن أبي رافع الصواغ أن عمر بن الخطاب كان يمازحه بقوله : « أكذب الناس الصواغ ، يقول اليوم وغداً »[3] . وكلام عمر يدل على أن الصاغة لذلك العهد كانوا يخلفون أيضاً في المواعيد ، ولا يحافظون على الأوقات . ومن كلامه وكلام علي نستنتج أن صنعة الصياغة جيدة لا تستدعي تجنب معاملة صاحبها لا من حيث الدين ولا من حيث المروءة وربما كثر الفساد فيها وتعاطاها أراذل الناس ، هذه بالطبع النظرة الاسلامية ، وأما الحديث الذي أوردناه عن النبي (ص) فانه مضطرب الاسناد أخرجه أحمد وغيره[4] . حتى أن البعض يفسره بأن المقصود بالصواغين هم الذين يصوغون الأحاديث الكاذبة . وربما اختلفت النظرة إلى الصواغين في المجتمع الجاهلي ، قبل الاسلام ، كما سنوضح ذلك في حينه .

« وفي الاكتفاء للكلاعي في حق أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة أنه كان نقاشاً حداداً نجاراً »[5] . والذي يهمنا أنه كان نقاشاً ينقش الكلمات والأسماء على الخواتم وغيرها . وقد قيل أنه كان في (يثرب) سوق للصاغة[6] . وقيل أيضاً : ان مدينة (تدمر) كانت مركزاً من مراكز الصاغة ،

---

(1) الكتاني 2-63
(2) جواد علي 7-562
(3) جواد علي 7-561 ، الكتاني 2-64
(4) الكتاني 2-64
(5) المصدر السابق 65
(6) حسين مروّة ـ النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية 1-197

فقد أشارت كتابة ترجع إلى منتصف القرن الثالث الميلادي الى وجود نقابة لصانعي الذهب والفضة »[1] .

أما بالنسبة الى نظرة العرب الجاهليين الى المشتغلين بالحرف فيقول جواد علي : « أما الأعراب فقد كانوا يأنفون من الاشتغال بها ، وينظرون الى المشتغلين بها نظرة احتقار وازدراء لأنها في عرفهم حرف وضيعة ، خلقت للعبد والرقيق والمولى ، ولا تليق بالحر ، حتى أن الشريف منهم وذا الجاه ، كان لا يحضر وليمة يدعوه اليها شخص من أصحاب هذه الحرف ، استنكافاً وازدراءً ، لأنه ليس في مكانته ومنزلته . وقد كان عمل الرسول كبيراً في نظر رؤساء القوم يومئذ ، حينما جوّز حضور طعام الخياط والصائغ وأمثالهما ، وكان يحضر منازلهم ، فعدّ القوم ذلك عملاً غير مألوف ، ومخالفاً للعرف والتقاليد . وكان أكثر أهل القرى ينظرون الى الحرف والمحترفين بها نظرة ازدراء كذلك ، ويأنفون لذلك من التزاوج معهم .. ويلحق هذا التعيير الأبناء كذلك »[2] .

ومما يؤيد ما ذكره جواد علي ، هجاء عبد القيس بن خفاف البرجمي ، للنعمان بن المنذر ، في الجاهلية ، وذكر ولادة الصائغ له ، حيث قال :

لعن الله ثم ثنّى بلعن	ابن ذا الصائغ ، الظلوم الجهولا
يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو	ثم لا يرزأ العدو فتيلا[3]

---

(1) ليلى صباغ ـ ص ـ170 عن دليل المتحف الوطني بدمشق ص ـ162 - 168

(2) جواد علي 7 - 543

(3) جواد علي 4 - 544 الحاشية عن الحيوان 4 - 379 (هارون) ـ

وكذلك هجاء عمرو بن كلثوم للنعمان بن المنذر أيضاً حيث يقول :

لحا الله أدنانا إلى اللؤم زُلْفَةً ... وألأمَنَا خالاً وأعجزَنَا أبَا

وأجدَرَنَا أن ينفُخَ الكيرَ خالُه ... يصوغُ القُروطَ والشُّنوفَ بِيَثْرِبَا (1)

إن هذا الشعر يدلنا على أن العرب الجاهليين أو بعضهم كان يزدري حرفة الصياغة ، وإن كلمة يثرب في آخر البيت الثاني هي إشارة واضحة إلى أنها كانت مركزاً مهماً للصياغة في العصر الجاهلي ، كما أن عمرو بن كلثوم يذكر لنا بعض أنواع الحلى : القروط والشنوف والتي صنعها الصائغ .

و ـ المصنوعات الذهبية عند الجاهليين :

قال عبد الله بن سليم من بني ثعلبة :

ويَزِينُها في النَّحْرِ حَلْيٌ واضحٌ ... وقلائدٌ من حُبْلَةٍ وسُلُوسِ (2)

لقد صنع الصائغ في العصر الجاهلي الحلي من الذهب ، وهي ما يزيّن به ، ويصف لنا هنا عبد الله امرأة تزين نحرها بالحلي الظاهر ، ربما يكون عقداً من الذهب يطوّق عنقها ؛ وكذلك قلائد وهي جمع قلادة وتصنع غالباً من الذهب والفضة ، ولكنها هنا على شكل ثمرة الحبلة وهي شجرة يأكلها الضِّباب ؛ والقلادة تربط حول العنق وتتدلّى على الصدر . وقال المثقب العبدي :

ومن ذهبٍ يلوحُ على تريبٍ ... كَلَوْنِ العاجِ ليس بِذِي غُضُونِ

التريب : جمع ترائب عظام الصدر (3) .

---

(1) الأغاني 11 -59

(2) اللسان 11 -140

(3) المفضليات ص ـ289

وهناك المَنَاجِدُ ، وهو حليٌ مكلّلٌ بجواهر بعضه على بعض مزيّن ، وفي الحديث : أنه رأى امرأة تطوف بالبيت عليها مناجد من ذهب فنهاها عن ذلك ؛ قال أبو عبيدة : أراد بالمناجد الحلي المكلل بالفصوص وأصله من تنجيد البيت ، واحدها ، منْجَد ، وهي قلائد من لؤلؤ وذهب أو قرنفل ، ويكون عرضها شبراً ، تأخذ ما بين العنق إلى أسفل الثديين ، سميت مناجد لأنها تقع على موضع نجاد السيف من الرجل »[1] .

وقال عبيد بن الأبرص :

ناطُوا الرّعاثَ لِمَهْوَى لَوْ يَزِلُّ بِهِ   لاندَقَّ دونَ تلاقِي اللَّبَّةِ القُرطُ[2]

والقرط نوع من حلي الأُذُن . ويقال لها الرعاث أيضاً ، واللبة موضع القلادة ، يريد عبيد أن يقول : أن هؤلاء النسوة علّقوا الأقراط في الآذان التي تعلو رقاباً طويلة ، فلو سقط القرط لاندق قبل أن يصل الى الصدر .

وقال النمر بن تولب (توفي ـ14 ـ هـ) :

وكلُّ خليلٍ عليه الرِّعَاثُ والحُبُلاتُ ، كذُوبٌ مَلِقْ

فالرعاث جمع رعثة وهو ما علّق بالأذن من قرط ونحوه[3] .

وإذا كان القرط بحبة واحدة يقال له الخُرْصُ والخِرص ، وقيل : هي الحلْقة من الذهب والفضة . وفي الحديث : أن النبي (ص) وعظ النساء وحثهن على الصدقة فجعلت المرأة تلقي الخرص والخاتم[4] .

---

(1) اللسان 3-416

(2) ديوان عبيد ص ـ83 تحقيق . حسين نصار ـ الطبعة الأولى ـ1957 ـ مصر .

(3) اللسان 2-152

(4) اللسان 7-22

وقال المرقش الأكبر :

يُهَــدِّلْنَ بالآذانِ من كلِّ مُذْهَبٍ   لهُ رَبَــذٌ يَعْيَا بِهِ كلٌّ واصِفِ[1]

أي يسدلن المصوغ من الذهب ، يعني القروط التي لها اضطراب ، مما يدل على أن تلك القروط طويلة لذلك تضطرب وليست حلقة صغيرة . وعليه يبدو لنا أن صناعة القروط الذهبية وبأشكال مختلفة كانت متوفرة في العصر الجاهلي .

وقال عنترة :

شكَا نحرُهــا من عِقْدِهــا مُتَظَلِّماً   فَوَاحَرَبَـا من ذلكَ النَّحْـرِ والعِقْدِ[2]

ومن قول عنترة يتبين لنا أن الصائغ في العصر الجاهلي قد صنع ، من جملة ما صنعه من الحلي ، العقد وهو يوضع حول العنق ، على النّحر .

وقال عنترة أيضاً :

والشَّمْسُ بينَ مُضَرَّجٍ وَمُبَلَّجٍ   والغُصْنُ بينَ موشَّــحٍ ومُقَلَّدِ[3]

الشمس أراد بها وجوه الجواري في اشراقها ، المضرج أي المحمر والمبلّج أي النقي الطلعة ، والغصن أي القدّ ، عليه وشاح وقلادة . فأما القلادة ، فقد سبق ذكرها ، وأما الوِشاح أو الوُشاح : كله حَلْيُ النساء ، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر ، تتوشح المرأة به ، ومنه اشتق توشح الرجل بثوبه . . وقيل ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها[4] .

---

(1) المفضليات ص ـ231

(2) ديوان عنترة ص ـ140

(3) ديوان عنترة ص ـ137

(4) اللسان 2-632

وهذا أيضاً مما صنعه الجاهليون من حلي المرأة تتزين به ، وكذلك الأسورة تضعها المرأة في يديها وقد استعملها أهل الجاهلية ، وهي من جملة أعمال الصائغ ، وقد ورد ذكر الأساور الذهبية في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : « يُحلَّونَ فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً »[1] « و « يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير »[2] . وقوله تعالى : « فلولا أُلْقِيَ عليه أَسْوِرَةٌ من ذهب أوجاء معه الملائكة »[3] .

وقال امرؤ القيس :

كأنّيَ لم أركب جوَادا لِلذَّة ... ولمْ أتبَطَّنْ كاعِبا ذاتَ خلخالِ[4]

الخلخال من أدوات الزينة التي تستعملها النساء ، يوضع على الساق يصاغ من الذهب أو الفضة . ولا يزال يستعمل حتى الآن في بعض المناطق العربية . وللأجراس الصغيرة التي تعلق به رنين خاص ونغمات . وقد نهى الاسلام تبختر النساء بالخلاخل وإثارتهن نغماتها ، لما في ذلك من إثارة للرجال وتأثير عليهم ، وذلك في قوله تعالى : « ولا يَضرِبْنَ بأرجلهن ليُعْلَمَ ما يُخْفِينَ من زينَتِهن »[5] .

ويقال للخلخال (البُرين) . قال طرفة بن العبد في معلقته :

كأنَّ البُرينَ والدَّماليجَ عُلِّقتْ ... على عُشَرٍ أوخِرْوَعٍ لم يُخَضَّدِ[6]

---

(1) سورة الكهف الآية ـ31

(2) سورة الحج الآية ـ23

(3) سورة الزخرف الآية ـ53

(4) ديوان امرىء القيس ص ـ143 ـ دار صعب .

(5) سورة النور الآية ـ31

(6) الأنباري ـ هارون ـ شرح القصائد السبع الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ص ـ197 ـ الديوان ص ـ 33 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

والخاتم من عمل وصنع الصائغ ، وهو من حلي الاصبع . ويحلى بالأحجار الكريمة في الغالب ، ويستعمل الخاتم للختم أي للطبع بدلاً من التوقيع . « وفي المتاحف وعند الناس عدد كبير من الأختام ، عثر عليها في مواضع متعددة من جزيرة العرب »(1) . ويروى أنه كان عند النبي (ص) خاتماً للختم به على المكاتيب ، وكان على خاتم أبي هريرة ذبابتان ونقش على خاتم أنس ذيب أو ثعلب ، وكان نقش خاتم شريح أسدان بينهما شجرة ، ونقش على خاتم أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود رأس كركي . . الخ(2) .

وإذا كانت صناعة الخواتم منتشرة في صدر الاسلام وقد تفنن صانعوها بالنقوش المختلفة عليها ، واستعملها الرسول والصحابة ، فلا شك أنها كانت متوفرة عند العرب الجاهليين ويرجح أنه كانت تصنع من الذهب ، وإذا كان الاسلام نهى الذكور من التحلي بالمصنوعات الذهبية فانه أباحها للاناث وهذا يدفعنا للاعتقاد أن صناعة الخواتم الذهبية ظلت منتشرة للنساء في صدر الاسلام كماكانت عليه في العصر الجاهلي .

ولم تقتصر المصنوعات الذهبية على الحلى وأدوات الزينة بل تعدتها الى صناعة الأثاث والآنية والصحاف وغيرها . ويقول جواد علي : « وقد ألف أهل مكة وغيرهم استعمال الآنية المصنوعة من الذهب والفضة ، فاستعملوا الأكواب والأباريق والكؤوس والقوارير والأواني ، وبعضها عليه صور مرسومة أو محفورة . . وقد ورد النهي عن الشرب بأواني الذهب في الحديث ، وفي ذلك دليل على وجودها واستعمالها عند العرب قبل

---

(1) جواد علي 7-546

(2) الكتاني 2-65 وما بعدها .

الاسلام »[1] . وقد أشير في القرآن الكريم الى هذه الأواني بقوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين »[2] .

وجاء في كتاب تاريخ العرب : « قال (سترابو) : لقد أصبحت « السبأي » و « الجرهاي » أي (الجرعاء) على الخليج العربي ، بما لهما من نصيب في تجارة الطيوب أغنى القبائل عامة فعندهما مستحدثات الأدوات المصوغة من الذهب والفضة ، منها الأسرة ومثلثات القوائم والأحواض وأوعية الشرب وناهيك بمنازلهم الفخمة ، وقد تذوقت أبوابها وجدرانها وسطوحها بالألوان وترصعت بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة[3] .

وقد ورد ذكر الكوب في شعر الشعراء الجاهليين . قال عدي بن زيد العبادي (توفي ـ587 ـ م) :

مُتَّكِئاً تَصْفِقُ أبْوابُه يَسْعى عليه العَبْدُ بالكُوبِ[4]

وورد ذكر الابريق في شعره أيضاً حيث يقول :

وَدَعَا بالصَّبُوحِ ،يوماً ،فقامت قَيْنَةٌ في يمينِها إبْرِيقُ[5]

وقال علقمة بن عبدة :

كأنَّ إبْرِيقهم ظبيٌ على شَرَفٍ مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكتَّانِ مَلْثُومِ[6]

---

(1) جواد علي 7-565
(2) سورة الواقعة . الآية ـ18
(3) فيليب حتي ورفاقه ـ تاريخ العرب ـ دار غندور ـ الطبعة الخامسة ـ1974 ص ـ78
(4) اللسان1 -729
(5) اللسان10 -17
(6) اللسان10 -18

وبما أنه قد ورد ذكر الأكواب والأباريق في شعر الشعراء الجاهليين ، فهذا يدلّ على معرفتهم لها وبالتالي استعمالها .

وقام الصائغ بعمل قبيعة السيف من الذهب والفضة ، وزيّن السيوف بهما ، وزينت الدروع والدرق بالذهب كذلك . ووجد الصائغ عملاً مهماً له في المعابد إذ أمدها بالتماثيل المصنوعة من الابريز وبالقناديل والمصابيح المصنوعة من الذهب والفضة ، كما أمدها بزخارف مموهة بالذهب وضعت على أبوابها وعلى الأماكن المقدسة فيها »[1] .

وقام الصائغ بعمل الزينة للرأس ، ومنها التيجان ، وقد كان ملوك (الحيرة) يضعون التيجان على رؤوسهم . وقد ورد في شعر لمالك بن نويرة أن تاج النعمان بن المنذر كان من الياقوت والزبرجد والذهب ، وذلك في قوله :

لن يذهب اللؤم تاج قد حبيت به   من الزبرجد والياقوت والذهب[2]

ويبدو أن الصاغة بلغوا درجة ممتازة من الفن في الصنعة ، فقد ذكر أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فأمره النبي (ص) أن يتخذ أنفاً من ذهب . وقد روي عن غير واحد من أهل العلم أنهم شدُّوا أسنانهم بالذهب فأشار النبي (ص) إلى أن الذهب خاصيته أن لا ينتن[3] .

وهذا يدل على دقة الصنعة والاتقان ، لان صنع الأنف من الذهب وتركيبه في محله ليس مما يستطيعه كل عامل أو صانع . وتركيب الاسنان من

---

(1) جواد علي 7-567

(2) جواد علي 7-564 (الحاشية)

(3) الكتاني 2-65

الذهب دليل على أنهم كانوا على علم بجراحة الأسنان وإدراك لما للذهب من ميزات تؤهله لوضعه في فم الانسان .

2 ـ الفضة

الفضة من المعادن المعروفة ، والصريف الفضة الخالصة ، ويقال للفضة أيضاً اللجين ، يقول ابن جنى عن اللجين : « ينبغي أن يكون إنما الزموا التحقير هذا الاسم لاستصغار معناه ما دام في تراب معدنه فلزمه التخليص »(1) . قال عبيد بن الأبرص :

وَظِبَاءً كَأَنَّهُنَّ أَبَارِيقُ لُجَيْنٍ تَحْنُو على الأَطْفَالِ(2)

فهو يشبه الظباء بأباريق الفضة لطول أعناقها وحسنها وبياضها . ومن شعر عبيد هذا نستنتج أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يصنعون الأباريق من الفضة . وقال عنترة في معلقته :

بِزُجَاجَةٍ صفراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ في الشِّمَالِ مُفَدَّمِ(3)

أي أنه شرب الخمر بزجاجة صفراء ذات خطوط وإلى جانبها إبريق أزهر أي أبيض يعني من الفضة أو الرصاص .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يصف مجلساً في الجاهلية عند جبلة بن الأيهم : « وكان إذا جلس (جبلة) للشرب ، فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين ، وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب ، وأتى بالمسك الصحيح في صحاف الفضة »(4) .

---

(1) اللسان 13 -376

(2) ديوان عبيد ص ـ106

(3) الأنباري ـ هارون ص ـ338

(4) الأغاني 17 -166 مؤسسة جمال للطباعة والنشر / بيروت

وقال الأعشى :

والمكاكيك والصحاف من الفضّـــ ـــة والضامزات تحت الرجال[1]

ومن الرواية التي ذكرها صاحب الأغاني عن حسان ، ومن قول الأعشى يبدو لنا أن الجاهليين صنعوا أيضاً ، من الفضة ، بعض أنواع الآنية مثل الصحاف والمكاكيك وهي مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : « ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ، قواريراً من فضة قدّروها تقديرا »[2]

وقال المرقش الأصغر :

أرَتْكَ بِذَاتِ الضَّالِ منها مَعَاصِماً وَخَدّاً أسِيلاً كالوَذِيلَةِ ناعِما

والوذيلة مرآة الفضة ، وهذا يدل على أنهم كانوا يصقلون الفضة فتصبح كالمرآة الزجاجية وهو دليل على حسن الصنعة .

ويقول جواد علي : « وقد ألف أهل مكة وغيرهم استعمال الآنية المصنوعة من الذهب والفضة . . وعملت كؤوس الملوك وكبار الأغنياء من الذهب والفضة . . وصاغ الصياغ خرزاً من الفضة ، جعلوها على أمثال اللؤلؤ ، وعرفت عندهم باسم الجمان »[3] .

قال الحطيئة :

والمـاءُ يَرْكَبُ جانِبَيْهِ كَأنَّهُ قُشُبُ الجُمَانِ وطَرْفُهُ مَقْصُورُ

---

(1) ديوان الأعشى ص ـ167

(2) سورة الأنسان الآية ـ15 -16

(3) جواد علي 7-565ـ566

وقال أيضاً :

تَذَكَّرْتُهـا فأرفَضَّ دَمْعِي كَأنَّهُ   نَثِيرُ جُمَانٍ بَيْنَهُنَّ فَرِيدُ[1]

وقد صنع الصائغ الجاهلي الحلي من الفضة ، يدل على ذلك ما نجده في شعر شعرائهم . قال عبيد بن الأبرص :

وَسدْ تَبَطَّنْتُ مِثْلَ الـرِّيم إنسَةً   رُودَ الشبَّابِ كَعَابـاً ذات أوضاحِ[2]

فالأوضاح هي الحليّ من الفضة . وقد ورد ذكر الحلي من الفضة في القرآن الكريم في قوله تعالى : « وحُلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً »[3] .

وقام الصائغ بعمل قبيعة السيف من الذهب والفضة ، وزين السيوف بالذهب والفضة . . وقد أمدّ الهياكل بالتماثيل المصنوعة من الابريز وبالقناديل والمصابيح المصنوعة من الذهب والفضة[4] .

وقد استعمل الجاهليون الفضة في صناعة النقود ، وقد جاء في الأمالي : « . . قال وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال : المال عند العرب الإبل والغنم والفضة : الرِّقَةُ والـوَرِقُ . والذهب : النَّضْر والنَّضير والعِقْيان »[5] . والرِّقَةُ والـوَرِقُ الدراهم المضروبة . . وفي الحديث : « عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرِّقَـةِ » يريد الفضة والدراهم المضروبة منها[6] . « ومن المواضع التي عرفت بالفضة

---

(1) ديوان الحطيئة ص ـ29 و224

(2) ديوان عبيد بن الأبرص . ص ـ40

(3) سورة الانسان ـ الآية ـ21

(4) جواد علي 7-566 ـ وما بعدها .

(5) أبو علي القالي ـ الآمالي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ2-301

(6) اللسان 10-375

(عوسجة) في بلاد هذيل . ومعدن (شمام) ، معدن فضة ومعدن نحاس وصفر ، وكان به ألوف من المجوس الذين يعملون المعدن ، وكان به بيتا نار يعبدان . وقد ذكر (الهمداني) أن بـ (قرية المعدن) معدن فضة لا نظير له . وذكر صاحب كتاب بلاد العرب أن (خزبة) معدن من معادن اليمامة ، وكانت جبالها إنما هي فضة »[1] .

ومنطقة الجوف ومأرب (أرض سبأ) غنية بمناجم معادن الذهب والفضة . . كذلك منجم فضة في (السر) من أرض (مذحج)[2] .

3 ـ صناعة اللؤلؤ والمرجان

اللؤلؤ من الجوهر ، وهو الدرّ ، يستخرج من أصداف ، يحصل عليها الغواصون من قاع البحر . « والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس ، وإنما يكون في أول نيسان إلى آخر أيلول ، وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيها . . إذ كانت ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه ، وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد خارك وقطر وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر . . وتنازع الناس في كيفية تكوّنه ، ومن ذهب منهم الى أن ذلك من المطر ، ومن ذهب منهم إلى أن ذلك من غير المطر . وهناك صدف اللؤلؤ العتيق والحديث الذي يسمى بالمحار ، والمعروف بالبلبل ، واللحم الذي في الصدف والشحم ، وهو حيوان يفزع على ما فيه من اللؤلؤ والدر خوفاً من الغَاصةِ . كخوف المرأة على ولدها . . وان الغاصة لا يكادون يتناولون شيئاً من اللحمان إلاّ السمك والتمر ، وغيرهما من الأقوات ، وما يلحقهم ، وتشق اصول آذانهم لخروج النفس من هناك بدلاً عن المنخرين ، لأن

---

(1) جواد علي 7-514 وما بعدها .

(2) أهل اليمن ص ـ 53 عن الجوهرتين ص ـ 139-151

المنخرين يجعل عليهما شيء من الدبل وهو ظهور السلاحف البحرية . . ويجعل قطن في آذانهم فيه شيء من الدهن ، فيعصر من ذلك الدهن اليسير في الماء في قعره ، فيضيء لهم بذلك في البحر ضياءً بيناً ، وما يطلون به أقدامهم وأسواقهم من السواد خوفاً من بلع دواب البحر إياهم ولنفورها من السواد ، ويصيح الغاصة في قعر البحر كالكلاب ، ويخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح بعض »[1] .

ويقول صاحب كتاب تاريخ الاسلام : « وكانت السلع تحمل من جدة الى القطيف في إقليم البحرين ، حيث تنقل في القوارب مع اللؤلؤ الذي يستخرج من الخليج الفارسي إلى مصب الفرات »[2] ويقول صاحب تاريخ العرب : « وقد كانت في السابق مواسم الحج في الحجاز ومغاصات اللؤلؤ في عُمان ومنطقة الخليج العربي لا سيما البحرين ، ومعادن الملح في بعض البقاع ، وتربية الجمال ، موارد الدخل الرئيسية في البلاد » . ويتابع قائلاً : « فكان يرد اللؤلؤ من الخليج العربي الى اليمن »[3] .

أما الدكتور جواد علي فانه يقول: « والدرة ، اللؤلؤة العظيمة ، ويستخرج اللؤلؤ من الخليج ، وقد اشتهرت البحرين به منذ أيام ما قبل الاسلام »[4] . كما أن الدكتور عبد العزيز سالم يقول نقلاً عن مروج الذهب ـ : « كان أهل عمان والبحرين وقطر يشتغلون بالغوص على اللؤلؤ » . ويقول : وبالاضافة الى قيام أهل اليمن بتصريف منتجاتهم

---

(1) المسعودي ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ دار الفكر بيروت1 -148 ـ149

(2) د . حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام ـ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة السابعة ص ـ62

(3) د . حتي ورفاقه ص ـ50 -81

(4) د . جواد علي 7 -520

الوطنية ، فقد كانوا يعملون وسطاء للتجارة بين الهند وبلاد العراق والشام ومصر ، فعن طريق اليمن كانت لآلىء الخليج الفارسي ، والتوابل والسيوف الهندية والحرير الصيني والعاج والذهب الأثيوبي ، تصل إلى مصر والشام والعراق »[1] .

ويقول صاحب أسواق العرب في الجاهلية وهو يتحدث عن هجر : « وهي أرض البحرين عامة ، ولأهلها أسباب أخر للمعاش غير التجارة ، كالغوص على اللؤلؤ . وفي مكان آخر يتحدث عن عدن فيقول : وبها مغاوص اللؤلؤ ، بقيت على شأنها هذا حتى الاسلام »[2] .

نستنتج مما أورده هؤلاء المؤرخين أن منطقة الخليج العربي وبصورة خاصة منها منطقة البحرين كانت المصدر الرئيسي لتصدير اللؤلؤ ، وكذلك منطقة قطر ، وعمان في أقصى الجنوب الشرقي وعدن في أقصى الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب ، وكان يصدّر اللؤلؤ من الخليج الى مصب الفرات ومنه إلى المناطق المجاورة . ومن الخليج أيضاً كان يصدّر الى اليمن ومنها إلى مصر والشام والعراق .

وعملية استخراج اللؤلؤ ، من أعماق البحار ، لا شك أنها كانت تتم بطريقة بدائية ، لعدم توفر الأجهزة المعروفة حالياً . فأهالي البحرين مثلاً ، حيث يعيشون في جزيرة تحيط بها المياه من جميع جهاتها فانهم غالباً يقضون معظم أوقاتهم على السواحل ويتعودون منذ نعومة أظفارهم على الغوص ، خاصة وان للغوص فوائد مادية كبيرة حيث أضحى المورد الرئيسي

---

(1) د . عبد العزيز سالم ـ تاريخ العرب في العصر الجاهلي ـ دار النهضة ـ بيروت ـ 1970 ص ـ 116

(2) سعيد الأفغاني ـ أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ـ دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ـ 1974 ـ ص ـ 245 و269

للعيش الى جانب المورد التجاري . فكان الغواص يفتش عن الصدف الذي ألف وجود اللؤلؤ بداخله فينزعه من مكانه ويخرج به إلى سطح الماء أو إلى الشاطىء حيث يخرج اللؤلؤة من داخل الصدفة، وهذا ابن أحمر يصف لنا غواصاً من هؤلاء أثناء عملية الغوص فيقول :

فأرْسَلَ نَفْسَهُ عَبَدا عَلَيْها وكَانَ بنفسِهِ أرِبا ضَنِيناً(1)

أي أنف أن تفوته الدرة ، فهو يجاذف بحياته كي يحصل عليها . أما قيس بن الخطيم فانه وهو يصف محبوبته يقول :

كَأنَّها دُرَّةٌ أحَاطَ بِها الـ ـغوَّاصُ ،يجْلو عن وجهها الصَّدَفُ(2)

فهو يشبهها بالدرّة ، وهي اللؤلؤة الكبيرة ، وأن الصدف قد انفرج عنها ، وأن غشاءه قد انكشف فأبرز وجهها وأظهره وجلاه .

أما المخبل السعدي فانه يكمل لنا الصورة بقوله :

أغْلَى بِها ثَمَناً ، وجاءَ بها شَخْتُ العظام كأنَّهُ سَهْمُ
بِلَبَانِهِ زَيْتٌ ، وأخْرَجَها مِنْ ذِي غَوَارِبَ وَسْطَهُ اللُّخْمُ(3)

بعد عملية الغوص والحصول على الصدف الذي نزعه ونزع غشاءه وجد الغواص في داخلها درة فأسرع كالسهم ليبيعها بثمن غال ، وهذا الغواص ، دقيق العظام ، جعل الزيت على صدره لجفوفة ماء البحر وملوحته ، ولم تكن عملية حصوله على تلك الدرة سهلة لأنه اقتحم الأمواج العالية وكان يحيط به سمك كبير يقال له القرش وهو خطر . إذا كان المخبّل

---

(1) اللسان 3-275

(2) ديوان قيس بن الخطيم ـ دار صادر ـ ص ـ111

(3) المفضليات ص ـ115

أتم لنا الصورة التي نحن بحاجة إليها لنتعرف على عملية الغوص على اللؤلؤ وكيفية الحصول على الدرّة وفرح الغواص بها ووصف الغواص ، إنما هو في الأصل يصف وجه صاحبته الذي هو كالدرّة الكبيرة التي أغلى بها ثمناً . .

وقد ورد ذكر اللؤلؤ في القرآن الكريم بقوله تعالى : « يحلّوْن فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير »[1] . يتبين لنا من هذه الآية الكريمة أن اللؤلؤ يدخل في صناعة الحلي ومنها الأساور .

وقال طرفة بن العبد :

وفي الحـي أحْـوى يَنْفُضُ المَرْد شادِنٌ
مُظاهِـرُ سِمْطَـيْ لُؤلـؤ وَزَبَرْجَدِ[2]

والسمط الخيط ما دام فيه الخرز . . وإذا كانت القلادة ذات نظمين فهي ذات سمطين ، واستشهد صاحب اللسان بهذا البيت من الشعر لطرفة[3] . وعليه فان اللؤلؤ يدخل في صناعة القلائد .

وقال الأعشى :

يَطُوفُ بها ساقٍ علينا مُتَوَّمٌ خفيفٌ ذَفِيفٌ ما يَزَالُ مُفَدَّمَا[4]

فالمتوم هنا ، الواضع في أذنيه تومتين أي لؤلؤتين وعليه نستنتج أن اللؤلؤ من حلي الأذن .

وإذا كانت اللؤلؤة كبيرة ، يقال لها الدرّة ، فالدرّة هي اللؤلؤة

---

(1) سورة فاطر . الآية ـ33

(2) الأنباري ـ هارون ص ـ139

(3) اللسان 7-322

(4) ديوان الأعشى ص ـ186

العظيمة ، قال ابن دريد : هو ما عظم من اللؤلؤ ، وأنشد أبو زيد للربيع بن ضبع الفزاري :

كأنَّها دُرَّةٌ مُنَعَّمَةٌ في نِسْوَة كنّ قَبْلَها دُرَرَا[1]

وقال عمرو بن الأطنابة الخزرجي وهو يصف القيان :

إنَّما هَمُّهُنَّ أنْ يَتَحَلَّيْـ ـنَ سُمُوطاً وسُنْبلاً فارِسِيًّا
مِنْ سُمُوطِ المرْجَانِ فُصّل بالدُّ رِّ فأحْسِنْ بِحَلْيِهِنَّ حُلِيًّا[2]

وقال عنترة :

كالدُّرِّ أوْ فَضَضِ الجُمَانِ تَقَطَّعَتْ مِنْهُ عَقَائِدُ سِلْكِهِ لَمْ يُوصَلِ

فهو يشبّه الدموع بالدرّ أو حب الجمان المتفرّق .

وقال أيضاً :

وإنْ يَعِيبُوا سَوَاداً قَدْ كُسِيتُ بِهِ فالدرُّ يَسْتُرُهُ ثَوْبٌ من الصَّدَفِ[3]

ويقال لصغار اللؤلؤ ، الشَّذْرُ ، واحدته شَذْرَةٌ وأنشد شَمِرٌ للمرار الأسدي يصف ظبياً :

أتَيْنَ على اليَمينِ ، كأنَّ شَذْراً تَتَابَعَ في النِّظامِ له ذليل[4]

وقال امرؤ القيس :

غَرَائِرُ في كِنٍّ وَصَوْنٍ ونِعمَة يُحَلَّيْنَ ياقُوتاً وشَذراً مُفَقَّرا[5]

---

(1) اللسان 4-282
(2) الأغاني 11-121 مؤسسة جمال - بيروت
(3) ديوان عنترة ص - 57 و172 دار صعب
(4) اللسان 4-399
(5) ديوان امرىء القيس ص - 92 - دار صادر

الغرائر أي الشابات اللواتي لا تجربة لهن ، مفقراً أي مثقوب للنظم في الأسلاك ، وهذه العملية يقوم بها الصائغ .

كما أن صغار اللؤلؤ يقال لها أيضاً المرجان(1) . وقد جاء في التنزيل : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » و « كأنهنّ الياقوت والمرجان »(2) .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

قَدْ دَنَا الفِصْحُ فالولائِدَ يَنْظِمْـ   ـنَ سِراعاً أكِلَّةِ المَرْجانِ(3)

4 ـ صناعة الخرز والعقيق والجزع : (الأحجار الكريمة)

الخرز : فصوص من حجارة واحدتها خَرَزَةٌ(4) .

والعقيق : خرز أحمر يتخذ منه الفصوص ، الواحدة عقيقة(5) .

والجِزْعُ والجَزْعُ : ضرب من الخرز ، وقيل : هو الخرز اليماني ، وهو الذي فيه بياض وسواد تشبّه به الأعين(6) .

قال المرقش الأصغر :

تَحَلَّيْنَ ياقُوتاً وشَذْراً وصِيغَةً   وجَزْعاً ظَفارِيّاً ودُرّاً تَوائِمَا(7)

إن المرقش هنا ينسب الجزع الى ظفار ، وظفار عاصمة حمير ، وقد اشتهرت بجزعها ، ولا تزال تشتهر به . وقد تفنن الحميريون في تجميله

---

(1) القاموس المحيط1 -214

(2) سورة الرحمن الآية ـ22 و58

(3) ديوان حسان ص ـ253 دار صادر

(4) اللسان5 -344

(5) اللسان10 -260

(6) اللسان8 -48

(7) المفضليات ص ـ245

بحفر صور ونقوش لحيوانات ونباتات وأزهار عليه ، وفي صقله ، ويستعمل عقداً يوضع حول العنق وخاتماً لتزيين الأصابع[1] . وفي حديث عائشة ، رضي الله عنها : انقطع عِقْد لها من جزع ظفار[2] . قال عنترة :

ودِماؤُهُمْ فوقَ الدُّرُوعِ تَخَضَّبت مِنْها فَصَارَتْ كالعقيقِ الأحمرِ[3]

ويقول جواد علي : « وعرفت اليمن بالعقيق ، تتخذ منه الفصوص ، يؤتى به من (مقرى) على مرحلة من صنعاء ، وهو أجود من عقيق غيرها ، ويوجد عقيق آخر يستورد من (الشحر) ، وذكر أنه يستخرج من جبل (شبام) . ومن (الهام) و (الهان) و (شهارة) و (قساس) ، وذكر الهمداني أن العقيق الأحمر ، والعقيق الأصفر العتيقين من (الهان)[4] . ويتبيّن لنا أن للعقيق ألوان منها الأحمر ومنها الأصفر وربما غيره ، ولذلك ذكر لنا عنترة لون العقيق .

ويقول عبد العزيز سالم : « وأجود العقيق ما استخرج من معدن يسمى (مقرى) وقرية يقال لها (الهام) ومن جبل (قساس) ، فيصنع بعضه باليمن ويحمل بعضه الى البصرة »[5] . وهنا يجدر بنا أن نتساءل ولماذا الى البصرة دون سواها من البلدان وخاصة أن اليمن كانت على علاقات تجارية مع الشام ومصر والهند وغيرها .

ويتابع قائلاً في نفس المكان : « ومن الأحجار النفيسة معدن الجزع

---

(1) جواد علي 2-527

(2) اللسان 8-48

(3) ديوان عنترة ص ـ154

(4) جواد علي 7-518 وما بعدها .

(5) تاريخ العرب ص ـ119

وهو يشبه العقيق بل هو نوع منه ، وأجود الجزع البقراني ومن الجزع أيضاً أنواع منها العرواني ، والفارسي والحبشي ، والعشاري ، والسعواني ، والبلور ، والمعسل ، والمعرق ، والمعرق من الجزع تتخذ منه الأواني لكبره » .

ويقول صاحب كتاب أهل اليمن في صدر الاسلام : « . . كما أشارت المصادر الى مغارة (سيّة) كواحدة من مغاور المعادن في ذمار . وتكثر فيها معادن العقيق والجزع وأشهر مناطق استخراجه منطقة صنعاء في الهان ومقري وشهارة وظفار قرب صنعاء . ويستخرج من هذه المنطقة أيضاً العقيق الأحمر والأصفر والجزع بأنواعه المتعددة ، كالجزع النقمي في نقم وضهر وسعوان والسر وفي عذيقة والشزب جنوب صنعاء . والجزع السماوي أو العشاري في وادي عشار قرب صنعاء . والجزع البقراني في أنس وأشهره المثلث الأولوان ، وهو أن يكون وجهه أحمر فوق عرق أبيض فوق عرق أسود وتعمل منه الفصوص الغالية للطبقة الثريّة »[1] .

ومن هذا الكلام يبدو لنا وكأن المنطقة المحيطة بصنعاء كانت عبارة عن معدن للعقيق والجزع . وحيث أنه كان على هذه الدرجة من الوفرة ، فلا شك أنه كان هناك قسم كبير من الناس يعملون في تعدينه وتصنيعه والاتجار به محليّاً وخارجياً .

وهناك أيضاً حمير التي استغلت امكانات منطقتها وما فيها من ثروة معدنية وزراعية وحيوانية ، فازدهرت فيها الصناعة وقامت صناعات معدنية

---

(1) د . نزار عبد اللطيف الحديثي ـ أهل اليمن في صدر الاسلام ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ 1978 ـ ص ـ 41.

متعددة كصناعة الخرز والفصوص من العقيق والجزع والذهب في صنعاء وظفار »[1] .

هذا وقد أشير الى الجزع في شعر امرىء القيس حيث يقول :

فَأَدْبَرْنَ كالجَزْعِ المفَصَّلِ بينهُ بِجِيدِه مُعَمٍّ في العَشِيرَةِ مُخْوَلِ

وقوله أيضاً :

كأنَّ عيونَ الوحشِ حولَ خِبائِنا وأَرْحُلِنا الجزعُ الذي لم يُثَقَّبِ[2]

يشبه امرؤ القيس عيون الوحش في بياضها وسوادها ولمعانها بالجزع الذي يحتوي على هذه الصفات وقوله لم يثقب ، دليل على كبر حجم القطعة من الجزع أي قبل انتهاء عملية تصنيعها ، إذ بعدها تمر بعملية ثقبها لاعدادها في وضعها في الاسلاك الخاصة كي تستعمل في الحلي وأدوات الزينة . وربما كان الخرز من النوع الرديء وحينها يستعمل في تزيين بعض الأدوات كالمزادة ونحوها ، قال ذو الرمة :

وفراءَ غَرْفِيَّةٍ أثْأَى خَوارِزَها مُشَلْشَلٌ ضَيَّعَتْهُ بينَها الكُتَبُ[3]

الوفراء الغرفية هي المزادة المدبوغة بالغرف ، أفسد الماء خرزها ، والكتب أي الخرز .

5 ـ الياقوت والزبرجد :

ورد ذكر الياقوت والزبرجد في شعر الكثيرين من شعراء العرب

---

(1) المصدر السابق ص ـ42.

(2) ديوان امرىء القيس ص ـ57 و70

(3) اللسان 5 -288

الجاهليين منهم امرؤ القيس الذي ذكر الياقوت حيث يقول :

غرائِــزُ في كِنٍّ وَصَــوْنٍ ونِعْمَة يُحَلَّيْنَ ياقُوتــاً وشَــذْراً مفقَّرا(1)

ومن قول امرىء القيس نستنتج أن الياقوت من الجوهر يُصَنَّع ويُثَقَّب للحلي وأدوات الزينة . وقد جاء في قاموس المحيط : « الياقـوت : من الجوهر معرب أجوده الأحمر الرماني نافـع للوسـواس والخفقـان وضـعف القلب »(2) .

ويقول جواد علي : « وأما الياقوت فأجوده الأحمـر الرمانـي ، وقـد استورد من سرنديب (سيلان) »(3) .

ويقول ياقوت : « وفي سرنديب جبل يراه البحريون من مسافـة أيام كثيرة . . ويقال : إن الياقوت الأحمر يوجد على هذه الجبال تحدره السيول والأمطار الى الحضيض فيلقط »(4) .

وقد جاء في القرآن الكريم : « كأنهن الياقوت والمرجان »(5) . وجاء في تفسير الجلالين كأنهن الياقوت صفاء ، مما يدل على أن الياقوت مشهور بنقائه وصفائه .

وهذا قيس بن الخطيم يشير الى ذلك حيث يقول :

وجيه كجيدِ الرِّئـمِ صافٍ ، يَزِينُهُ تَوَقُّـدُ ياقُـوتٍ وفَصْـلِ زَبَرْجَدِ(6)

---

(1) ديوان امرىء القيس ص ـ92

(2) قاموس المحيط1 -167

(3) جواد علي7 -520

(4) معجم البلدان3 -216

(5) سورة الرحمن الآية ـ58

(6) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ125

وإن كلمة توقّد تعني الصفاء وشدة اللمعان . أما الأعشى فانه وهو يمدح هوذة بن عليّ يقول :

له أكاليلُ بالياقوتِ فصّلَها صَوّاغُها لا ترى عيباً ولا طَبَعا[1]

وإذا كان مصدر الياقوت الرئيسي هو (سرنديب) ، كان التجار يجلبونه الى الأرض العربية ، فمن يصنع الأكاليل من الياقوت التي يشير إليها الأعشى ، من المرجح أن الصوّاغين العرب الجاهليين هم الذين كانوا يصنعونها .

والزبرجد ، جوهر ، وقد لقّب به قيس بن حسان لجماله[2] . وقد ذكره قيس ابن الخطيم في شعره الذي ذكرناه قبل قليل . وذكره طرفة بن العبد حيث يقول :

وفي الحيّ أحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شادِنٍ
مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لؤلؤ وَزَبَرْجَدِ

فهو يقول أنها تلبس عقدين أحدهما من اللؤلؤ والآخر من الزبرجد وهذه إشارة الى أن الصواغ الجاهليين كانوا يصنعون الحلي من الزبرجد تتزين به نساؤهم .

6 ـ صناعة النقود :

عثر الباحثون على نماذج من نقود جاهلية تعود إلى عهود مختلفة في مواضع متعددة مختلفة من جزيرة العرب . . وقد استعمل أهل الجاهلية في العربية الجنوبية النقود في معاملاتهم ، استعملوا نقوداً سكّت من ذهب ،

---

(1) الأنباري ـ هارون ص ـ594

(2) قاموس المحيط1 -308

ونقوداً سكّت من فضة ، وأخرى سكّت من نحاس ومن معادن أخرى ، وقد عثر على نماذج من كل نوع من هذه الأنواع ، كما تعاملوا بالنقود الأجنبية كذلك ، مثل النقود اليونانية والرومانية والمصرية والحبشية والفارسية(1) .

وكانوا يتبايعون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم ، وهو الرطل الذي هو اثنتا عشرة أوقية . والأوقية هي أربعون درهماً(2) .

ونجد في كتب الحديث رواية تذكر أن أول من ضرب الدينار (تبّع) ، وهو (أسعد بن كرب) وأن أول من ضرب الفلوس وأدارها بين أيدي الناس : (نمروذ بن كنعان)(3) .

ويلاحظ وجود أثر للسكة اليونانية والساسانية على السكة العربية الجنوبية ، منها وجود صورة (البوم) رمز (أثينة) مطبوعاً على النقود العربية ، فكأنما أخذ عمال ضرب النقود قالباً للنقد اليوناني ، ثم حفروا عليه حروف المسند وضربوه »(4) .

وكان الخلفاء الأولون يستخدمون النقود البيزنطية والفارسية حتى تولى الخلافة عبد الملك بن مروان فسك في عام ـ695 عملة عربية من الذهب هي الدينار وأخرى من الفضة هي الدرهم »(5) .

وقد ورد ذكر الدينار في القرآن الكريم ، بقوله تعالى : « ومنهم من إن

---

(1) جواد علي 7-487
(2) نفس المصدر 7-489 الحاشية عن الأحكام السلطانية ـ159 . اللسان 11-286
(3) جواد علي 7-490 عن مسند أبي حنيفة ص ـ163
(4) جواد علي 7-493
(5) قصة الحضارة 13-110 ـ ول ديورانت ـ ترجمة محمد بدران ـ الطبعة الثانية 1964

تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائماً »[1] . وأشير الى الدرهم أيضاً : « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الزاهدين »[2] .

وقد قال عامر بن الطفيل :

سُودٌ صَنَاعيةٌ إذا ما أوْرَدُوا صَدَرَتْ عَتُومُهُمُ ، وَلَمَّا تُحْلَبِ

الأزهري : صناعية الذين يصنعون المال ويسمِّنون فصلانهم ولا يسقون ألبان إبلهم الأضياف[3] .

وقد عرف المشتغلون بالمعادن طريقة خلط المعادن ، فاستعملوها في أغراض شتى ، فخلطوا بين الفضة والرصاص أو النحاس في صنع (النمي) وهي الفلوس ، وكانت في الحيرة على عهد النعمان بن المنذر »[4] .

ويقول صاحب كتاب حضارة العرب : « . . واشترى (مسيو شلو مبرجر) في القسطنطينية حديثاً مئتي قطعة من نقود ملوك اليمن التي اكتشفها عربيٌ في صنعاء فترجع في قدمها إلى ما قبل الميلاد ، فلهذه النقود ، التي لم يوجد منها قبل ذلك في جميع المتاحف الأوروبية سوى قطعتين أو ثلاث قطع ، أهمية خاصة ، فعلى أحد وجهيها صورة جانبية لملك متوّج يذكّرنا شعره المضفور ، بضفائر ملوك الرعاة الذين خرجوا من بلاد العرب وملكوا مصر زمناً طويلاً . . وعلى الوجه الآخر صورة بومة »[5] .

---

(1) سورة آل عمران الآية (75) .

(2) سورة يوسف الآية (20) .

(3) اللسان 8-211

(4) جواد علي 7-569

(5) غوستاف لوبون ـ حضارة العرب ـ ترجمة عادل زعيتر ـ دار احياء التراث العربي ـ الطبعة الثالثة ـ 1979 ـ ص ـ121

ويقول جواد علي : « وقد عرف المعينيون النقود ، وضربوها في بلادهم ، فقد عثر على قطعة نقد هي (دراخما) أي درهم عليها صورة ملك واسمه (اب يتع) . . دلالة على أنه الآمر بضرب تلك القطعة ، ويعود تاريخه الى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد . . وأنه مضروب ضرباً متقناً ، وحروفه واضحة جلية دقيقة دقة تبعث على الظنّ بوجود خبرة سابقة ودراية لعمال الضرب . . ومن مدن قتبان ، مدينة (حرب) ، وهي (حريب) . وقد ذكرت في الكتابات ، واشتهرت عند الباحثين بالنقود التي تحمل اسمها لأنها فيها ضربت »[1] .

وقد ورد ذكر تلك الأنواع من النقود على ألسنة الشعراء الجاهليين ، قال الشمّاخ :

وبُـرْدَانِ من خالٍ وتِسْعـونَ رِدْهماً   على ذاكَ مَقْروظٌ من الجِلْدِ ماعزُ[2]

وقال الأسود بن يعفر الهشلي :

مِنْ خَمْـرِ ذِي نَطَفٍ أغَـنَّ مُنَطَّقٍ   وَافَـى بِهَـا لِدَرَاهِـمِ الإِسْجَادِ

دراهم الإِسجاد ، المقصود فيها دراهم الأكاسرة ، كانت عليها صور يكفرون لها ويسجدون[3] .وهذه الدراهم التي يشير اليها الأسود ، إما أن تكون أصلاً فارسية ، وهذا الأرجح ، ومتداولة عند العرب الجاهليين ، وربما كانت عربية وقلّدوا الفارسيين في صناعتها .

وهناك الدراهم العبْدِيَّة ، وهي أفضل من الدراهم العاديّة وأكثر

---

(1) جواد علي 2-112 و230

(2) الجمهرة ص ـ298

(3) نفس المصدر ص ـ218

وزناً ، ولم يشر صاحب اللسان حيث ورد ذكرها الى مصدرها ولا الى سبب هذه التسمية[1] .

ويقال للدراهم (الورق) . قال الحطيئة :

يَطيرُ مَرْوُ ليانٍ عن مَنَاسِمِها   كما تَطَايَرَ عنـدَ الجَهْبَـذِ الوَرَقُ[2]

يقول أن حجارة (ليان) اسم أرض تتطاير من مناسم ناقته ، كما تتطاير الدراهم من يدي الصيرفي ، ومنه يتبيّن لنا أن المعاملات النقدية كانت متطورة لدرجة وجود صيارفة أي أناس يعملون بالصيرفة .

وفي حديث عمر ، رضي الله عنه ، أنه قال : « من زافت عليه دراهمه فليأت بها السوق وليشتر بها ثوب سحق ولا يحالف الناس أنها جياد »[3] .

ويقول صاحب التراتيب الإدارية : « إن الدراهم كانت على عهد (الرسول) عليه السلام ، على نوعين ، السوداء الدامية ، وزن الدرهم منها ثمانية دوانق ، والطبرية ، وزن الدرهم منها بأربعة دوانق . . وقال ابن عبد البر في التمهيد : كانت الدنانير في الجاهلية وأول الاسلام ، بالشام وعند عرب الحجاز كلّها رومية تضرب ببلاد الروم عليها صورة الملك واسم الذي ضربت في أيامه ، مكتوبة بالرومية . وكانت الدراهم بأرض العراق وأرض المشرق كلها كسروية عليها صورة كسرى واسمه فيها مكتوب بالفارسية . . ضرب عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم سنة ـ75 ـ هـ وهو أول من أحدث ضربها ونقش عليها [4] .

---

(1) اللسان 3 -276

(2) ديوان الحطيئة ص ـ265

(3) اللسان 10 -153

(4) الكتّاني 1 -413

إن صاحب هذه الرواية لم يذكر لنا العملة التي كانت متداولة في جنوب الجزيرة العربية ، فربما كانت عربية ، لأنه كما سبق وذكرنا ، عمل أهل الجنوب على سك النقود منذ وقت مبكّر جداً .

ويبدو أنهم كانوا يسمون كيس الدراهم (بدرة) والأغلب أنه كان يحتوي على عدد معين من الدراهم ، يقول صاحب اللسان فيه ألف أو عشرة آلاف[1] .

وقد ورد ذكر البدرة في شعر عنترة حيث يقول :

أَلَذُّ عندي مما حَوَتْهُ يَدِي مِنَ الَّلآلي والمالِ والبِدَر[2]

أما نابغة بني جعدة فانه يذكر لنا الدنانير الرومية حيث يقول :

كُهُولاً وشُبَّاناً ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ دنانيرُ مِمَّا شِيفَ في أرضِ قَيْصَرَا[3]

وورد ذكر الدنانير في شعر المرقّش الأكبر حيث يقول :

النَّشْرُ مِسْكٌ، والوجوهُ دنا نيرُ وأطرافُ البَنَانِ عَنَمْ[4]

فهو يشبّه اشراقة الوجوه بالدنانير ، مما يوحي بأن الدنانير التي كانوا يستعملونها ذهبية .

أما قيس بن الخطيم فيقول :

وَوَجْهاً خِلْتُهُ لما بَدَا لي غَدَاةَ البَيْنِ ديناراً نَقِيدَا[5]

---

(1) اللسان 4-49

(2) ديوان عنترة ص ـ156

(3) الجمهرة ص ـ275

(4) المفضليات ص ـ238

(5) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ146

ويقصد بالدينار النقيد الذي أخرج منها الزيف ، أي أنه من الذهب الصافي . ومن كتاب أسواق العراب يتبيّن لنا أن العرب في العصر الجاهلي استعملوا إلى جانب الدرهم والدينار في معاملاتهم وبيوعهم ، المكاييل والأوزان من الذهب منها الرطل والأوقية ، يقول صاحبه : « . . يذكر الرواة أن عبد المطلب أمهر إمرأته ، فاطمة بنت عمرو ، مئة ناقة ومئة رطل من الذهب »[1] ويذكر أنه : كان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد أدم ، فيه ذكر حق عبد المطلب ابن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل ؟ صنعاء ، عليه ألف درهم كيلاً بالحديدة ، ومتى دعاه بها أجابهُ ، شهد الله والملكان »[2] . وربما كان المقصود بكلمة (كيلاً) هنا ، أي وزناً ، لأنه يقال : كِلْ هذه الدراهم ، يريدون زِنْ . وروي عن النبي ، (ص) ، أنه قال : المِكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة ؛ قال أبو عبيدة : يقال أن هذا الحديث أصل لكل شيء من الكيل والوزن . . وأما الوزن فيريد به الذهب والفضة خاصة لأن حق الزكاة يتعلق بهما ، ودرهم أهل مكة ستة دوانيق ، ودراهم الإسلام المعدّلة كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عند مقدم سيدنا رسول الله « ص) ، بالعدد فأرشدهم الى وزن مكة . وأما الدنانير فكانت تحمل الى العرب من الروم الى أن ضرب عبد الملك بن مروان الدينار في أيامه ، وأما الأرطال والأمناء فللناس فيها عادات مختلفة في البلدان وهم معاملون بها ومُجْرَوْنَ عليها[3] .

يقال لما وفد إلى النبي (ص) عطارد بن حاجب بن زرارة وهو رئيس

---

(1) سعيد الأفغاني ص - 108 عن إنسان العيون 1 -48

(2) نفس المصدر ص -109 الحاشية عن فهرست ابن النديم ص -7

(3) اللسان 11 -605

تميم ، وأسلم على يديه ، أهدى للنبي (ص) الحلة التي كان قد كساه بها كسرى ، فلم يقبلها ، فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم[1] . وهذا دليل أيضاً على أن الدرهم ظل يستعمل في عهد النبي (ص) أيضاً .

ويروى أن رسول الله (ص) أخذ من العباس الفداء يوم بدر فكان مقداره عشرين أوقية من ذهب[2] . وقد ورد ذكر (الأواق) في شعر الشمّاخ حيث يقول :

فقال : إزَارُ شَرعبيّ ، وأربعُ ... من السِّيَراءِ ، أو أواقٍ نَوَاجِزُ
ثمانٍ منَ الكُوريّ حمر ، كأنّها ... من التِّبر ما أذكى عنِ النَّارِ خابِزُ

فهو يقصد ثمان أواق من الذهب الأحمر الخالص .

مما تقدم نستنتج أن العرب الجاهليين عرفوا صناعة سك النقود من الذهب ، والفضة والنحاس وتعاملوا أيضاً بالنقود الأجنبية خاصة منها الرومية والفارسية وتبايعوا بالأوزان منها الرطل والأوقية ، واستعملوا الدينار والدراهم بأنواعها والفلوس والدوانق .

ويبدو أن العربية الجنوبية ، وخاصة مدينة (حريب) القتبانية ، كانت متميزة عن غيرها من بقية أقطار الجزيرة العربية بصناعة النقود .

---

(1) ابن عبد ربّه ـ العقد الفريد ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت 2-20
(2) سعيد الأفغاني ص ـ 140

الفصل الرابع

الدباغة والحرف الجلدية

1 ـ الدباغة :

تعريف

الدباغة هي دبغ الإهاب بما يدبغ به . والاهاب الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ . . وفي الحديث : أيُّما إهاب دُبِغَ فقد طَهُرَ[1] . وقد استخدم الدباغون في ذلك مواد مختلفة ، بعضها بدائية ، وعالجوا الجلد قبل دبغه لترقيقه وتنظيفه وصقله . وقد اشتهرت في ذلك جملة مواضع ، في العصر الجاهلي ، منها : مدينة جرش ، وهي من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقد نسب اليها الأدم المعروف بـ (أدم جرش) ، و (أدم جرشي) ، وهي مدينة تسقى بالآبار . . ومنها صعدة في مخلاف خولان ، وكانت تسمّى في الجاهلية (جماع) ، وذكر الهمداني أنها كورة بلاد خولان وموضع الدباغ في الجاهلية ، وذلك أنها في موسط بلاد القرظ[2] .

ويقول الحديثي : واشتهرت صعدة بانتاج جلود الأبقار وأكثر ما

---

(1) اللسان 1 -217

(2) جواد علي7-537

استخدمت في انتاج أديم الكتابة المعروف بالأديم الخولاني[1] .

ويقول ياقوت : وصعدة مدينة عامرة آهلة يقصدها التجار من كل بلد ، وبها مدابغ الأدم وجلود البقر التي للنعال[2] .

وقد اشتهرت اليمن بدباغة الجلود وبالاستفادة من هذه الجلود في أغراض مختلفة ، وبتصدير الجلود إلى أماكن أخرى من جزيرة العرب . . وقد ذكر (ابن المجاور) أن الأديم يدبغ في جميع إقليم اليمن والحجاز ، وأنهم يبيعونه طاقات بالعدد ، وقد اشتهرت مكة بدبغ الجلود كذلك ، جلود الجمال والبقر والغزلان[3] .

ويقول عبد العزيز سالم : ومما عرفت به اليمن صناعة الجلود المعروفة بالأدم أو الأنطاع وصباغتها وذلك في صنعاء ونجران وجرش وصعدة وزبيد[4] .

وقد استغلت (حمير) الثروة الحيوانية في منطقتها فكانت تنتج الجلود واشتهرت بعض المناطق مثل المعافر وجبلان بانتاج أنواع متعددة من جلود البقر والحمير . ومن المعلوم أن للجلود استعمالات متعددة . وكانت تصدر بعد دبغها ، أوبعد أن تصنّع في انتاج الأحذية والسروج وأدم الكتابة وجلود الأفرشة والدروع وغيرها ، ومن أشهر مراكز صناعة الجلود مدينة صنعاء التي عرفت بانتاج النعال المشعرة . وتصنع النعال الترخمية في قرية

---

(1) أهل اليمن ص ـ48

(2) معجم البلدان 3-506

(3) جواد علي7-538 عن ابن المجاور القسم الأول ص ـ13 .

(4) عبد العزيز سالم ـ تاريخ العرب في العصر الجاهلي ـ دار النهضة ـ1970 ص ـ120 عن ابن حوقل ص ـ 43

(خاو) على وادي (بنا) . ولكثرة من اشتغل من (حمير) بصناعة الجلود وصفت القبيلة بكثرة الخرازين فيها [1] .

وقد اشتهرت الطائف بدباغة الجلود ، وذكر أن مدابغها كانت كثيرة ، وأن مياهها كانت تنساب الى الوادي فتنبعث منها روائح كريهة .

يقول ياقوت : « والطائف بليدة صغيرة على طرف واد ، وهي محلّتان : إحداهما على هذا الجانب يقال لها طائف ثقيف ، والأخرى على هذا الجانب يقال لها الوَهْط ، والوادي بين ذلك تجري فيه مياه المدابغ التي يدبغ فيها الأديم يصرع الطيور رائحتها إذا مرت به » [2] .

ويقول صاحب تاريخ الاسلام : « وكان النعمان بن المنذر ، ملك الحيرة ، يبعث بسوق عكاظ في كل عام لطيمة (عير تحمل البر والمسك من العراق وجزيرة العرب) في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك ويشتري له بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج اليه [3] .

وعرفت حضرموت بنعالها ، فقيل نعل حضرمي ، وعرفت بأنها النعال المخصّرة التي تضيق من جانبيها ، كأنها ناقصة الخصرين ، وفي حديث مصعب بن عمير : أنه كان يمشي في الحضرميّ ؛ هو النعل المنسوبة الى حضرموت المتخذة بها [4] .

وجاء في اللسان حيث تحدث عن (الأفيق) : « . . وقيل هو ما دُبِغَ

---

(1) الحديثي ص ـ42 عن الأعلاق النفيسة ـ112 .

(2) معجم البلدان 4 -9

(3) حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام ـ مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة السابعة ـ1964 1 -58

(4) اللسان 4 -202

بغير القرظ من أدبغة أهل نجد مثل الأرطي والحلّب . . الخ[1] . ومعنى ذلك أن أهل نجد كانوا يشتغلون بالدباغة أيضاً .

وعليه يبدو لنا أن الدباغة كانت حرفة مهمة عند العرب الجاهليين ، اشتهرت بها أماكن متعددة من جزيرة العرب ، وهي صناعة تقوم على أساس إصلاح الجلد وإبعاد الصوف والشعر عنه ، للاستفادة منه في أغراض نافعة .

وقد استخدم الدباغون موادّ مساعدة تعين على نتف الصوف والشعر من الجلد بسهولة ، وبدون أذى لهم أو للجلد مثل مادة (الجير) أو مواد أخرى ، كما استعملوا مواد تساعد على حفظ الجلد ومنعه من التلف لدبغه مثل العفص وغيره من مواد نباتية دابغة . والآن سنتعرف على أهم النباتات التي استخدمها العرب الجاهليون في دباغة الجلود .

أهم النباتات المستعملة في الدباغة :

إن أهم النباتات التي استخدمها العرب الجاهليون في دباغة الجلود هي :

- الأرطى : وهو شجر ينبت بالرّمل ، لها عروق يدبغ بها ، وقد اختلف في الألف الأولى فقيل هي أصلية لقولهم أديم مأروط ، وقيل هي زائدة لقولهم أديم مرطيّ[2] .
- الحُلَّبُ : نبت ينبسط على الأرض ، وتدوم خضرته ، له وَرق صغار ، يدبغ به . . قال الراجز : دَلْوٌ تَمأَّى ، دُبِغَتْ بالحُلَّبِ[3] .

---

(1) اللسان 10-6

(2) اللسان 7-254 ـ 255

(3) اللسان 1 / 334

ـ الدَّهناء : عشبة حمراء لها ورق عراض يدبغ به[1] .

السَّلَمَة : شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها ، ويسمّى ورقها القَرَظَ ، لها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح تؤكل في الشتاء وهي في الصيف تخضرّ . . وإذا دبغ الأديم بورق السَّلم فهو مقروظ ، وإذا دبغ بقشر السّلم فهو مسلوم[2] .

ـ الشث : نبت طيب الريح يدبغ به[3] .

ـ والصِّرف : شجر أحمر يُدبَغ به الأديم ، وفي الصحاح : صبغ أحمر تصبغ به شُرُكُ النِّعال[4] .

ـ الظَّيَّان : أديم مظيّن : مدبوغ بالظيّان[5] .

ـ والعفص : الذي يتخذ منه الحبر ، قال ابن بري : العفص ليس من نبات أرض العرب . وثوب معفّص : مصبوغ بالعفص كما قالوا ثوب ممسك بالمسك[6] . ويستعمل العفص في الدباغة كمساعد على حفظ الجلد ومنعه من التلف[7] .

ـ العِرْنَةُ : شجر الظُّمْخِ يجيء أديمه أحمر[8]

ـ الغَرْفَة : شجر يدبغ به ، وسقاء غرفي ، دبغ به[9] .

---

(1) اللسان 13 -163

(2) اللسان 12 -296

(3) القاموس المحيط1 -174 ـ دار الجيل

(4) اللسان 9 -192 ـ193

(5) اللسان 13 -275

(6) اللسان 7 -55

(7) جواد علي 7 -587

(8) اللسان 13 -283

(9) القاموس المحيط3 -185

ـ القَرَظ : شجر يدبغ به ، وقيل : هو ورق السّلم يدبغ به الأدم . قال أبو حنيفة : القرظ أجود ما تدبغ به الأهب في أرض العرب وهي تدبغ بورقه وثمره . وقُرَظي : منسوب الى بلاد القرظ ، وهي اليمن لأنها منابت القرظ[1] . وقد أشار الشماخ الى الجلد المدبوغ بالقرظ حيث يقول :

وبُـرْدَانِ من خالٍ وتسعـونَ دِرْهَماً على ذاكَ مَقروظٌ من الجِلْدِ ماعزُ[2]

ـ القرنوة : نبات عريض الورق ينبت في ألوية الرمل ودكادِكِه ، ورقها أغبر . . قال الأزهري : رأيت العرب يدبغون بورقه الأهب[3] .

ـ القرضم : قشر الرمان ، يدبغ به[4] .

ـ النَّجَبُ : قشور السّدد ، يصبغ به ، وهو أحمر ، وسقاء منجوب مدبوغ بالنجب . والمنجوب : الجلد المدبوغ بقشور سوق الطلح[5] . وقد ورد المنجوب في شعر عنترة حيث يقول :

ومَنْجُـوبٌ له مِنْهُـنَّ صَرْعٌ يميلُ إذا عَدَلْـتَ بِهِ الشّوَارا[6] .

هذه هي أهم النباتات التي استعملت في دباغة الجلود .

---

(1) اللسان 7-454

(2) الجمهرة ص 298

(3) اللسان 13-340

(4) جواد علي 7-539 عن تاج العروس 9-24

(5) اللسان 1-749

(6) ديوان عنترة ص ـ 44

ـ أسماء الجلود حسب حالتها أثناء الدباغة :

أ ـ **المنيئة** : الجلد أول ما يدبغ ، إذا أنقعه في الدِّباغ . قال حميد بن ثور :

إذا أنتَ باكرت المنيئةَ باكَرَتْ مَداكاً لَها ،من زَعْفَرانٍ وإثْمِدا(1)

ب ـ **الأفيق** : هو الذي لم تتم دباغته . وفي حديث عمر ، رضي الله عنه : أنه دخل على النبيّ (ص) ، وعنده أفيق ؛ قال : هو الجلد الذي لم يتم دباغه . وقيل أول ما يكون من الجلد في الدِّباغ فهو منيئة ثم أفيق(2) .

ج ـ **المحرّم** : ما لم يدبغ أو دبغ فلم يتمرن ولم يبالغ . وجلد محرّم : لم تتم دباغته(3) قال الأعشى :

تَرَىَ عَيْنَها صَفْواءَ في جَنْبِ مؤْقِها تُراقِبُ في كَفِّي القَطيعَ المُحَرَّمَا(4)

د ـ **الأديم** : الجلد ما كان ، وقيل : الأحمر ، وقيل : هو المدبوغ ، وقيل : هو بعد الأفيق ، وذلك إذا تمّ واحمرّ(5)

ـ أسماء الجلود بعد الدباغة :

أ ـ **الحَوَرُ** : الجلود البيض الرقاق تعمل منها الأسفاط ، وقيل : السُّلفة . وقيل : الحور الأديم المصبوغ بحمرة . . وخُفٌ محوّر بطانته بحوَر ، وقال الشاعر :

فظلَّ يرشحُ مسْكاً فوقَه عَلَقٌ كأنّما قُدَّ في أثوابِهِ الحَوَرُ

---

(1) اللسان 1 -161

(2) اللسان 10 -6

(3) اللسان 12 -126

(4) ديوان الأعشى ص ـ187

(5) اللسان 12 -9

وقيل : هي جلود تتخذ من جلود الضأن[1] . وحالياً معروف الحور عند الحذّائين وهو جلد أبيض رقيق ، يستعمل عادة بطانة للجلود الأخرى ويبدو أنه من جلود الضأن .

ب ـ القضيم : الجلد الأبيض يكتب فيه ، وقيل : النِّطع ، وقيل : هو الأديم ما كان . . وفي حديث الأزهري : قُبض رسول الله (ص) ، والقرآن في العُسُب والقُضُم ، هي الجلود البيض . . وقال أبو عبيد :

كأنَّ ما أبْقَت الرَّوَامِسُ منه والسِّنونَ الذَّواهِبُ الأُوَلُ
قرعُ قضِيم غَلا صَوَانِعُهُ في يَمَنِيٍّ العَيَّابِ ، أو كِلَلُ

غلا أي تأنّق في صنعه[2] . هذان البيتان من الشعر من ضمن قصيدة منسوبة الى عبيد بن الأبرص مطلعها :

أَقْفَرَ من مَيَّةَ الدَّوافِعُ مِنْ خَبْتٍ فَلُبْنَى فَيْجَانَ فَالرِّجَلُ[3]

والبيت السادس مطلعه فرع وليس قرع . وفرع كل شيء أعلاه ، ويريد هنا خير قضيم وأجوده وهو الجلد الأبيض .

ج ـ النصع : جلد أبيض ، وهو ما يتخذ من الأدم . وأنشد لحاجز بن الجعيد الأزدي :

فننحرها ونخلطها بأخرى كأن سَرَاتَها نِصَعٌ دَهِينُ[4]

---

(1) اللسان 4-221

(2) اللسان 12-488

(3) ديوان عبيد بن الأبرص ـ تحقيق حسين نصار ـ الطبعة الأولى ـ 1957 ـ مكتبة البابي الحلبي ـ مصر ص ـ 96

(4) اللسان 8-356

د . **النِّطع** : من الأدم ، معروف ، قال التميمي :

يَضْرِبْنَ بالأزِمَّةِ الخُدُودا ، ضربَ الرياح النِّطَعَ الممدودا[1]

هـ ـ السِّبْتُ : بالكسر ، جلود البقر وكل جلد مدبوغ بالقرظ[2] . قال طرفة بن العبد :

وَوَجْهٌ كَقِرْطَاسِ الشآمي وَمِشْفَرٌ كسِبْتِ اليَمَاني قَدُّهُ لم يُحَرَّدِ[3]

وجاء في شرح كلمة السِّبت : جلود البقر إذا دبغت بالقرظ ، فإن لم تدبغ بالقرظ فليس بسِبت . فأراد أن مشافرها طوال كأنّها نعال السبت ، وذلك مما يمدح به ، خصّ السِّبت للينه ، ولأنه ليس بفطير لم يدبغ ، فهو جاسئ ، أي صلب وخشن .

ويقال الجلد الفطير الذي لم يرو من دباغ ، أفطرت جلدك إذا لم تروه من الدِّباغ[4] . والسِّبت اليماني المنسوب الى اليمن ، وهذا دليل على شهرة اليمن بدباغة الجلود .

وقال الحطيئة :

وَأَلْقَتْ سِبَاطاً رَاشِفَاتٍ كَأَنَّها مِنَ السِّبْتِ أَسْمَاطٌ دِقَاقٌ خُصُورُها[5]

السِّبت السُّمُط إذا كان طاقاً غير مبطّن ولا محشو .

و ـ المَذَاهِبُ : سيور تموّه بالذهب جلود كانت تُذهب ، تجعل فيها

---

(1) اللسان 8 -357

(2) القاموس المحيط 1 -154

(3) شر القصائد السبع ـ الأنباري ـ هارون ص ـ174

(4) اللسان 5 -59

(5) ديوان الحطيئة ص ـ221

خطوط مذهبة ، فيرى بعضها في إثر بعض[1] . قال قيس بن الخطيم :

أتَعْرِفُ رَسْماً كاطِّرادِ المَذَاهِبِ   لِعمْرَةَ وَحْشاً غَيْرَ مَوْقِفِ راكبِ[2]

اطّراد المذاهب أي تتابع الخطوط المذهبة بعضها في إثر بعض وهكذا كانت تذهّب الجلود .

ز ـ الأرندج : وهو الجلد الأسود المدبوغ بالعفص حتى يسودّ . وقد ورد في شعر الأعشى في القصيدة التي يمدح فيها (إياس بن قبيصة الطائي) حيث يقول :

عليهِ دَيَابُوذٌ تَسَرْبَلَ تَحْتَهُ   أَرَنْدَجَ إسْكافٍ يُخالِطُ عِظْلِمَا[3]

ويقول صاحب كتاب أهل اليمن في صدر الاسلام : « واشتهرت (صعدة) بانتاج جلود الأبقار وأكثر ما استخدمت في انتاج أديم الكتابة المعروف بالأديم الخولاني[4] .

والأرجح أن الأديم الخولاني هو المنسوب الى قبيلة خولان ، أي من صنع عمالها ، ويذكر النسابون أنها قسمان ، يعرف أحدهما بخولان العالية ومساكنها مع (حمير) في مخلاف ذي جرة وخولان جنوب شرق صنعاء . وهؤلاء كانوا ينسبون منذ القدم الى حمير . أما القسم الآخر فيسكنون مدينة صعدة وما حولها[5] .

وتُقدّ الجلود سيوراً تستعمل في مجالات مختلفة منها ما يكون عوضاً

---

(1) اللسان 1-395

(2) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ76

(3) جواد علي 7-591 ـ ديوان الأعشى ص ـ187

(4) الحديثي ص ـ48

(5) الحديثي ص ـ48

عن اللباس فقد ورد أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة . ويقولون : لا نطوف بالبيت في ثياب قد أذنبنا فيها ، وكانت المرأة تطوف عُرْيانة أيضاً إلاّ أنها كانت تلبس رهطاً من سيور ؛ وقالت امرأة من العربِ :

اليومَ يَبْدو بَعْضُهُ أوْ كُلُّهُ ... وما بَدَا منه فلا أحِلُّهُ .

تعني فرجها أنه يظهر عن فُرَجِ الرَّهط من السيور الذي لبستْه[1] . مما يدل على أن تلك السيور لم تكن مخاطة .

قال المثقب العبدي :

يَجُذُّ تَنَفُّسُ الصُّعَداءِ مِنْها ... قُوَى النِّسْعِ المُحَرَّمِ ذِي المُتُونِ[2]

والنِّسع : سير من الجلد يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال . قال ابن الأثير : هو سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير[3] . وجمع النِّسع أنساع ، وقد وردت في شعر عبيد بن الأبرص حيث يقول :

وقد مَاجَتْ الأنساعُ واسْتَأْخَرَتْ بِها ... مَعَ الغَرْزِ أحْنَاءٌ لَهُنَّ دُحُوضُ[4]

والسريحة : جمعها السريح ، وهي كل قدّة من الجلد قدت سيراً يشدّ بها النعال .

قال عروة بن الورد :

ينـاقلن بالشُّمْطِ الكِرام ، أولى القُوى ،

نقابَ الحِجاز في السريح المسيَّر[5]

---

(1) اللسان 12- 120

(2) المفضليات ص ـ290

(3) اللسان 8- 352 .

(4) ديوان عبيد بن الأبرص ص ـ80

(5) ديوان عروة بن الورد ـ دار صادر ص ـ38

وقال الأعشى :

وأخْفـافُ المُخَيَّسَـةِ المَهَارَى يُشَـدُّ لهَـا السَّرائِـحُ والنَّقولُ(1)

السرائح : سيور تقدّ منها نعال الإبل ، النقيل : جمع نقيلة وهي الرقعة أو النعل الخلق .

وقال تأبط شراً :

بِشرْثَـةٍ خَلَـقٍ يُوقَـى البَنَـانُ بِهَا شَدَدْتُ فيها سَرِيحـاً بَعْـدَ إطْراقِ (3)

إنه يقول : صعد إلى هذه القنّة بشرثة خلق أي بنعل ممزقة ، شد فيها سيراً من الجلد بعد أن وضع تحت النعل مثلها . وهذا يدل على عدم توفر الاسكاف والمسامير أو عدم توفر المال اللازم للاسكاف ، لذل ربط قطعة من النعل فوق النعل الممزقةوشدها بسيْر من الجلد وهو السريح .

والجديل : الزمام المجدول من أدم ؛ ومنه قول امرئ القيس :

وكَشْـحٍ لطيفٍ كالجديل مُخَصَّرٍ وسَاقٍ كأُنْبُـوبِ السَّقِـيِّ المُذَلَّلِ

والجديل حبل مفتول من أدم أو شعر يكون في عنق البعير أو الناقة(3) .

والقطيع : السوط من الجلد . قال الأعشى :

تَرَى عَيْنَها صَغْوَاءَ في جنبِ غَرْزِهَا تُرَاقِـبُ كَفِّـي والقَـطيعَ المُحَرَّمَا

أراد بالقطيع سوطه . قال الأزهري : وقد رأيت العرب يُسَوُّون

---

(1) ديوان الأعشى ص ـ209

(2) المفضليات ص ـ30

(3) اللسان 11-103 ـ الأنباري ـ هارون ص ـ64

سياطهم من جلود الإبل التي لم تدبغ ، يأخذون الشريحة العريضة فيقطعون منها سيوراً عراضا ويدفنونها في الثرى ، فاذا نَدِيَتْ ولانت جعلوا منها أربع قُوىً ، ثم فتلوها ثم علّقوها من شعبي خشبة يَرْكُزُونها في الأرض فَتُقِلُّها من الأرض ممدودة وقد أثقلوها حتى تيبس(1) .

والأصبحي : وهو السوط أيضاً . قال عمرو بن أحمر :

يكْسُونَهُم أصبحيّاتٍ مُحَدْرَجَة إنَّ الشيوخَ إذا ما أوجعوا ضَجِرُوا(2)

الأصبحي المحدرج أي السوط المفتول فتلاً محكماً . والأصبحي نسبة الى ذي أصبح ملك من ملوك (حمير) ـ اليمن ـ من أجداد الامام مالك بن أنس ، واليه تنسب السياط الأصبحية . والأصبحي : السوط(3) .

ـ النّعال :

ويبدو أن العرب تمدح برقة النعال وتجعلها من لباس الملوك ، وقد ورد في شعر النابغة قوله :

رِقاقُ النِّعالِ طيّبٌ حُجُزَاتهم يُحَيّوْنَ بالرّيحانِ يومَ السباسبِ(4)

وعرفت (حضرموت) بنعالها ، فقيل نعل حضرمي ، ، وعرفت بأنها النعال المخصّرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين ، وفي حديث مصعب بن عمير : أنه كان يمشي في الحضرمي ، وهو النعل المنسوبة الى حضرموت المتخذة بها(5) .

---

(1) اللسان 12 -126

(2) الجمهرة ص 304

(3) اللسان 2 / 507 قاموس المحيط 1 / 241

(4) ديوان النابغة ص ـ 47

(5) اللسان 4 -202

ويقول جواد علي : « ومن أنواع النعال ، النعال السبتية التي لا شعر لها ، وتصنع من جلود البقر المدبوغة بالقرظ ، والسبت كل جلد مدبوغ أو المدبوغ بالقرظ ، ومنه تصنع النعال السبتية . واستشهد في قول عنترة :

بطل كأنّ ثيابه في سرحة يحذي نعال السبت ليس بتوأم[1]

وهذا البيت من الشعر من معلقة عنترة البيت ـ58 ـ . ويجدر بنا هنا أن نميّز بين النعال السِّبتية والجلود السِّبتية والتي سبق الاشارة اليها ، إذ يبدو أن كل جلد من أي نوع كان دبغ بالقرظ يسمّى سبتيّاً ، وكذلك جلود البقر التي تدبغ بالقرظ وتصبح بعد دبغها نعالاً يقال لها نعال سِبتيّة ، وهي طريّة لينة يُمدح بها .

وكانوا ينعلون خفّ البعير بالجلد لئلاّ يحفى ، وفي الحديث : إن غسّان تُنْعِلُ خيلَها[2] .

ـ أشخاص عملوا في الدباغة والجلود :

يقول ابن قتيبة : وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم . . وكان أيوب السِّختياني يبيع جلود السِّختيان ، فنسب اليها[3] . والسِّختيان جلد الماعز إذا دبغ معرب[4] .

وفي حديث أخت أمية بن أبي الصّلت قالت : فدخل عليّ أميّة وأنا أخلق أديما أي أقدّره لأقطعه ، (الخَلْقُ : التقدير ، وخلق الأديم يخلقه خلقا : قدّره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو خفاً) ،

---

(1) المفضل 7 -592 الحاشية ـ8

(2) اللسان 11 -668

(3) المعارف ص ـ575

(4) القاموس المحيط 1 -155

فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت[1] . ويبدو من هذه الحادثة أن المرأة في العصر الجاهلي كانت تعمل أيضاً بصناعة الجلود .

وجاء في كتاب التراتيب الادارية : ان سعيد بن عائذ المؤذن مولى عمار بن ياسر كان يتجر في القرظ وهو ورق يدبغ به فقيل له سعد القرظ[2] . وان أم المؤمنين زينب بنت جحش كانت امرأة صناع اليد فكانت تدبغ وتخرز ، وعن أسماء بنت عميس قالت أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر واصحابه ، فأتى رسول الله (ص) ولقد هنأت يعني دبغت أربعين أهاباً من أدم[3] . وذكر ابن دريد في الوشاح في باب الصناعات في باب من كان دباغاً الحرث بن صبيرة فقال أسلم يوم الفتح هو وابنه[4] .

2 ـ المصنوعات الجلدية في العصر الجاهلي :

استخدمت الجلود في أغراض عديدة ، في صناعة الأحذية والسيور والسياط وللكتابة وقد سبق الاشارة الى كل منها ، وقد دخلت في أغراض حربية كذلك ، فقد استخدمت لحماية الجسم من ضربات السيوف ومن تساقط السهام عليه ، فاستخدمت في صنع الدروع والخوذ الواقية للرأس والتروس ، واستخدمت في صناعة السروج واللجام والرسن والغرز وهو ركاب الرحل ، والزنّار وغيرها ، واستخدم الجاهليون كذلك فراء مختلف الحيوانات في الأيام الباردة[5] . وفيما يلي أهم أنواع المصنوعات الجلدية المتعلقة بأوعية الماء والخمور والسمن والطيب ونحوها :

---

(1) الأغاني ـ جمال 4-127 ـ اللسان 10-87

(2) الكتاني 2-27

(3) الكتاني 2-56

(4) نفس المصدر 2-92

(5) جواد علي 7-589 وما بعدها .

الأصِيصُ : الدَّنُّ المقطوع الرأس . قال عبدة بن الطبيب :

لنا أصِيصٌ كجِزمِ الحَوْضِ ، هَدَّمَهُ وَطْءُ الغَزال ، لَدَيْهِ الزِقُّ مَغْسُول[1]

وقال خالد بن يزيد : الأصيص أسفل الدنّ كان يوضع ليُبال فيه ، وقال عديّ بن زيد :

يا ليتَ شِعْري ، وأنا ذو غنىً ، متى أرَى شَرْباً حَوالَيْ أصِيصْ ؟

يعني به أصل الدَّنّ ، وقيل : أراد بالأصيص الباطية تشبيهاً بأصل الدن ، ويقال : هو كهيئة الجرّ له عروتان يحمل فيه الطين . وفي الصحاح : الأصيص ما تكسّر من الآنية وهو نصف الجرّ أو الخابية تزرع فيه الرياحين[2] .

ـ **البَدْرَةُ** : جلد السَّخْلَة إذا فطم ، الجوهري : والبدرة مَسْكُ السخلة لأنها ما دامت ترضع فمسكها للّبن شكْوَة ، وللسمن عُكَّة ، فاذا فطمت فمسكها للبن بدرة وللسمن مِسْأَد ، فاذا أجذعت فمسكها للبن وطب ، وللسمن نحي[3] .

ـ **الجراب** : الوعاء ، وقيل هو المزود ، وهو من إهاب الشّاء لا يوعى فيه إلا يابس[4]

ـ **الحَمِيتُ** : وعاء السمن ، كالعُكّة ، وقيل : وعاء السمن الذي بالرُّبِّ ، وهو من ذلك ، وقيل : الحميت أصغر من النحي ، وقيل : هو

(1) المفضليات ص ـ 144 اللسان 7-4

(2) اللسان 7-4

(3) اللسان 4-49

(4) اللسان 1-261

الزقّ الصغير . . وقيل : الحميت الزق المُشْعَرُ الذي يجعل فيه السمن والعسل والزيت . وقيل : الحميت الزق الذي لا شعر عليه ، وهو للسمن . وقيل : فاذا جُعِل في نحي السمن الرُّبُّ ، فهو الحميت[1] .

ـ الدَّنُّ : ما عظم من الرواقيد ، وهو كهيئة الحُبِّ (الجرّة الضخمة ـ الخابية) ، إلاّ أنه أطول ، مُسْتَوِي الصنعة في أسفله ، والجمع الدِّنان وهي الحباب . وقيل الدَّنُّ أصغر من الحبّ ، له عسعس فلا يقعد إلاّ أن يُحفر له . قال ابن دريد : الدَّنُّ عربي صحيح ، وأنشد :

وَقَابَلَهـا الـريحُ في دَنِّها وصلَّـى علـى دنِّهـا وارْتَسَمْ[2]

وقال الاسود بن يعفر :

سُلافَـةَ الـدَّنِّ مَرْفوعـاً نصائِبُـها مُقَلَّـدَ الفَغْـوِ والرَّيْحـانِ مَلْثوما[3]

الرّاقود : دنٌّ طويل الأسفل كهيئة الإردَبَّة ، يُسيّع داخله بالقار[4] .

ـ الزِّقُّ : من الأهب : كل وعاء اتُّخِذَ لشراب ونحوه . وقيل الزق هو الذي ينقل فيه الخمر[5]

ـ الزير : الدَّنُّ والجمع أزيار وفي حديث الشافعي : كنت أكتب العلم وألقيه في زير لنا[6] .

---

(1) اللسان 2-24

(2) اللسان 13-158

(3) المفضليات ص ـ418

(4) اللسان 3-183

(5) اللسان 10-143

(6) اللسان 4-339

ـ **السَّطيحة** : والسَّطيح : المزادة التي من أدمين ، قوبل أحدهما بالآخر ، وتكون صغيرة وتكون كبيرة ، وهي من أواني المياه[1] .

ـ **السِّقاء** : جلد السَّخلة اذا أجذع ، ولا يكون إلاّ للماء . وقيل يكون للّبن والماء ، والوَطْبُ للبن خاصة والنحي للسمن ، والقربة للماء ، والسّقاء ظرف الماء من الجلد[2] .

ـ **الشَّكْوَة** : جلد الرضيع وهو للّبن ، فاذا كان جلد الجذع فما فوقه سمّي وطباً . وفي حديث عبد الله بن عمر : كان له شكوة ينقع فيها زبيباً . قال : هي وعاء كالدَّلْوِ أو القربة الصغيرة وجمعها شكىً . . وقيل : هي وعاء من أدم يُبرّد فيه الماء ويُحبس فيه اللبن[3] .

ـ **العُكَّة** : العكة للسمن ، كالشكوة للبن ، وقيل : العكة أصغر من القربة للسمن وهو زقيق صغير ، وجمعها عكك وعِكاك . وفي الحديث : أن رجلاً كان يُهدي للنبيّ (ص) العكة من السمن والعسل . قال ابن الأثير في النهاية : وهي وعاء من جلود مستدير يختص بهما وهو بالسمن أخص[4] .

قال الممزق العبدي :

وأن لكيزاً لم تكن ربَّ عكة ... لدن صرّحت حجاجهم فتفرقوا[5]

يريد أن يقول وَأنَّ لُكيزاً لم تكن ممن يتجر في السمن ولكنهم أصحاب خيل وسلاح

---

(1) اللسان 2-484

(2) اللسان 14-392

(3) اللسان 14-441

(4) اللسان 10-468

(5) المفضليات ص ـ301

ـ **القِرْبَـةُ** : من الأساقي . ابـن سيدة : القربة الوَطْب من اللبـن ، وقد تكون للماء ، وقيل هي المخروزة من جانب واحد[1] .

ـ **القـراف** : جمـع قَرْف ، وهـي أوعية من جلـود يحمـل فيهـا الـزاد للسفر[2] .

ـ **الإقنيز** : الدنّ الصغير ، وقيل : الراقود الصغير[3] .

ـ **المَزَادَة** : السطيحـة جلـدان مقابـلان . قيل : والمزادة تكون من جلدين ونصف وثلاثة جلود ، سمّيت مزادة لأنها تزيد على السطيحة ، وهي الظرف الذي يحمل فيه الماء كالراوية والقربة والسطيحة[4] .

قال عنترة :

وَبَـدَّدْتُ الفَـوَارِسَ في رُبَاهَا ... بِطَعْـنٍ مِثْـلِ أَفْـواهِ المَزَادِ[5]

فهو يريد أن يقول إن تتابع طعناته للفوارس كان كتتابع انصباب الماء من المزادة .

المُسْأَدُ : من الزقاق أصغر من الحميت . وقال شمّر : الذي سمعناه المُسْأَبُ ، بالباء ، الزق العظيم الجوهري : والمسـأد نحـي السمـن أو العسل[6] .

ـ **المِصْرَبُ** : الإناء الذي يصرب فيه اللبن أي يحقن ، تقول صربت

---

(1) اللسان 1-668

(2) اللسان 1-667

(3) اللسان 5-398

(4) اللسان 3-199

(5) ديوان عنترة ص ـ122

(6) اللسان 3-201

اللبن في الوطب إذا جمعته فيه شيئاً بعد شيء وتركته ليحمض[1] .

ـ **النِّحي** : الزق ، وقيل : هو ما كان للسمن خاصة . ومنه قصة ذات النحيين[2] .

الوَطْبُ : سِقاءُ اللبن ، وفي الصحاح : سقاء اللبن خاصة ، وهو جلد الجَذع فما فوقه . قال امرؤ القيس :

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضاً ... وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ ، صَفِرَ الوِطابِ

علباء : اسم رجل ، الجريض : غصص الموت . . جعل روحه بمنزلة اللبن الذي في الوطاب .

الصحاح : يقال لجلد الرضيع الذي يُجعل فيه اللبن شكوة ، ولجلد الفطيم بَدْرَة ، ويقال لمثل الشكوة مما يكون فيه السمن عُكَّة ، ولمثل البدرة المِسأَد . وفي الحديث أنه أُتي بوطب فيه لبن . وقيل : الوطب الزق الذي يكون فيه السمن واللبن[3] .

وقد دخلت الجلود في صناعة الخيمة وبيوت الأعراب . وقد جاء في القرآن الكريم : وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها[4] قال متمم بن نويرة :

ولا بَرَماً تُهْدِي النِّساءُ لِعِرْسِهِ ... إذا القَشْعُ مِنْ حَسِّ الشِّتاءِ تَقَعْقَعا[5]

فالقشع بيت من أدم ، وقيل : بيت من جلد ، فان كان من أدم فهو

---

(1) اللسان1 -522

(2) اللسان15 -311 و312

(3) اللسان1 -797

(4) سورة النحل . الآية ـ80

(5) المفضليات ص ـ265

الطِّراف . وربما اتخذ من جلود الإبل صواناً لما فيه من المتاع ، والجمع قِشعٌ[1] .

وقال الحارث بن حلزة اليشكري :

وَحَسِبْتِ وَقْعَ سُيُوفِنا بِرؤُوسِهِمْ وَقْعَ السَّحَابِ على الطِّرافِ المُشَرَّجِ[2]

الطِّراف : بيت من أدم ليس له كفاء وهو من بيوت الأعراب ، ومنه الحديث : كان عمرو لمعاوية كالطِّراف الممدود[3] .

والرقعة التي توضع على النِّجاش عند خرز الأديم يقال لها ؛ القِشاعَ . والخيط الذي يجمع بين الأديمين ليس بخرز جيد (تسريج) يقال له : المِنْجاش[4] .

واستخدمت الجلود في صنع (القباب) التي تضرب للملوك وللسادة وللأشراف إمارة على الرئاسة والسيادة ، وتصبغ جلودها بلون أحمر في الغالب ، وكانت غالية ، لذلك لم يستعملها إلاّ أصحاب الجاه والمال . فكان سادة مكة اذا نزلوا منزلاً ضربوا قباباً من أدم ، وكان حكام عكاظ والسادات الذين يحضرون السوق ، يضربون لهم قباباً ، وأما سائر الناس فيضربون لهم بيوت الشعر ، وبيوت الشعر أرخص من قباب الأدم[5] .

---

(1) اللسان 8-273

(2) المفضليات ص ـ256

(3) اللسان 9-219

(4) اللسان 8-273 و6-351

(5) جواد علي 7-538



الفصل الخامس

البناء والعمارة والنحت

1 ـ العمارة

هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها ، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل(1) .

عرف العرب الجاهليون فن البناء والعمارة والنحت في مناطق مختلفة من شبه الجزيرة العربية حيث تتوفر مواطن الحجر والمواد المساعدة التي تدخل في انشاء العمارات مثل الجبس ونحوه ،وحيث مواطن الحضارة، وأهمها ما يلي :

أ ـ اليمن : في اليمن أنواع من الأحجار الصالحة للبناء والنحت ، كما توفرت فيها المواد المساعدة الأخرى ولهذا قامت فيها بيوت مرتفعة ذات طوابق متعددة ، وبفضل المواد المساعدة كالجبس والرصاص المذاب وغيره بقيت أبنية الجاهليين اليمانيين الى الاسلام . وقد ساعدت وفرة الرخام والأحجار الصلدة في اليمن على استعمال الأعمدة العالية الجميلة ذوات التيجان في رفع السقوف وفي إقامة الردهات الكبيرة . وبفضل تلك الحجارة استطاع المعمارون أن يستفيدوا من الماء باقامة السدود القوية التي تتحمل ضغط السيول العالي عليها .

---

(1) مقدمة ابن خلدون ص ـ406

وقد زال أكثر المباني الجاهلية ، بسبب اعتداء الانسان بجهله عليها ، وقد حطمت ودمرت قصور عظيمة في اليمن ، بقي بعضها قائماً الى الاسلام مثل قصر (غمدان) بصنعاء الذي يبالغ أهل الأخبار في وصف ارتفاعه وضخامته وسنتحدث عنه بالتفصيل في باب القصور .

ولأهل اليمن عادات جميلة ، وذلك بوضعهم على الجدر حجارة مكتوبة تحمل اسم الدار أحياناً واسم صاحبها واسم الإله الذي تبرك صاحب الدار أو المبنى بتقديمه اليه تيمناً به ومن هذه الكتابات أُخذ معظم علمنا بتأريخ اليمن القديم[1] .

وكان من عادة أهل اليمن صهر الرصاص وصبه بين حجارة الأعمدة وفي أسسها ، وذلك لربطها وتقويتها . . وقد استعمل العرب الجنوبيون (القيطران) القار في البناء ، خاصة في الأماكن الرطبة والتي تسيل عليها المياه وفي الأسس لمنع الرطوبة . فقد وجدت آثار قيعان بعض السدود وهي مرصوفة ومكسوة بطبقة من القطران . . واستعملت مواد دهنية مستخرجة من زيوت بعض الأشجار في منع الرطوبة أو الماء من التسرب الى الأسس والجدر والسقوف[2] .

وقد وجدت البعثات الأثرية التي نقّبت في العربية الجنوبية بقايا جدران بيوت ، وقد كُسيت بطبقة ملساء من الجص ، تدل على مهارة البنّاء

---

(1) جواد علي 8-8

(2) جواد علي 8-24

في ذلك الوقت ؛ والتي تُكسى بالجص تظهر بيضاء وترى من مسافات بعيدة ، وقد جاء في شعر لعدي بن زيد :

شاده مرمراً وجلّله كِلْساً فللطير في ذراه وكور[1] .

والعربي الجنوبي مذواق ، فقد اتخذ الحجارة الملوّنة للبناء ، وكوّن منها مناظر متعددة الألوان ، محاكاة للطبيعة ، وتأثيراً على النظر ، فمثلاً بني جدران قصر غمدان من حجارة ذات ألوان مختلفة ، فبنى سافاً بالحجارة البيضاء ، وآخر بحجارة سود، وثالثاً بحجر أحمر ، وسافاً آخر بحجر أخضر ، وهكذا . . وكسا السقوف والأبواب والأعمدة وبعض الجدران بصفائح الذهب والفضة وبالحجارة الكريمة وبسن العاج والأخشاب الغالية الثمينة[2] .

وإن خرائب الأبنية الفخمة من القصور والمحافد والقلاع قرب مأرب ونجران والغراب ونقب الحجرة لتؤيد الروايات العربية والأوروبية التي تحدثنا عما بلغته هذه البلاد من العظمة والمجد في الأزمان الغابرة[3] .

وأما عاصمة سبأ فكانت سرواح وهي على مسيرة يوم من مأرب وكان أهم بناء فيها هيكل المقه ـ الآله القمر ـ . وكان في سد مأرب كما في غيره من مباني سبأ العامة من الرقي الهندسي ما ينم عن مجتمع محب للسلام عريق في الحضارة وفي الأعمال الفنية الرائعة[4] .

---

(1) جواد علي 8 -26

(2) المصدر السابق ص ـ27

(3) حسن ابراهيم حسن ص ـ27

(4) فيليب حتي ص ـ87

وكانت بلاد اليمن في الجاهلية أكثر بلاد العرب تحضراً ، وكانت كثيرة الحصون والمسالح والقصور ، وكانت تعرف بالمحافد ، ومحافد اليمن كثيرة[1] . وقد استطاع أهل اليمن أن يشيدوا عند مأرب وغيرها من الأماكن مدناً تزهو بهياكلها ، وقصورها ، وأروقتها المعمّدة[2] .

وقد توصل رجال البعثة الأمريكية الى أن مدينة (تمنع) ـ عاصمة الدولة القتبانية ـ كانت قد جددت مراراً ، ذلك أنهم كانوا كلما تعمقوا في الحفر وجدوا طبقات تشير الى قيام بيت على بيت آخر ، وأن البيوت المبنية في الطبقات السفلى هي بيوت مبنية من (اللبن) أي الطين المجفف بالشمس ، وذلك يدل على أن الناس أقاموها بيوتاً ساذجة بسيطة ، فلما تقدم الزمن ونزح الناس اليها ، ازداد عمرانها ، واتخذ من نزحوا اليها الحجر والصخور المقطوعة مادة للبناء ، فظهرت البيوت العامرة ، ظهرت فوق البيوت القديمة على عادة الناس في ذلك العهد في بناء البيوت الجديدة فوق البيوت القديمة وعلى أنقاضها[3] .

ب ـ في الحجاز

لقد عثر المنقبون على (لبن) جاهلي في أماكن متعددة من جزيره العرب ، وقد كان أهل الحجاز يستعملونه في أبنيتهم ، لم ينفردوا بالطبع في ذلك وحدهم ، بل كان يفعل ذلك معظم الجاهليين ، وقد بني مسجد الرسول باللبن ، وكان الرسول ينقله مع الناقلين ، وهو مختلف الحجم ، ويكثر استعماله في الأمكنة التي تقل فيها الحجارة . وقد عثر على آثار قلاع

---

(1) عبد العزيز سالم ص ـ121

(2) قصة الحضارة11 -116

(3) جواد علي2 -228

وحصون وأسوار بنيت باللبن . واذا شوي اللبن بالنار يصبح طابوقاً أو آجراً . ولم يكن في استطاعة الفقير بناء بيته باللبن أو بالطابوق ، بل كان يشيد بيته بنفسه بالطين ، إذا جفت طبقة وضع فوقها طبقة أخرى ، وهكذا ، ويسقف بيته بالأغصان وبسعف النخل ويضع فوقه طبقة من الطين لتقيه وهج الحر وسقوط المطر . أما الأعرابي فكان بيته خيمة تنتقل معه حيث يشاء(1) .

وكانت بيوت أزواج النبي من اللبن ، ولها حجر من جريد مطرورة بالطين ، وعلى أبوابها مسوح الشعر ، وهذه كانت صفة معظم بيوت أهل يثرب والمدينة (؟) ما عدا بيوت الأثرياء ، فقد كانت من حجر وكلس ولها كل وسائل الترفيه والراحة المتوفرة بالقياس الى ذلك الزمن(2) .

وقد امتازت يثرب عن مكة بوجود الأطم بها ، والأطم هي قصور تتكون من طابقين في الغالب ، أو ثلاثة طوابق ، تكون ضخمة نوعاً ما يعيش بها سادتها ، وتكون حصناً لأهل المدينة يتحصنون بها عند دنو خطر ، وقد بنيت بالآجر وباللبن أحياناً ، وبالطين أحياناً أخرى حيث تجعل الجدر عريضة ، وقد اتخذت الأطم في يثرب ، لعدم وجود سور حولها يحميها من الأعداء ، ولكونها مكشوفة . وتوجد في أعالي يثرب الى فلسطين بقايا حصون وقصور ومواضع قديمة ، كانت آهلة عامرة(3) .

ويقول جواد علي : ان قصيّ أول شخص نقض البيوت المتنقلة في مكة ، والتي لم تكن تقي أصحابها شيئاً من برد ولا حرّ ، والتي كانت على

---

(1) جواد علي 8-22

(2) جواد علي 8-31

(3) جواد علي 8-9

أطراف الوادي وبين أشجار الحرم ، وحولها من خيام مهلهلة الى بيوت مستقرة ثابتة ذات أعمدة من خشب شجر الحرم ، وذات سقوف . ثم جاء عبد مناف بن قصيّ زعيم قريش وهو أول من بنى داراً بمكة ، ولم تبن دار قبلها ، بل كان بها مضارب للعرب من الشعر الأسود . وزعم بعض أهل الأخبار ، أن أهل مكة كانوا يبنون بيوتهم مدوّرة تعظيماً للكعبة ، وأول من بنى بيتاً مربعاً (حُمَيْد بن زهير) ، فقالت قريش : « ربّع حميد بن زهير بيتاً ، إما حياة وإما موتاً . وفي عمله هذا قال الراجز :

اليوم يبنى لحُمَيْد بيته إما حياته وإما موته[1]

ويتابع جواد علي قائلاً : « ويظهر من روايات أهل الاخبار عن بيوت مكة ، أن بيوتها ، وهي بيوت أثريائها وساداتها ، بيوت كانت مقامة بالحجر ، وبها عدد من الغرف ، ولها بابان متقابلان باب يدخل منها الداخل وباب تقابلها يخرج منها الخارج . . ولبعض الدور حجر عند باب البيت ، يجلس تحته ليستظل به من أشعة الشمس ، وكان منزل (خديجة) ذو حجر من هذا الطراز[2] .

وثقيف (الطائف) حضر مستقرون بالقياس إلى بقية أهل الحجاز ، فاقوهم في البناء فبيوتهم جيدة منظمة ، وقد بنوا سوراً حول مدينتهم يوم لم يكن لمكة ولا للمدينة سور ، وقد لقي الرسول مقاومة عنيفة من أهل الطائف ، حين حاصرها وأحاط بها ، فقد تحصن أهلها بحائطهم وبحصونهم وأغلقوا عليهم أبواب مدينتهم ، مما اضطر الرسول للانصراف عنها ، وهذا يدل على مناعتها بفضل تقدمها في أعمال البناء بالمقارنة مع

---

(1) جواد علي 4-22 و51 .

(2) جواد علي 4-54

مكة والمدينة ، إذ ذكر حين التحدث عن ثروة قوم من الصحابة ، أن سعد بن أبي وقاص ابتنى داره بالعقيق ، فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات ، وكذلك ابتنى المقداد داره بالمدينة في الموضع المعروف بالجرف على أميال من المدينة وجعل أعلاها شرفات وجعلها مجصصة الظاهر والباطن[1] . ولولا اعتبار هذان الداران من الأعمال الكبيرة لما ورد ذكرهما ، وهذا يؤكد تقدم الطائف على مكة والمدينة بأعمال البناء إذ أن أبنية الطائف وسورها الذي أشرنا اليه كانوا موجودين قبل ذلك بكثير .

ويظهر أيضاً أن أهل الحجاز بصورة عامة لم يكونوا على شاكلة أهل اليمن في بناء البيوت الضخمة من الحجارة والمواد البنائية الأخرى التي يعمّر بها البناء عمراً طويلاً .

جـ ـ في النبط

كان النبط من أهل جزيرة العرب في الأصل ، نزحوا من البوادي الى أعالي الحجاز ، ثم سرعان ما استقروا وتحضروا . وقد ذهب بعضهم إلى أن أصلهم من العربية الجنوبية ، وأن عرقهم هذا هو الذي جعلهم يشتغلون بالزراعة وبالعمارة وبالحرف التي كانت مألوفة عند العرب الجنوبيين منذ العهود القديمة[2] . وهناك عدة روايات عن أصل النبط تختلف فيما بينها ؛ إلا أن جواد علي يقول : « وعندي أن النبط عرب ، بل هم أقرب الى قريش وإلى القبائل الحجازية التي أدركت الاسلام من العرب الذين يعرفون بالعرب الجنوبيين » . . وقد شملت مملكة النبط في أوج أيامها منطقة واسعة

---

(1) مروج الذهب 2-342

(2) جواد علي 3-10

ضمت دمشق وسهل البقاع والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران ومدين وسواحل البحر الأحمر »[1] .

ووصف (سترابو) النبط ، فقال إنهم تجار ، أقاموا في بيوت من الحجر ، وقد اشتغل قوم منهم بالزراعة[2] وقد أخذوا من (الهللينية) تنظيم المدن وأصول الإدارة والفن وحوّلوا مدينتهم الصخرية الى مدينة حديثة جميلة تنطق حتى اليوم بكفاية أصحابها وبقابلياتهم للمدنية ، ولم تكن الصخرة ، مع حصانتها ، مسوّرة . وقد نقل مقر الحكم من (بترا) إلى (بصرى) فتضاءل بذلك شأن العاصمة القديمة فلما كان القرن الثالث للميلاد ، صارت بترا مجردُ موضع قليل الشأن[3] .

والبتراء ، عاصمة النبط القديمة ، اسمها القديم (ها ـ سلع) وقد ذكرها (ياقوت الحموي) في مادة سلع ، فقال : « وسلع أيضاً حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس »[4] . وعرف هذا الوادي بوادي موسى ، لما زعم أن موسى ضرب الصخر بعصاه فشقه فجرى الماء فسميت كذلك بعين موسى ، وكان السيق مبلّطاً ، ولا تزال آثار التبليط باقية في بعض المواضع ، وتجاه نهاية السيق هيكل منحوت في الصخر يسمى : خزنة فرعون ، وداخل باب الهيكل دار ، وعلى بعد ـ 600 ـ قدم تقريباً من هذا الهيكل بقايا آثار مسرح عظيم منحوت في الصخر يتسع لزهاء أربعة آلاف انسان[5] .

---

(1) المفصل 3 -14 و15

(2) المصدر السابق 3 -17

(3) نفس المصدر 3 -49

(4) معجم البلدان 3 -236

(5) جواد علي 3 -53

وأما فيليب حتي فيقول : بلغت البتراء قمة غناها ومجدها في القرن الأوّل الميلادي . . وكانت قد قدّت من الحجر الصلد ، تحيط بها شواهق عالية من الصخور بحيث يستحيل الدخول اليها الا من ممر ضيق متعرج فيها ، وكانت تنعم بمائها الصافي الغزير ، فليس هناك موضع بين الأردن وأواسط الجزيرة إلاّها يفيض مثل هذا الماء . . ولا تزال أنقاض البتراء الضخمة الرائعة تجذب اليها العديد من السيّاح[1] .

وتقول ليلى صباغ : « وإذا ما انتقلنا شمالاً الى بلاد الأنباط ، فان آثار (بطرا) الباقية إلى الآن لدليل على ما كان عليه هؤلاء العرب من ذوق عمراني ومهارة فنيّة ، فقد بنوا المدينة في الصخر الوردي فخرجت تحفة نادرة »[2] .

وجاء في قصة الحضارة : « . . وبلغت (بطرة) ذروة مجدها تحت حكم الملك أرتاس الرابع (9 ق . م ـ40 م) . . وتنتمي إلى هذا العصر القبور الضخمة المنقورة في الصخور القائمة في خارج المدينة ، وهي ذات واجهات ساذجة خشنة ولكنها تنبيء عن القوة ، وعمد يونانية مزدوجة ، يبلغ ارتفاعها في بعض الأحيان مائة من الأقدام »[3] .

أما عبد العزيز سالم فانه يقول : « . . ومن أهم آثار الأنباط أيضاً بناء يعرف بالدير ، وهو بناء ضخم يبلغ عرضه نحو ـ50 ـ متراً ، ويصل ارتفاعه حتى قمة الجرّة الى ـ45 ـ متراً ، ويزدان بواجهة من الطراز الهللنستي ، وبداخل الدير قاعة فسيحة زوّد جدارها الخلفي بجوفة أقيم فيها نصب

(1) تاريخ العرب ص ـ109

(2) المرأة في التاريخ العربي ص ـ439

(3) ول ديورانت ـ11 ـ116

حجري يمثل الاله ذا شري . ويرجع تاريخ بناء الدير الى القرن الثالث الميلادي »[1] .

ومن النصب الحجري الذي يمثل الاله ذا شري يدل على أن هذا المكان ليس من أماكن العبادة عند المسيحيين أو اليهود ، فلماذا استعمل لفظة الدير ، وربما كانت لفظة الهيكل أفضل أو المعبد .

ومن مدن النبط القديمة المهمة مدينة الحجر ، وقد تضاءل شأنها في الاسلام ، ولا تزال تشاهد آثار حصن قديم وبعض بقايا أبراج وآثار سور ، كما عثر على بقايا تيجان أعمدة قديمة وعلى مزولة شمسية . . ويظهر من أسس بعض الدور أنها بنيت بالحجارة ، أما الجدران ، فقد بني أكثرها باللبن . وقد عثر الباحثون على قبور من بقايا قبور (الحجر) القديمة ، نقشت مداخلها وجدرانها بنقوش تدل على حذق ومهارة ولا سيّما المقبرة التي هي من القرن الأول الميلادي ، ومن عهد الملك (الحارث الرابع) ، وقد تألفت من غرف نحتت في الصخور ، ولبعضها دروب وطرق توصل بعضها ببعض . ويعد الموضع المعروف بـ (ديوان) من الآثار القيمة الباقية من (الحجر) وقد عمل في (جبل أثلب) . وعلى كل جانب منه عمود من حجر[2] .

وهذا يذكرنا بمعابد (بترا) وكأن هؤلاء القوم ، كان عندهم هواية الصراع مع الصخر ، يذللونه لغاياتهم : بيوت للسكن ، أماكن للعبادة ،

---

(1) تاريخ العرب في العصر الجاهلي ص ـ 197

(2) جواد علي 3-56

مقابر . . الخ . وهذا ما توصلوا اليه بفضل قوة شكيمتهم ، وبلوغهم درجة ممتازة من الذوق الفني .

د ـ في تدمر

كان غالبية أهل تدمر ، برغم كتابة أمورهم بالإرمية ، من العرب على رأي أكثر الباحثين ، وكانت عقدة من العقد الخطيرة في العمود الفقري لعالم التجارة بعد الميلاد ، كانت على اتصال بالعراق ، وما يتصل بالعراق من أسواق (ايران والهند والخليج والعربية الشرقية) ، وكانت على اتصال بأسواق البحر المتوسط وبالعربية الغربية والجنوبية ، وما يتصل بكل منها من أسواق . وتمكنت من أن تصبح مركز ديني خطير لعبادة الأصنام يحج اليه أعراب البادية (الأصح : مركزاً دينياً خطيراً)[1] .

وصلت تدمر الى أوج عزها بين سنة ـ130 ـ م و ـ270 ـ م وإلى هذه الحقبة يرجع سواد النصب التذكارية فيها وما عليها من نقوش . ومن ينعم النظر في أطلال تدمر الباقية يفقه سر تلك المدينة الزاهرة التي كانت لأهل تلك العاصمة ، ويتبين أن بناء المدينة جاء وفقاً لتصاميم وضعها لها جماعة حذاق مهرة في هندسة البناء . . وكان يحف بشارع المدينة الرئيسي نحو ـ 750 ـ عموداً من الحجر الكلسي الأبيض الوردي ، إرتفاع كل منها نحو خمسة وخمسين قدماً ، ولا تزال بعض تلك الأعمدة قائمة فيها . . ولا يزال هيكل الشمس هذا أروع أثر لمجد تدمر القديم . وهناك أبراج عالية كانت قبوراً وتظهر فيها آثار البزخ والعظمة وتعد فريدة بين آثار العصور القديمة[2] .

---

(1) جواد علي 3 -80 وما بعدها .

(2) فيليب حتي ص ـ112 وما بعدها .

ويقول ياقوت : « وتدمر من عجائب الأبنية موضوعة على العَمَد الرخام ، زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان ، عليه السلام ، ونعم الشاهد على ذلك قول النابغة الذبياني :

إلا سليمانَ ، إذ قال الإلـهُ له : قم في البريّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ
وخيِّس الجنَّ إني قد أذنتُ لهم يبنون تدمر بالصفّاحِ والعَمَدِ

وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داوود ، عليه السلام ، بأكثر مما بيننا وبين سليمان ، ولكن الناس إذا رأوا بناءً عجيباً جهلوا بانيه أضافوه الى سليمان وإلى الجنّ . . وقيل حين هدم حايط تدمر (بطلب من مروان بن محمد) ، أفضى به الهدم الى جرف عظيم ، فكشفوا عنه صخرة فاذا بيت مجصص كأن اليد رفعت عنه تلك الساعة وإذا فيه سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها . . وكان من جملة التصاوير التي بتدمر صورة جاريتين من حجارة من بقية صور كانت هناك فمرّ بهما أوس بن ثعلبة التيمي . . فقال :

فتاتي أهل تدمر خبّراني ألمّا تسأما طول القيام
قيامكما على غير الحشايا على جبل أصمّ من الرخام[1] .

ويلفت الانتباه في قول ياقوت : ونعم الشاهد قول النابغة .

مع العلم أنه لا يصلح شعر النابغة ولا أمثاله من شعراء الجاهلية أن يكون حجة في بناء (سليمان) لتدمر . لأن هناك فرق شاسع بين عصر سليمان وعصر النابغة وربما يكون هذا الشعر من وضع الوضاعين ونسبوه الى النابغة . وإذا كان حقيقة من أشعار النابغة الموثوقة ، فمن أين عرف أن

---

(1) معجم البلدان 2-18

جانّ سليمان هم الذين بنوا تدمر ؟ فربما كان مصدرها القصص الخرافية التي كانت في عصره .

وها هوذا ياقوت نفسه يستدرك قائلاً : ولكن الناس إذا رأوا بناءً عجيباً جهلوا بانيه أضافوه الى سليمان والى الجن . وعليه نستنتج أن بناء تدمر كان عجيباً .

وما ورد عن البيت المجصص يدل على أن التدمريين كانوا يدفنون موتاهم في بيوت مجصصة .

ويصف لنا جواد علي مقابر التدمريين فيقول : « وعثر في تدمر على مقابر عديدة خارج أسوار المدينة على التلال المشرفة عليها تذكر الأحياء عباد المال بالمصير المحتوم . . وقد أجاد أهل المدينة كل الاجادة باطلاقهم (بيت الأبدية) على القبر . ضمت بيوت الأبدية هذه رفات الآباء والأبناء الى الأبد : بعضها على هيأة أبراج ذوات غرف تودع فيها الموتى ، وبعضها على هيئة بيوت ذوات غرفة واحدة مزينة بالنقوش وأنواع الزخرفة كتبت على جوانبها أسماء ساكنيها في الأبدية ورسمت صورهم عليها »[1] .

ويقول في مكان آخر : « ولم يبق من آثار عهد تدمر في (الحلبية) إلا مقابر خارج أسوار المدينة . وهي على هيأة أبراج تتألف من طابقين أو ثلاثة طوابق وأهرام بنيت على الطريقة التدمرية في بناء القبور ، غير أنها دونها كثيراً في الصنعة وفي الفن »[2] .

---

(1) جواد علي 3-131

(2) جواد علي 3-135

ويتابع جواد علي قائلاً : « ويلاحظ انتشار هذا النوع من القبور في المناطق التي سكنها العرب في أطراف الشأم والعراق في العهد البيزنطي . . ولانتشار هذا النوع من القبور في مناطق سكنتها أغلبية من العرب المتحضرين ، نستطيع أن نقول أنها نمط خاص من أنماط بناء القبور كان خاصاً بالعرب المتحضرين »[1] .

ومن آثار تدمر أيضاً آثار معبد بعل شمين ، وآثار حمامات ، ودور خاصة مبلّطة بالفسيفساء والرخام ، وأعمدة تذكارية ، وآثار قصر آل الزباء القائم فوق النشز الغربي ، وهو بناء ضخم تتقدمه حنية ، ويشكل هذا القصر بتيجانه الغنية بالزخارف ، وعضاداته وواجهاته المخرمة بالزخارف معجزة في فنّ النحت »[2] .

وتتبين مظاهر ثروة التدمريين في المباني الجميلة المنقوشة والتي تتحدث آثارها عنها ، وفي بقايا الهياكل والأعمدة المرتفعة الجميلة المصنوعة من الحجر الصلد المصفوفة على جانب الشارع الكبير من قوس النصر المقام عند المعبد الكبير إلى نهايته في مسافة لا تقل عن ـ 1240 ـ ياردة[3] .

ولم يستخدم التدمريون الحجارة في بناء البيوت والهياكل والقصور والمقابر فحسب بل استعملوها أيضاً في بناء الأنفاق والسراديب أيضاً وهذا يدل على بلوغهم شأواً بعيداً في مضمار الهندسة الفنية . يقول المسعودي :

---

(1) جواد علي 3-136

(2) عبد العزيز سالم ص ـ 219

(3) جواد علي 3-84

« وإن الزباء ملكة الشام والجزيرة . . مدائنها على شاطىء الفرات من الجانب الشرقي والغربي ، وهي اليوم خراب ، وكانت ـ فيما ذكر ـ قد سقفت الفرات وجعلت من فوقه أبنية رومية وجعلته أنقاباً (أو أنفاقاً) وبين مدائنها . . وقالت الزباء : قد نقبت سرباً وبنيته من تحت سريري هذا حتي أخرج من تحت الفرات إلى سرير أختى رحيلة (وورد أيضاً زبيبة) »[1] .

ويقول ياقوت : « والزباء مدينة على شاطىء الفرات ، سميت بالزباء صاحبة جذيمة الأبرش . . والزباء معقل في عنان السماء ومدينة قديمة حسنة الآثار »[2] .

أما جواد علي فيقول : « وقد عثر على بقايا سراديب وقنوات تحت أسوار تدمر وقلاعها تشير إلى وجود أنفاق للهرب منها عند الاضطرار »[3] .

ويبدو أنه كان هناك مدن أخرى على الفرات للزباء وأختها منها عدّان وعزّان ، يقول ياقوت : « وعدّان وهي مدينة كانت على الفرات لأخت الزباء ومقابلتها أخرى يقال لها عزّان . وعزّان وهي مدينة كانت على الفرات للزبّاء وكانت لأختها ، أخرى يقال لها عدّان »[4] .

هذه المعلومات التي ذكرناها عن تدمر هي مستقاة من موارد غالباً ما

---

(1) مروج الذهب2-93
(2) معجم البلدان3-129
(3) المفصل3-132
(4) معجم البلدان4-88 و118

تكون قديمة وقد يكون بعضها مرتكزاً على الرواية التي يشوبها شيء من الخيال مما يبعدها عن الواقع . لذلك أرى من الضروري الاطلاع على بحوث حديثة وقد تَيَسَّر لنا ذلك عن طريق رسالة دكتوراه للسيد عدنان البنّي لم تطبع ، إذ لم نصادفها في المكتبات العامة . والذي يزيد من أهمية هذه الدراسة ، أن معدّها موظف كبير في المديرية العامة للاثار والمتاحف ، وعمله في تدمر بالذات ، فهو يقول أثناء حديثه عن مواسم التنقيب في تدمر : « وقد عهدت المديرية العامة للآثار والمتاحف لنا بادارة أكثر هذه المواسم »(1) .

وإذا علمنا أنه منذ سنة 1957 وحتى 1975 تمّ رفع أكثر من مئة ألف متر مكعب من الأتربة والانقاض في تدمر(2) . يمكننا أن نقيّم مدى الجهود التي تبذل وبالتالي المباني والآثار التي تظهر من الغياهب والتي بواسطتها يمكن تأكيد أو تصحيح الكثير من المعلومات السابقة . يقول البنّي عن المخطط العمراني لتدمر ومبانيها العامة :

إن مدينة تدمر كما تبدو لنا الآن تتبع الى حد كبير المخطط العمراني اليوناني ـ الروماني المعروف في مدائن سورية خلال العهدين الهنستي والروماني . . ومع ازدهار تدمر الاقتصادي والسياسي خلال القرن الأول الميلادي أخذت المدينة تتسع وتنتظم بشكل رائع منذ أواخر ذلك القرن ، فامتد الشارع العرضاني المعروف بطريق دمشق وازدان بالأروقة ووصل عن طريق الشارع الطويل الى مركز جديد للمدينة في مكان « التيترابيل » وهي

---

(1) عدنان البني ـ تدمر والتدمريون ـ ص ـ183

(2) البنّي ص ـ182

(المصلبة) التي يتقاطع عندها شارعا تدمر الرئيسيان . وشيدت (التيترابيل) من أربع دكات ضخمة فوق كل منها أربعة أعمدة غرانيتية بينها تمثال وفوق الأعمدة تيجان كورنثية تحمل سقيفات مزينة بأفاريز وأطناب غاية في الذوق .

وعلى مراحل ثلاثة خلال القرن الثاني والثالث الميلادي امتد شارع تدمر الطويل من جهتي (التيترابيل) وبلغ طوله حوالي كيلومتر وزيّن من على جانبيه بالأروقة التي تظلل المحلات التجارية والمشاة . وكان في نهايته من الجهة الشمالية للمدينة هيكل الموتى ، وهو مدفن جميل له واجهة مثلثة مزينة بزخارف نباتية تخلب الألباب بدقتها . كما جعلت لهذا الشارع البوابة المعروفة بقوس النصر وهي ذات ثلاثة مداخل معقودة فوق أقواس وحافلة بأروع النقوش الهندسية والنباتية[1] .

ويتابع البنّي واصفاً مسرح المدينة والأعمدة ومنصّة التمثيل الرحبة (48 × 10 م) وبناء مجلس الشيوخ ، والميدان حيث تعقد الاجتماعات العامة ، الباحة (84 × 71 م) وأعمدته التي كانت تحمل حوالي مئتي تمثال ، والهيكل والحمامات ، والقصر الذي يظن أنه كان لأسرة الزباء والذي يقول عنه أنه : « بناء ضخم تتصدره حنيّة ، يشكل بتيجانه الكورنثية الغنية وبعضاداته وواجهاته المخرمة بالزخارف النباتية الدقيقة معجزة في فنّ النحت والنقش والزخرفة ، ويكاد الانسان لا يصدق أن مثل هذه الأوراق والزهور المتفتحة والعناقيد الناضجة قد قوّرت فعلاً في الحجر فكأنها طرزت

---

(1) البنّي ص ـ142 ـ وما بعدها .

تطريزاً ، والمدينة محاطة كلها بسور من عهد زنوبيا مدعم بأبراج مربعة أو دائرية بين كل اثنين منها قرابة أربعين متراً »[1] .

وعن المدافن يقول البنّي : « المدافن التدمرية مجال حلّق فيه الفن التدمري عامة وفن العمارة خاصة . . ولعل من الظلم اطلاق كلمة المدفن في هذا المجال ، فالمدفن التدمري ، بنماذجه الثلاثة التي سنتحدث عنها ، خلو من رهبة المقابر ، هو أشبه بدارة أنيقة سكانها من الحجر الناصع مجتمعون ومتجاورون ، على الأرائك متكئون في لقاء سرمدي وفوقهم الأقواس المزهرة والأفاريز المكللة ، أبواب المدافن من الحجر ولكنها توحي بأنها خفيفة كأبواب الخشب وعُليها دقاقات ، وكل شيء في خارج المدفن يوحي بمظهر البيت ، (بيت الأبدية) كما يدعوه التدمريون[2] .

مما تقدم يتبيّن لنا الكفاءة الكبيرة التي كان يتمتع بها الصانع التدمري في مجال العمارة والنحت وقوّة سلطانه على الصخور يحفرها وينحتها ويبني منها وفيها ما يشاء من القصور والبيوت والهياكل والمقابر وغيرها يزينها ويزخرفها ويخرّمها ويقورها وكأن ما بين يديه مادة من العجين أو الخشب وليس من الصخر الصم .

وإن ما يلفت الانتباه اختلاف المؤرخين في تحديد نوعية حجر أعمدة الشارع الرئيسي في تدمر ، فيقول فيليب حتي انها من الحجر الكلسي الأبيض الوردي ، بينما يقول ياقوت إنها عمد الرخام ، ويقول جواد علي إنها الأعمدة المرتفعة الجميلة من الحجر الصلد ، أما البنّي فانه لم يحدّد

---

(1) البنّي ص ـ144 ـ وما بعدها .

(2) البنّي ص ـ147 ـ وما بعدها .

نوعيتها إنما ذكر أن مدخل الحمامات زيّن بأعمدة من الغرانيت وان الدكات الأربع الضخمة لـ « التيترابيل » فوق كل منها أربعة أعمدة غرانيتية .

وأخيراً إن تدمر كانت ولا تزال مثار عجب ودهشة وهذه آثارها تدل عليها وهي خير شاهد على ما نقوله .

هـ ـ في الحيرة

الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النّجف ، زعموا أن بحر فارس كان يتصل به ، وبالحيرة الخَوَرْنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل ، والسدير في وسط البريّة التي بينها وبين الشام ، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه . . وأما وصفهم إياها بالبياض فانما أرادوا حسن العمارة . . وقد ورد ذكرها في شعر كعب بن جُعيل حيث يقول :

وغزانـا تُبَّـع من حمير، نازل الحيرة من أرض عدن

وكذلك يقول ابن رومانس الكلبي وهو أخو النعمان ، لأمه أمهما (رومانس) :

ما فلاحي بعد الأُلى عمروا الـ ـحيرة ما أن أرى لهم من باق

ولهم كان كل من ضَرَبَ العيـ ـر بنجد إلى تخوم العراق[1]

وكأنّ ابن رومانس يبيّن لنا حدود مملكة الحيرة لتلك الفترة فكانت نجد تابعة لها ، وما يليها حتى تخوم العراق.

وكان عدة الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكاً من بني نصر وغيرهم

---

(1) ياقوت 2-328 وما بعدها .

من العرب والفرس ، وكان مدة ملكهم ـ622 ـ سنة وثمانية أشهر . . وقد كان جماعة من خلفاء بني العباس ينزلونها ويطيلون المقام بها لطيب هوائها ، وصفاء جوهرها ، وصحة تربتها ، وصلابتها ، وقرب الخورنق والنجف منها ، وقد كان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان(1) .

وقد أدى ميلاد الكوفة في الاسلام إلى أفول نجم الحيرة ، إذ انتقل الناس من المدينة القديمة الى المدينة الاسلامية الجديدة ، واستعملوا حجارة الحيرة وقصورها في بناء الكوفة . . وقد عرف ملوك الحيرة عند أهل الأخبار بـ (آل لخم) وبـ (آل نصر) ، كما عرفوا بـ (النعامنة) وبـ (المناذرة) وذلك لشيوع اسم النعمان واسم المنذر فيما بينهم ، وعرفوا أيضاً (بآل محرق) ، وفيهم يقول الشاعر الأسود بن يعفر :

ماذا أؤمل بعد آل محرق   تركوا منازلهم وبعد إياد
أرض الخورنق والسدير وبارق   والقصر ذي الشرفات من سنداد(2)

وإن رواية استعمال حجارة بيوت الحيرة وقصورها في بناء الكوفة تدل على أن الحيريين كانوا يستعملون الحجارة في البناء وليس اللبن أو الآجر أو بيوت الشعر ، كما إن قول الشاعر الأسود بن يعفر يؤكد ذلك ويذكر أسماء بعض القصور الحيرية أمثال الخورنق والسدير وبارق وقصر آخر له شرفات .

ويرى بعض الباحثين أن (المشتى) الأثر الشهير المعروف الذي نقلت أحجار جدرانه المزخرفة الى متحف (قيصر فريدرش ويلهم)

---

(1) المسعودي2-104
(2) جواد علي3-159 وما بعدها .

ببرلين ، ولا تزال آثاره باقية ، هو من بناء(امرىء القيس) ، وقد استدلوا على ذلك بطراز بنائه الذي يشبه الطراز (الحيري)[1] .

وإذا كانت صحيحة نظرية الباحثين الذين أشار اليهم جواد علي فمعنى ذلك أن الحيريين بلغوا شأواً بعيداً في فن البناء والزخرفة إذ من المرجح أن للآثار المشار اليها قيمتها الفنيّة والأثرية ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما أودعوها متحف برلين المشار اليه .

وإلى النعمان ينسب أكثر الاخباريين بناء قصر الخورنق الشهير في الأدب العربي ، وهذا ما سنتحدث عنه في باب القصور ، ويقال أنه كانت للنعمان دار في الحيرة عرفت بـ (الزوراء) وقد بقيت قائمة الى أيام أبي جعفر المنصور ، فأمر بهدمها ، ولم يذكر السبب الذي حمله على ذلك[2] .

ويقول صاحب معجم البلدان : « والزوراء : دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة ، قال ابن السكيت : وحدثني من رآها وزعم أن أبا جعفر المنصور هدمها ؛ وفيها يقول النابغة :

وأنتَ رَبيعٌ يَنعَش الناسَ سَيبُه ، وسَيفٌ أُعِيرَتْه المنيّةُ قاطعُ
وتُسقي إذا ما شئتَ غير مصرّد ، بزَوراء في أكنافِها المسكُ كارعُ[3].

وقد ورد ذكر (الزوراء) في مكان آخر من شعر النابغة حيث يقول :

ظَلَّتْ أقاطيعُ أنعامٍ مُؤَبَّلَة لَدَى صَليبٍ على الزَّوْراءِ منصوبِ

---

(1) جواد علي 3-194
(2) جواد علي 3-287
(3) ياقوت 3-156

الزوراء : وهي رُصافة هشام بن عبد الملك ، وكانت للنعمان بن الحارث في الجاهلية ، وكانت إقامته فيها ، وكانت تنتهي اليها غنائمه ، وكان عليها صليب ، لأنه كان نصرانياً ، والمؤبلة الإبل التي تتخذ للقنية والنسل ، ولا تركب ولا تستعمل[1] .

ومن جملة قصور الحيرة قصر بني بقيلة الذي ينسب الى عمرو بن بقيلة أحد وزراء النعمان ، وهو والد عبد المسيح الذي اشترك في المفاوضات مع خالد بن الوليد لعقد الصلح وتسليم الحيرة ، وله دير بناه في ظاهر الحيرة في موضع يقال له الجرعة عرف بـ (دير الجرعة) و بـ (دير عبد المسيح)[2] .

قال عبد المسيح بن بُقيلة :

كم تجرَّعت بَدير الجرَعه غُصصاً كبدي بها منصدعه

من بدور فوق أغصان على كثب زُرْنَ ، احتساباً ، بيَعَه[3]

وقد بقي عبد المسيح في ذلك الدير بعدما صالح المسلمين حتى مات بعد أن عمّر ـ350 ـ سنة ، وخرب الدير بعد مدة فظهر فيه أَزَجٌ معقود من حجارة فظنوه كنزاً ففتحوه فاذا فيه سرير رخام عليه رجل ميت وعند رأسه لوح فيه مكتوب : أنا عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة :

حَلَبتُ الدهرَ أشْطُرَه حياتي ، ونِلْتُ من المُنى فوق المزيد

فكافَحْتُ الأمورَ وكافَحَتْني فلم أخضعْ لمُعْضِلَة كَؤود

وكِدْتُ أنالُ في الشرف الثُّريَّا ولكن لا سبيلَ الى الخُلُود[4]

---

(1) ديوان النابغة ص ـ52 ـ دار المعارف بمصر .

(2) جواد علي 3-288

(3) ياقوت 2-503

(4) ياقوت 2-521

فالأزج هو بيت يبنى طولاً ، ويقال له بالفارسية أوستان [1] . والأزج المعقود من حجارة يدلنا على نمط من أنماط البناء عند الحيريين وهو البناء المعقود على شكل قنطرة أو نصف دائرة وهذا النوع من البناء يستدعي بنّاء ماهراً وذواقاً أتقن صنعته . وسرير الرخام الذي ذكره ياقوت دليل على معرفة الحيريين بهذا النوع من الحجارة وبالتالي استخدام الرخام في صناعة الأسرة ، ولا ندري هل أن الصانع الحيري استعملها للسرير الجنائزي أم لجميع أنواع الأسرة ، وهذا يوحي لنا باستعمال حجارة الرخام في مجالات أخرى من البناء والزخرفة ، . والكتابة على اللوح هل هي كتابة عادية أم حفر ولا نعرف ما هي مادة اللوح هل هو معدني أو حجري ؟

ومن الأماكن التي تنسب الى ملوك الحيرة موضع يعرف باسم (الدوسر) ، وقيل انه من أبنية أحد أمراء الحيرة ، وقد ملكه جعبر بن مالك وعرف بـ (قلعة جعبر) [2] .

ويقول ياقوت : « قلعة جعبر على الفرات مقابل صفين . . وكانت تعرف أولاً بدوسر فتملكها رجل يقال له جعبر بن مالك فغلب عليها فسميت به . . والدوسر في لغة العرب : الجمل الضخم [3] . وعليه ربما كانت تسميته بالدوسر بسبب ضخامة البناء .

ومن المواضع القريبة من الحيرة موضع يعرف بـ (الخصوص) ذكره

---

(1) اللسان 2-208

(2) جواد علي 3-303

(3) معجم البلدان 2-484 و 4-390

عدي بن زيد العبادي حيث يقول :

أبلـــغ خليلـــيّ عنـــد هنـــد فلا زلـتَ قريبـــاً من سواد الخصوص .
مُوازِيَ القُـــرة أو دونها غير بعيد عن عميرَ اللصوص .

وموضع (عمير اللصوص) وهـو قرية من قرى الحيرة ، ودير قرة ، وهو بإزاء دير الجماجم . وقرّة نسبة الى رجل من لخم بناه على طرف من البر في أيام المنذر بن ماء السماء ، وهو ملاصق لطرف البرّ ، ودير الجماجم مما يلي الكوفة (1) .

مما تقدم يظهر لنا أن الحيرة كانت حسنة العمارة إذ وصفت بالبياض وهي حسنة المناخ وأتقن الصانع الحيري صناعة زخرفة أحجار البناء ، وبنى أمراؤهـا الـدارات ، وأشـاد أثرياؤهـا الأديرة ، وتفنـن البنّـاءُ ببنـاء العقـود والقناطر ، واستعمل الرخام ، وضـخـم البنـاء . وسـكن ملوكهـا القصـور الفخمة التي اشتهرت في الأدب العربي والتي سنتحدث عنهـا في باب بنـاء القصور .

---

(1) جواد علي 3-303 ـ معجم البلدان 2-526

2ـ القصور والحصون

أ ـ القصور :

ورد في الأدب العرب أسماء العديد من القصور التي بناها العرب في العصر الجاهلي أهمها ما يلي :

الحضر : بفتح الحاء وسكون الضاد . يقول حسن ابراهيم حسن : وكان هناك قصر يقال له الحضر ، بحيال تكريت بين دجلة والفرات، أقام سابور ملك الفرس أربعة أعوام لا يستطيع هدمه ولا الوصول الى داخله(1) .

ويقول ياقوت : والحَضْر اسم مدينة بإزاء تكريت في البريّة بينها وبين الموصل والفرات ، وهي مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها ، ويقال كان فيها ستون برجاً كباراً ، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار ، بإزاء كل برج قصر وإلى جانبه حمام . . فأما في هذا الزمان فلم يبق من الحضر إلا رسم السور وآثار تدل على عظم وجلالة ؛ وأخبرني بعض أهل تكريت أنه خرج يتصيد ، فانتهى اليه فرأى فيه آثاراً وصوراً في بقايا حيطان ، وكان يقال لملك الحضر الساطرون ، وفيه يقول عدي بن زيد :

واری الموت قد تدلیّ من الحضـ ـر على رب ملكه الساطرون

وقال عدي أيضاً :

وأخو الحضر ، إذ بناه ، وإذ دِجـ ـلةُ تُجبى اليه والخابور

وقال الأعشى :

ألم تر للحضر ، إذ أهلُهُ بنُعْمى ، وهل خالد من سَلِمْ(2)

---

(1) تاريخ الاسلام ص ـ36

(2) معجم البلدان 2-268

من هذه الروايات عن (الحضر) يبدو لنا أنه لم يكن حصناً واحداً ولا قصراً واحداً بل هو مجموعة من البروج والقصور مبنية بالحجارة المهندمة أي أن أوجهه منحوتة وهذا يدل على رقيّ في الصنعة . وحسب رواية من زاره من أهل تكريت أنه رأى آثاراً وصوراً في بقايا حيطان مما يدل على أنه كان عند أهل الحضر ذوق فنّي وأنهم كانوا يزخرفون حيطان منازلهم .

الخورنق :

لقد ارتبط اسم الخورنق في القصص الذي شاع حوله باسم بانيه المسمى (سنمار) وهو في زعم الأخباريين بنّاء ،رومي كلفه النعمان بناء القصر . . ويقال أن سنمار صرف عشرين حجة في بنائه البنيان بالقرميد والسكب . وقيل فلما فرغ من بنائه تعجبوا من حسنه واتقان عمله . فقال سنمار : لو علمت أنكم توفونني أجري وتصنعون بي ما أنا أهله ، بنيت بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ؛ فقال له النعمان : وإنك لتقدر أن تبني ما هو أفضل منه ولم تبنه ؟ فأمر به فطرح من رأس الخورنق[1] .

وقد نسب بعض أهل الأخبار قصة نهاية سنمار إلى (أُحيحة بن الجلْاّح) ، فذكروا أن أحيحة أراد بناء أطم له ، فبناه له سنمار . فلما كمل ، عجب من بنائه ، فقال له سنمار ؛ إنّي لأعرف فيه حجراً لو انتزع لتقوض من عند آخره ، فسأله عن الحجر ، فأراه موضعه ، فدفعه أحيحة من الأطم فخرّ ميتاً[2] .

وقيل أن مكان الخورنق يقع على بعد ثلاثة أميال من الحيرة ، وقيل هو

---

(1) حسن ابراهيم حسن . ص ـ35

(2) جواد علي 3-201

موضع بالكوفة ، بناه النعمان الذي ملك ثمانين سنة وبنى الخورنق في ستين سنة . بناه رجل من الروم يقال له سنمار . حينما فرغ من بنائه قال : إني أعلم موضع آجُرَّة لو زالت لسقط القصر كلّه . فقال النعمان أيعرفها أحد غيرك ؟ قال لا . . فقذف به الى أسفل ومات . وقال الهيثم بن عدي : لم يقدم أحد من الولاة الكوفة إلاّ وأحدث في قصرها المعروف بالخورنق شيئاً من الأبنية ، فلما قدم الضحّاك بن قيس بنى فيه مواضع وبيضه وتفقد [1] .

ويضرب المثل بنهاية سنمار في الجزاء السيّء ، فيقال : جزاه جزاء سنمار . قال الشاعر :

جَزَتْنا بَنُو سَعْدٍ بِحُسْنِ فعالنا جَزَاءَ سِنِمَّارِ وما كانَ ذا ذَنْب[2]

وقد ورد ذكر الخورنق ، في شعر عدي بن زيد حيث يقول :

وتبيَّن ربُّ الخورنق ، إذ أشْـ ـرَفَ يوماً ،وللهُدَى تفكيرُ[3]

وقد ورد ذكره أيضاً في شعر حسان بن ثابت الأنصاري ، حيث يقول :

وحارثة الغطريف أو كابن منذر ومثل أبي قابوس ربّ الخورنق

وورد ذكر الخورنق في شعر المنخل :

وإذا صحوت فانني رب الشريهة والبعير

وإذا سكرت فانني رب الخورنق والسدير[4] .

---

(1) ياقوت2 -2-402

(2) اللسان4 -383

(3) اللسان10 -79

(4) جواد علي3 -202 ـ203

وفي شعر المتلمس :

ولكَ السَّديرُ وبارقٌ ومُبايضٌ ولكَ الخورنق[1]

يبدو مما تقدم من أقوال الشعراء وغيرها أنه كان للخورنق شأن كبير وقد اختلف في أمر صاحبه الأساسي إنما يبدو أن هناك شيء من الإجماع في أن الذي أشرف على بنائه هو سنمار وهو رجل أعجمي وقد بقي في بنائه عشرين حجة أو ستين ، فلا يعقل أن يكون هو وحده عامل البناء ، إذ يمكن أن يكون هو المهندس أو المشرف الرئيسي على البناء ، بينما يرجح أن يكون العمال والبناؤون من العرب ، وقد أشير الى أنه كان قد بني من الآجر أو القرميد والسكب ، وفي إشارة أخرى أنه بني من الحجارة . وعلى كل حال ، لقد خلّد الأدب العربي اسم الخورنق مما يدل على أنه كان من مفاخر البناء في العصر الجاهلي ، وعلى أن صناعة البناء في ذلك الوقت كانت على درجة ممتازة .

السدّير :

يقال معرّب ، وأصله بالفارسية (سِه دِلَه) ، أي فيه قباب مداخلة مثل الجاري بكُمَّين . . قال أبو حاتم : سمعت أبا عبيدة يقول هو (السَّدِلَّى) أي له ثلاثة أبواب . وقد ذكره الأسود بن يعفر بقوله :

أهل الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذي الشرفات من سِنداد

وذكره عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة :

أبعد المنذرين أرى سواماً تُرَوَّحُ بالخورنق والسّدير[2]

---

(1) شرح القصائد السبع ص ـ123

(2) معجم البلدان 3-201

يلاحظ اقتران اسم الخورنق باسم قصر السدير ، وينسب بناء السدير الى النعمان أيضاً نفسه ، وقد ورد أنه كان بعيداً عن الحيرة بينها وبين الشام في البرية . ومن تفسير الأصل الفارسي لاسمه ، يبدو أنه كان قبة في ثلاث قباب متداخلة(1) . وذكر الخورنق أولاً ثم السدير ، ربما يوحي لنا أن الأول كان أضخم بنياناً ، مع أنَ البعض يشيرون الى أنه كان له ثلاثة أبواب استنتاجاً من تفسير (السِّدِلّي) والتي سبق الاشارة اليها .

قصر غُمْدان : بضم الغين وسكون الميم : البناء العظيم بناحية صنعاء اليمن ، قيل : هو من بناء سليمان(2) وقد صحّفه الليث فقال عُمدان بالعين المهملة. ويجوز أن يكون جمع ، غمد ، وغمد الشيء : غشاؤه ولبسته ، فكأن هذا القصر غشاء لما دونه من المقاصير والأبنية ؛ قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي : إن لِيشَرْحَ بن يحصب اراد اتخاذ قصر بين صنعاء وطيوة فأحضر البنائين والمقدّرين لذلك ، فمدوا الخيط ليقدره فانقضّت على الخيط حِدَأة فذهبت به فاتبعوه حتى ألقته في موضع غمدان ، فقال لِيَشْرَح : ابنوا القصر في هذا المكان ، فبنيَ هناك على أربعة أوجه : وجه أبيض ووجه أحمر ووجه أصفر ووجه أخضر ، وبنى في داخله قصراً على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً ، وكان ظله إذا طلعت الشمس يُرى على عيْنَان وبينهما ثلاثة أميال ، وجعل في أعلاه مجلساً بناه بالرخام الملوّن ـ وجعل سقفه رخامة واحدة ، وصيّر على كل ركن من أركانه تمثال أسد من شبه كأعظم ما يكون من الأُسد ، فكانت الريح اذا هبّت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دبره وخرجت من فيه فيسمع له زئير

---

(1) اللسان 4-355

(2) اللسان 3-327

كزثير السباع ، وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت ليلاً فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق ، فاذا أشرف عليه الانسان من بعض الطرق ظنه برقاً أو مطراً ولا يعلم أن ذلك ضوء المصابيح ؛ وفيه يقول ذو جدن الهمذاني :

وغمدانُ الذي حُدِّثتِ عنه بناه مشيَّداً في رأس نيق
بمرمرَةٍ وأعلاه رخامٌ تُحامُ لا يُعَيَّبُ بالشقوق
مصابيح السليط يَلُحْنَ فيه إذا يُمسي كتَوْماض البروق
فأضحى بعد جِدَّته رماداً وغيّرَ حُسنَه لهبُ الحريق[1]

ويقول فيليب حتي : « ويعزى الى الملك الشرحا الذي تولى الحكم في القرن الأول للميلاد أنه بنى أفخم قصور اليمن ، وقد دعيت اليمن « بلاد القصور » وهذا القصر هو غمدان في صنعاء ، وكان المتحضرون من (حمير) يبادرون بحكم الضرورة الى ابتناء القصور والمعاقل المنيعة اتقاء لغارات البدو ، ولقد امتدح الهمداني المتوفي بصنعاء سنة 945 ـ م . وياقوت بعده عظمة غمدان ووصفا اتقان بنيانه وصفاً دقيقاً برغم أن رسومه كانت قد عفت في عصرهما ، ولم يتخلف منه سوى حطامه الضخم ، فكان في هذه القلعة فيما رواه هذان الجغرافيان عشرون طبقة مسقوفة بعضها فوق بعض وبين كل سقفين عشرة أذرع ـ فهذه إذن أول ناطحات السحاب في التاريخ المدوّن . وكانت مبنية بالغرانيت والبرفيري والرخام . وجعل صاحب غمدان مجلسه في أعلى طبقة في القصر وأطبق سقفها برخامة واحدة فكان يستلقي على فراشه في الغرفة فيمر به الطائر فيعرف به الغراب من

---

(1) ياقوت4 -210 ابن هشام ـ السيرة النبوية1 -39 تحقيق السقّار الأبياري ، شلبي ـ

الحدأة . وفي غمدان يقول الهمداني :

ومـــن السحـــاب معصَّـــب بعمامة ومـن الرخـــام مُنَطَّـــق ومُؤَزَّرُ »(1)
يسمـو الـى كبـد السمـاء مُصعدا عشرين سقفـاً سمكهـا لا يقصرُ

ويقول عبد العزيز سالم : « وكانت بلاد اليمَن في الجاهلية أكثر بلاد العرب تحضّراً ، وكانـت كثيرة الحصـون والمسالـح والقصـور ، وكانـت القصور تعرف بالمحافد ، ومحافـد اليمـن كثيرة . . وإذا تجمـع عدد من المحافد والقصور في مقاطعة كبيرة سمي مخلاف . . وقد أحصى اليعقوبي عدد مخاليف اليمن فوجد أنها ــ84 ـ مخلافاً . ومن أشهر قصور اليمن : غمدان ، وسلحين وبينون ، وفيها يقول الشاعر :

هل بعد غُمــدان أو سِلحينَ من أثرٍ، أو بعد بَيْنُونَ يبني الناسُ أبياتاً » ؟ (2)

وفي غمدان وملوك اليمن يقول دعبل بن علي الخزاعي :

منــازلُ الحـــيِّ من غُمــدانَ فالنّضد فمـــأرب فظفـــار الملك فالجَنَدِ
أرض التبابـــعِ والأقيال من يَمَن ، أهل الجياد وأهــل البيض والزَّرد (3)

وقد ورد ذكر غمدان في شعر ثعلبة حيث يقول :

ولو كنــتُ في غُمــدانَ يحـُـرسُ بابَهُ أراجيلُ أُحبــوشٍ وأســودُ آلِفُ (4)

وهدم غُمدان في أيام عثمان بن عفان ، رضي الله عنـه ، فقيل له : « إنّ كهان اليمن يزعمون أن الذي يهدمه يُقتل ، فأمر بإعادة بنائـه ، فقيل له : لو أنفقت عليه خرج الأرض ما أعدته كما كان ، فتركه ، وقيل : وُجد

---

(1) تاريخ العرب ص ـ91 وما بعدها .
(2) تاريخ العرب في العصر الجاهلي ص ـ121 . ياقوت1 -535 (الشاعر هو ذو جدن)
(3) ياقوت4 -210
(4) المفضليات ص ـ283

على خشبة لما خُرِّب وهدم مكتوب برصاص مصبوب : اسلم غمدان هادمك مقتول ، فهدمه عثمان ، رضي الله عنه ، فقتل [1] .

يبدو لنا مما تقدم أن هناك اختلاف في من بنى غمدان ، فمنهم من ينسبه الى سليمان والجان والشياطين كما هو الحال مع ابن منظور ، وهذه عادة ألفناها ، وهي نسب كل عمل عظيم أو بناء ضخم الى الجان .

ومنهم من ينسبه الى لِيشَرْح أحد ملوك اليمن كما هو حال هشام الكلبي . ويبدو أن قصة ابن الكلبي هذا التي يرويها عن كيفية بناء غمدان وانقضاض الحِدَأة على الخيط فيها شيء من الخيال .

وكذلك هناك اختلاف في عدد طوابق غمدان ، ففي رواية ياقوت عن هشام الكلبي يقول أن عدد السقوف سبعة ، بينما يقول فيليب حتي نقلاً عن الهمداني وياقوت أن تلك القلعة مؤلفة من عشرين طبقة وهذا ما نستنتجه من شعر الهمداني .

وهناك اختلاف في المسافة بين السقفين ، في رواية ياقوت عن هشام الكلبي ، المسافة بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً بينما يقول فيليب حتي أن المسافة بين السقفين عشرة أذرع .

وعلى الرغم من تلك المفارقات فان هناك حقيقة تبدو جليّة واضحة وهي أن بلاد اليمن كانت بحق بلاد القصور ، وان قصر غمدان على درجة كبيرة من الضخامة فلو تركنا رواية العشرين سقفاً وأخذنا برواية السبعة سقوف ، وتركنا رواية المسافة بين السقفين أربعين ذراعاً وأخذنا برواية المسافة عشرة أذرع لبلغ معنا ارتفاع قصر غمدان ما يزيد على السبعين

---

(1) ياقوت 4-211 ، جواد علي 8-8

ذراعاً ، وإذا اعتبرنا طول الذراع سبعين سنتمتراً لبلغ ارتفاع غمدان بالامتار حوالي ـ49 ـ متراً وإذا ما قورن ذلك بالبناء الحديث لوجدنا أنه يوازي بناء مؤلفاً من حوالي ـ16 ـ طابقاً يعلو بعضها بعضاً .

كما أن الهمداني يشير الى ذلك الارتفاع الهائل في شعره الذي سبق ذكره ، إذ يقول : « ومن السحاب معصب بعمامة » ومعنى ذلك أن السحاب يلف أعلى القصر وكأنه يعمّمه . وهي اشارة الى ارتفاعه الشاهق .

وكذلك يشير الهمداني إلى أن بناء غمدان لم يكن من الحجر الكلسي فقط بل استعمل حجر الرخام في بنائه . وورد معنا أوجه البناء الأربعة والتي كل منها بلون ، وهذا دليل على الزخرفة والتزيين . واستعمل أيضاً حجر المرمر في البناء والزخرفة ؛ وتلك البلاطة التي كانت في أعلى البناء ، لا شك في أنها كبيرة المساحة كونها تغطي السقف ، وكانت على درجة من الشفافية تسمح لمن ينظر من خلالها أن يميّز بين الغراب والحِدَأة .

وتلك المصابيح التي كانت تنير غمدان ، وتنير ما حوله ، والأسد التي كانت تزأر مع كل نسمة ، كل ذلك يظهر لنا الدرجة العظيمة التي بلغها الصانع العربي الجاهلي في صناعة البناء وزخرفته وتزيينه بالاضافة الى المستوى الذوقي والجمالي الذي بلغه ، ويكفي أن نعرف أن عمله هذا وصناعته هذه نسبها البعض إلى الجن والشياطين وهذا أكبر دليل على بلوغه حد الإعجاز .

قصر القشيب :

القَشِيبُ ، قصر باليمن عجيب في جميع أموره ، وكان الذي بناه من ملوكهم شُرَحبيل بن يَحْصُب ، وكان في بعض أركانه لوح من الصفر مكتوب فيه : الذي بنى هذا القصر توبل وشجرا ، أمرهما ببنائه شرحبيل بن يحصب

ملك سبأ وتهامة وأعرابها ، وفي القشيب يقول علقمة بن مَرْثَد بن عَلَس ذي جَدَن :

أقفر من أهله القشيب وبان عن أهله الحبيب(1)

ولكن ياقوت ، مع الأسف ، لم يبيّن لنا أوجه العجب في هذا القصر ، بل أشار اليها فقط . وبيناً هو يقول عنه أنه باليمن نرى ليلى صباغ تحدد مكانه في مأرب ، إذ تقول : « وفي مأرب قصور عديدة منها (سلحين) و (الهجر) و (قشيب) »(2) .

قصر كوكبان :

كوكبان : جبل قرب صنعاء وإليه يضاف قصر كوكبان ، وقيل : إنما سمي كوكبان لأن قصره كان مبنيّاً بالفضة والحجارة وداخله بالياقوت والجوهر، وكان ذلك الدّرّ والجوهر يلمع بالليل كما يلمع الكوكب فسمي بذلك ، وقيل إنه من بناء الجنّ(3) .

عرفنا أن الجاهليين كانوا يذيبون الرصاص في اليمن ويضعونه في أسس الأبنية الضخمة وفي جدران سد مأرب ، كما نقروا أحياناً في أواسط الرخام نقراً عميقة ، ثبّتوا في داخلها أوتاداً من الرصاص أو الحديد ، لتربط بين قطع الرخام ، ولتكون لها سنداً وقوة ، فلا تسقط ، وقد وجدت مثل هذه الأوتاد بين الصخور المكونة لسدّ مأرب ، وكذلك في قصر غمدان(4) . فهل

---

(1) ياقوت 4-352

(2) ليلى صباغ ص-437

(3) ياقوت 4-494

(4) جواد علي 8-37

توصل البناء العربي في العصر الجاهلي الى إدخال الفضة في عملية البناء أيضاً ؟ وفي الجدران الخارجية بدلاً عن الحجارة ؟ ربما كان هناك شيء من الفضة استعملت بمثابة تزيين وليس أكثر .

قصر مأرب :

قصر مأرب هو قصر عظيم عالي الجدران ؛ وفيه قال الشاعر :

أمـــا ترى مأرباً ما كان أحصنه ومـــا حواليه من سور وبنيان

ظلّ العبـــاديُّ يسقـــي فوق قلّته ولـــم يَهَـــبْ ريب دهر جدّ خوّان

حتـى تناولـــه من بعدمـــا هجعوا يرقـــى إليه علـــى أسبـــاب كتّان

وقال جهْمُ بن خلف :

ولـم تدفـع الأحسـاب عن ربّ مأرب منيّتـــه ومـــا حواليه من قصر

ترقّـــى اليه تارة بعـــد هجعة بأمراس كتّـان أمِـرّت علـى شزر[1]

يبدو من هذه الأقوال أن قصر مأرب كان مبنيّاً بطريقة تجعله محصناً تحصيناً عظيماً ، أو ربما كان هناك حصون تحيط به وتحميه لذلك استعمل الشاعر صيغة أفعل التفضيل ليدل على حسن تحصينه ويشير أيضاً الى بناء السور العظيم الذي كان يحيط به بالاضافة الى البنيان ، كل ذلك يزيد من تحصينه أو يجعله أفضل تحصيناً من غيره .

وأما قول جهم بن خلف فيُحتمل أن يكون قاصداً بربّ مأرب أي بمنطقة مأرب أو ملك بلاد مأرب ، وربما كان يقصد القصر الذي نحن بصدده ، ويبدو أن البيت الثاني عند جهم يشبه الى حد كبير البيت الثالث عند شاعرنا : حتى تناوله من بعد . . وذلك من حيث المبنى والمعنى .

---

(1) ياقوت 5-37

قصر ناعِط :

قيل : ناعط : حصن في رأس جبل بناحية اليمن قديم كان لبعض الأذواء قرب عدن ، قال وهب : قرأنا على حجر في قصر ناعط : بُني هذا القصر سنة كانت مسيرتنا من مصر ، قال وهب : فاذا ذلك أكثر من ألف وستمائة سنة[1] . وقد ذكره امرؤ القيس ، في القصيدة التي قالها حين توجه الى قيصر مستنجداً على بني أسد حيث يقول :

عليها فتىً لم تحمِل الأرضُ مثلَه   أبَرَّ بميثاقٍ وأوفى وأصبْرا
هُوَ المُنْزِلُ الآلافَ من جوّ ناعِط،   بني أسد حَزْناً من الأرضِ أوْعَرا[2]

ولماذا ذكر امرؤ القيس ناعطاً دون سواه ؟ هذا يدل على مكانته وشهرته ، ويوحي لنا امرؤ القيس ، من قوله هذا ، أن قصرنا عط كان محصناً تحصيناً كبيراً .

وقال الصولي في شرح قول أبي نواس يفتخر باليمن :

لستُ لدار عفَتْ وغيّرها   ضرْبان من نَوْئها وحاصبها
بل نحن أرباب ناعط ولنا   صنعاء والمسك في محاربها

يقول : نحن ملوك أهل عدن ولسنا كنزار أهل وبر ، وصِفاتٌ للديار والرياح والصحارى . وناعط : قصر على جبلين باليمن لهمدان ، ومن أكاذيبهم فيما أحسب قول بعضهم : ناعط قصر على جبلين لهمدان : إذا أشرقت الشمس سار الراكب في ظله أربعة فراسخ ، وهذا من المحال لأن الراكب لا يسير أربعة فراسخ الا والشمس قد صارت في وسط السماء ، فان

---

(1) ياقوت 5-253

(2) ديوان امرىء القيس ص ـ95 دار صعب

أريد أن الشمس إذا أشرقت يمتد ظله أربعة فراسخ كان أقرب إلى الصحيح ، والله أعلم[1] .

ب ـ بناء الحصون :

نحن الآن نميّز بين القصر والحصن ، فالقصر بناء رحب تحيط به الحدائق والزهور قليل الارتفاع ، منظره الخارجي جميل يرتاح اليه النظر ، وفرشه الداخلي وثير وكل ما فيه يدل على الترف والنعمة غالباً ما يكون على ربوة ، بعيداً عن الضوضاء ، لقد أُعد خصيصاً لطبقة غنية مميزة في المجتمع .

أما الحصن فغالباً ما يكون بناء ضخماً مرتفعاً ما أمكن ، يتعذر التسلق عليه من الخارج ، فيه فجوات أعدت خصيصاً لرمي السهام وسواها على المهاجمين ، جدرانه سميكة يتعذر على الأعداء احداث فجوات فيها ، وكل ما فيها يدل على الخشونة وشظف العيش .

وقد تبين لي أنه كان هناك شيء من الخلط في التسمية بين القصر والحصن ، فبيناً نقرأ عن سلحين مثلاً على أنه قصر ، نجد في مرجع آخر أنه حصن ؛ ويمكن أن يكون القصر المعدّ لسكن الملك أو الأمير هو في نفس الوقت حصن يحميه من غارات الأعداء أي فيه مقومات الحصن .

ويقول جواد علي : « وقد أطلق عرب العراق لفظة قصر على حصونهم التي كانوا يتحصنون بها عند دنو خطر عليهم ، فكانت الحيرة مكونة من قصور، أقامها أشرافها ، واتخذوها بيوتاً لهم ، وحماية لأموالهم ، وملجأ يلجأ اليه اتباعهم عند دنو الخطر للدفاع عن سادتهم وعن أموالهم ،

---

(1) ياقوت 5 - 253

يصعدون الى أعلى القصر ، فيرمون المهاجم بالحجارة والخزف والسهام والنار ، ويصبون عليه الماء الحار . . ولا تزال اللفظة معروفة في العراق ، فيعرف حصن (الأخيضر) المشرف في البادية بـ (قصر الأخيضر)[1] .

هذا وقد ورد لفظة حصن عند الشعراء الجاهليين . قال علقمة بن عبدة الفحل :

وكلُّ حِصْنٍ وإنْ طالَتْ سلامَتُهُ　　على دعائِمِهِ لا بدَّ مهدومُ[1] .

وكثيراً ما ترد في الشعر الجاهلي لفظة (أجم) ، والأُجُم : حصن بناه أهل المدينة من حجارة . . وقيل،كل بيت مربّع مسطّح أجم ، قال امرؤ القيس :

وتَيْمَاءَ لم يَتْرُكْ بها جِذْعَ نَخْلَة　　ولا أُجُماً إلاّ مَشِيداً بِجَنْدَلِ[2]

والأُجُم : القصر بلغة أهل الحجاز . وفي الحديث : حتى توارت بآجام المدينة أي حصونها[3] .

وقد وردت الآجام في شعر قيس بن الخطيم حيث يقول :

مَعَاقِلُهُمْ آجامُهُمْ ونساؤُهُمْ　　وأَيْمانُنا بالمشْرَفِيَّةِ مَعْقِلُ[4]

وقال عبيد بن الأبرص :

أفَلاَ تَنَاسَى حُبَّها بِجُلاَلَة　　وَجْنَاءَ كالأُجُمِ المطينِ ولُوسِ[5]

---

(1) جواد علي 8-34
(2) المفضليات ص ـ 401
(3) اللسان 12-8
(4) اللسان 12-8
(5) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ 137
(6) ديوان عبيد بن الأبرص . ص ـ 68

فالأُجُم هو الحصن المشيّد من الحجارة كما يشير الى ذلك صاحب اللسان وامرؤ القيس ، ويبدو من قول عبيد بن الأبـرص أن بعض الأجـم كانت تطلى من الخارج بالطين طلاءً تاماً لذلك شبّه الناقة الضخمة الكثيرة اللحم أو الصلبة بالأُجُم .

« وأما الأطم فالحصن والجمع آطام ، وهي القصـور والحصـون ، وقال الأصمعي : الآطام الدور المسطحة السقوف ، موشاة أي منقوشـة ، وهي معروفة عند أهل (المدينة) . وقد امتازت يثرب عن مكة بوجود الأطم بها ، وهي تتكون من طابقين في الغالب ، أو ثلاثة طوابق ، تكون ضخمة نوعاً ما يعيش فيها ساداتها ، وتكون حصوناً لأهـل المدينـة . . وقـد بنيت بالآجر وباللبـن أحيانـاً ، وبالـطين أحيانـاً أخـرى ، حيث تجعـل الجـدر عريضة ، لتقف صامدة أمام الدهر والمهاجمين ، وتتخذ في أعلى الأطـم مواضع يقف عليها المدافعون لرشق المحاصر بالسهام أو غيرها »[1] .

ومن الحصون التي أخذت شهرة في الأدب العربي ما يلي :

الأبْلَقُ : وهو حصن السّموأل بن عادياء اليهـودي ، وهـو المعـروف بالأبلق الفرد ، مشرف على تيماء بين الحجاز والشام على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لبن لا تدلُّ على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب ، وإنما قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة ، وكان أول من بناه عادياء أبو السموأل اليهودي ، ولذلك قال السموأل :

بنـى لي عادياً حصنـاً حصيناً ، ومـاءً كلّمـا شئـت استقيتُ
رفيعـاً تزلَـقُ العقبـان عنه ، إذا ما نابنـي ضيمٌ أبَيْتُ[2]

---

(1) جواد علي 8 -9 و35

(2) ياقوت 1 -75 ـ ديوان السموأل ص ـ79 ـ دار صادر .

وورد ذكر الأبلق في قصيدة للأعشى يمدح فيها شريح بن حصن بن عمران بن السموأل بن عاديا حيث يقول :

بالأبلقِ الفردِ من تيماءَ منزلُهُ   حِصنٌ حصينٌ وجارٌ غيرُ غدّارِ[1]

وورد أيضاً في القصيدة التي يمدح فيها المحلق بن خنثم بن شداد بن ربيعة وذلك في قوله :

ولا عَادِيَا لم يَمْنَعِ الموتَ مالُهُ   وِرْدٌ بِتَيْماءَ اليَهُودِيِّ أَبْلَقُ .
بناهُ سليمانُ بنُ داوودَ حِقْبَةً ،   له أَزَجٌ عالٍ وَطَيٌّ مُوَثَّقُ
يُوَازِي كُبَيْدَاءَ السَّمَاءِ وَدونَهُ   بَلاطٌ ، وَدَاراتٌ ، وكِلْسٌ ، وَخَنْدَقُ
له دَرْمَكٌ في رأسِهِ ، وَمَشَارِبٌ ،   ومِسْكٌ ، وَرَيْحانٌ ، وَرَاحٌ تُصَفَّقُ[2]

وقال السموأل يصف نفسه وحصنه :

لنا جبلٌ يحتلُّهُ من نُجيرُهُ   منيعٌ ، يَرُدُّ الطَّرْفَ وهو كَليلُ
رَسَا أصلُهُ تحت الثَّرى وسَمَا بِهِ   إلى النَّجْمِ فَرْعٌ ، لا يُنَالُ ، طويلُ
هوَ الأبْلقُ الفَرْدُ ، الذي سارَ ذِكرُهُ ،   يَعِزُّ على من رَامَهُ ، ويَطُولُ[3]

مما تقدم يتبين لنا أن تسميه هذا الحصن بالأبلق ، كان بسبب بياض وحمرة في بنائه ، ومعنى ذلك أنه كان فيه شيء من الزخرفة الملونة ، إذ أن البناء العربيّ الجاهلي ، الذي شيّد هذا الحصن كان يستعمل حجارة بيضاء وحجارة حمراء ، قد تكون في وجه واحد ، وقد يكون كل وجه بلون ، وهذا طبعاً بدافع ذوقي ليضفي على البناء رونقاً وجمالاً ، وهذا دليل على تقدّم في الصنعة . أمّا ما أشار إليه ياقوت من أن البناء قد أقيم « على رابية من تراب ،

---

(1) ديوان الأعشى ص ـ69 ـ . ـ ياقوت1 -76 ـ مروج الذهب2 -97
(2) ديوان الأعشى ص ـ116 ـ ياقوت1 -76 (وفي لسان العرب حصن بدل ورد)
(3) ديوان السموأل ص ـ90 ياقوت1 -76

فيه آثار أبنية من لبن لا تدل على ما يحكى عنها من العظمة والحصانة » .
فيبدو وكأن هذا الكلام لا ينطبق عما يوحيه لنا شعر السموأل صاحب الحصن حيث قضى فيه حياته ، ولا شعر الأعشى الذي عاصر شريح وشاهد بنفسه الحصن . فالسموأل والأعشى اتفقا على أنه حصن حصين ، والسموأل يقول أنه : رفيع تزلق العقبان عنه ، وهذا يدل على أنه كان شاهقاً فلا يمكن أن يكون البناء مرتفعاً إلاّ إذا كان مبنيّاً على أرض صلبة . وفي قوله : لنا جبل ، غالباً يقصد الحصن الذي شبهه بالجبل لضخامته ، ويرد الطرف وهو كليل ، ربما يقصد من ذلك أن ضعيف البصر لا يتمكن من رؤية نهايته لارتفاعه الكبير ، ثم يبين أن أصله قد رسا تحت الثرى ، وهذا شيء بديهي ، إذ كل من يريد أن يشيد بناء يحفر في التراب حتى يصل الى الصخر ، أو الأرض الصلبة ، وخاصة إذا أريد أن يكون البناء عالياً ، وهذا ما يؤكده السموأل بقوله « سما به الى النجم » أي ان ارتفاعه كان شاهقاً جداً . وقوله : يعزّعلى من رامه ويطول ، أي يصعب الاستيلاء عليه لمناعته ، وهذا صحيح إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الكلام المنسوب الى الزبّاء وهو : تمرد مارد وعز الأبلق[1] .

وهذا صاحبنا الأعشى يرد بناءه الى سليمان بن داود كما مرّ معنا ، وهذا أكبر دليل على أن حصن الأبلق كان على درجة كبيرة من الجمال والضخامة والعظمة ، حيث أن العادة قد جرت عند العرب الجاهليين وهي أن ينسبوا كل بناء خارق الى سليمان والجن والشياطين .

وتلك الآثار من اللبن التي يشير اليها ياقوت ربما كانت لابنية مجاورة أو تابعة للحصن .

---

(1) مروج الذهب2-97

حصن بَيْنُون :

وهو حصن عظيم كان باليمن قرب صنعاء اليمن ، يقال إنه من بناء سليمان بن داود ، عليه السلام ، والصحيح أنه من بناء بعض التبابعة ، وله ذكر في أخبار حِمْيَر وأشعارهم ؛ قال ذو جدن الحميري :

لا تَهْلِكَنْ جَزَعاً في إِثْرِ مَن ماتا فإنّه لا يَرُدُّ الدّهرُ ما فَاتَا
أبَعْدَ بينُونَ لا عينٌ ولا أثرٌ وبعدَ سَلْحِينَ يَبني الناسُ أبْياتا

وقال ذو جدن أيضاً :

يا بنتَ قَيْلِ مَعافِرِ لا تَسْخَري ثم اعذريني بعدَ ذلك أو ذَرِي
أوَلاَ تريْنَ ، وكلُّ شيء هالكٌ بَيْنُون هالكةً كَأَنْ لم تعْمُرِ ؟(1)

ويبدو من أقوال ذي جدن أن حصن بينون كان عظيماً جداً مما جعله يضرب به المثل ، فرغم عظمة بنائه لا بدّ أن يأتي عليه يوم يندثر فيه ويزول عن الوجود ، فاذا كانت هذه حال بينون ، فكيف تكون حال الأبنية الأخرى ؟

حصن ريدان :

هو حصن باليمن في مخلاف يحصب ، يزعم أهل اليمن أنه لم يبن قط مثله ، وفيه قال امرؤ القيس :

تمكّن قائماً وبنى طمّراً على ريدان أعيط لا ينال(2)

ويقول جواد علي : « وقد كان الحميريون يسيطرون على القسم الجنوبي الغربي من العربية الجنوبية ، ولا سيما في مدينة ظفار وحصنها

---

(1) ياقوت 1-535
(2) ياقوت 3-111

الشهير المعروف بـ (ريدان) الذي يرمز الى ملوك حمير والذي يحمي العاصمة من غارات الأعداء ، وهو بيت الملوك وقصرهم أيضاً[1] .

وقد أخذ حصن (ريدان) اسمه من حصن أقدم عهداً منه كان في قتبان ، بني عند ملتقى أودية في جنوب العاصمة (تمنع) ، عرف بـ (ذي ريدان) ، ولما كان الحميريون يقيمون في الأرض المعروفة بـ (ذي ريدان) وذلك حينما كانوا أتباعاً لمملكة قتبان ، لذلك أطلقوا على الحصن الذي بنوه بـ (ظفار) اسم حصن ذي ريدان ، تيمناً باسم قصرهم القديم ، وأطلقوا ذي ريدان على وطنهم الجديد الذي أقاموا فيه بعد ارتحالهم عن قتبان ، ليذكرهم باسم وطنهم القديم[2] .

حصن سلحين :

حصن عظيم باليمن كان للتبابعة ملوك اليمن ، وزعموا أن الشياطين بنت لذي تبّع ملك همدان حين زوّج سليمان ببلقيس قصوراً وأبنية ، وكتبت في حجر وجعلته في بعض القصور التي بنتها : نحن بنينا بينون وسلحين وصرواح ومرواح برجاجة أيدينا . . وقال علقمة بن شراحيل بن مرثد الحميري (ذو جدن الحميري الذي سبق ذكره) :

يا خلّتي ما يردّ الدّمع ما فاتا ... لا تهلكي أسفاً في إثر من ماتا
أبعد بينون لا عين ولا أثر ، ... وبعد سلحين يبني الناس أبياتا ؟

وقد ذكر أن سلحين بنيت في سبعين سنة ، وبني براقش ومعين ، وهما حصنان آخران ، بغسالة أيدي صنّاع سلحين ، فلا يرى لسلحين أثر وهاتان قائمتان ، روى ذلك الأصمعي عن أبي عمرو[3] .

---

(1) المفصل2-516

(2) جواد علي2-517

(3) ياقوت3-235 ـ ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ1-38 ـ تحقيق السقّ ، الأبياري ، شلبي ـ

حصن صرواح :

حصن باليمن ، أمر سليمان ، عليه السلام ، الجنّ فبنوه لبلقيس[1] .

وقال ياقوت : صرواح حصن باليمن قرب مأرب يقال إنه من بناء سليمان بن داود ، عليه السلام ، وأنشد ابن دريد لبعضهم في أماليه :

حلَّ صِرْوَاحَ فابتنــى ، في ذراه حيث أعلــى شِعافــه ، محرابا

وقال ابن أبي الدمينة سعد بن خولان بن قضاعة ، وهو الذي تملك بصرواح ، وأنشد لبعض أهل خولان :

وعلـى الـذي قهــرَ البــلادَ بعزّة سعــد بن خولان أخــي صرواح

وقال عمرو بن زيد الغالبي من بني سعد بن سعد :

أبونا الذي أهـدى السـروج بمأرب فآبَـتْ الــى صِرواحَ يومــاً نوافلُهْ

لسعد بن خولان رسا الملك واستوَى ثمــانين حَوْلاً ثمّ رَحَّــبَ زلازله[2]

ويقول جواد علي : وتمثل الأعمدة المربعـة الشـكل أو المستطيلـة والخالية من الزخرف أقدم أنواع الأعمدة بالنسبة للفن المعمـاري العربـي الجنوبي ، ونجد نماذج منها في خرائب صرواح و . . وقد اقتطع المعمار هذه الأعمدة من الصخور ، كتلاً كتلاً ، ثم أمر بصقلها وتشذيبها حتى حولّها الى قطع أكسبها شكلاً هندسياً ، قواعدها مربعة أو مستطيلة ، وضعها بعضها فوق بعض إلى الإرتفاع المقصود ، مكوّناً منها اسطوانة تحمل البناء ،

يبدو أن هذه هي الطريقة البدائية التي لجأ اليها البنّاء العربي في العصر الجاهلي ، قبل أن تتطوّر عنده الصنعة والذوق والفن ، حيث لجأ بعدها الى النحت والزخرفة .

(1) اللسان 2 / 511

(2) معجم البلدان 3 -402

3 ـ صناعة بناء السدود والحياض والقناطر :

إن بناء السدود والحياض والقناطر هي من جملة صناعة البناء ، ولقد كانت منتشرة في عدة مناطق من شبه الجزيرة العربية . وبما أن بقاع جزيرة العرب من الأرضين الجافة ، فالأمطار فيها ، ولا سيما أقسامها البعيدة عن البحر ، شحيحة ، والأنهار الكبيرة معدومة فيها ، والعيون قليلة أيضاً ، وجوها اجمالاً جاف ، إذا استثنينا المناطق الساحلية .

لذلك عمد العرب الجاهليون في بعض الأماكن ، وخاصة في العربية الجنوبية ، الى الاستفادة من مياه الأمطار ، باقامة سدود تحجز السيول وتحبسها ، فاذا انقطعت الأمطار وحلّ الجفاف ، استفيد منها في الإرواء .

كما تخصص أناس باستنباط المياه وحفر الآبار ، ولحماية مياه تلك الآبار من اعتداء الطبيعة أو الانسان عليها ، أقاموا أبنية فوقها ، وقد أشار العلماء الى قباب بنيت فوق المياه ، فقد اتخذ أهل بطن (السيدان) قباباً على كل ماء به[1] .

وقد حفر العرب الجاهليون الصهاريج العميقة في البيوت وفي أماكن أخرى ، وسلّطو عليها الميازيب لتتجمع فيها مياه الأمطار ، ولا يزال بعض الميازيب الجاهلية في حالة جيدة ، وهي مصنوعة من الصخور ، وبعضها من المرمر الأبيض الجميل . وفي مسجد (حصن غيمان) ، صهريج جاهلي قديم يستعمل لخزن المياه ، وهناك صهاريج عديدة في هذا الموضع ، كلها من أيام الجاهلية . . وقد عثر على صهاريج عديدة في

---

(1) جواد علي 7-163

حضرموت وفي اليمن ، عرفت عند الحضرميين بـ (نقب) وهي عبارة عن حفر نقرت في الصخور وفي المواضع الحجرية[1] .

كما ترك الجاهليون حياضاً واسعة كانوا أنشأوها في مواضع كثيرة من اليمن وبقية العربية الجنوبية لخزن الماء فيها للاستفادة منها أيام الجفاف . فاذا ما تساقطت الأمطار ، سالت الى هذه الحياض ، وبعضها عميق واسع لا تنضب منها مياهها طوال السنة . وقد أحيطت هذه الحياض بجدران متينة من الصخور ، صفّت ورتّبت على هيأة مدرّجات ، حتى إذا انخفض الماء أمكن لمن يريد الاستسقاء منها أن ينزل على هذه المدرّجات حتى يبلغ الماء . . ولمنع تسرب الماء من الحوض ، يسدّ ما بين الحجارة من منافذ ، بالمدرة المعجونة ، وتطلى أوجه الجدر بمادة تغطيها مثل الصهريج ، كما يبلّط قاع الحوض ويطلى كذلك ، وتعمل فيه صنابير لخروج الماء فيها . . وقد عثر على ميازيب ومثاعب حجر نحتت نحتاً جميلاً . وضعت في جدران الأحواض ، ليسيل منها الماء . وقد صنعت مواضع مسايل بعضها على هيأة رؤوس حيوانات فتحت أفواهها ، ومن هذه الأفواه المفتوحة يتساقط الماء ، ولا يزال بعضها في هيأة حسنة ومستعملة حتى الآن . . كما عثر على صخور منحوتة نحتاً جميلاً جداً كانت تكوّن الواجهة الظاهرة من جدران الحياض . وقد نحت بعضها على شكل صور حيوانات بارزة أو أوجه حيوانات ،ونحت بعضها على صور أوراق نبات وأغصان أعناب وما شابه ذلك من أجزاء النبات[2] .

مما تقدّم نلاحظ الدور الأساسي الذي قام به البنّاء في المجتمع العربي

---

(1) جواد علي 7-169

(2) جواد علي 7-172

الجاهلي فهو يقطع الحجارة ويشذ بها ويبني بها جدران البئر ، والقبة التي تحميه ، وبناء الصهاريج وتأمين الميازيب لها بنحت الصخور أو استعمال حجارة المرمر ، واضطراره أحياناً الى نقر الصخور وتحويلها الى صهاريج . وبناء الحياض وما تستلزمه من مدرّجات ، وطلي جدران ، وتبليط قعر ، وتأمين الميازيب التي تفنن أحياناً بصناعتها ، حتى أنه عمل على زخرفة جدرانها الخارجية بالنقوش الجميلة .

وللسيطرة على المياه ، ولا سيما مياه الأمطار ، عمد أهل الجاهلية الى اتخاذ مختلف الوسائل في التحكم فيها ، بعضها بدائية ، وبعضها راقية تدلّ على براعة وعلم وفنّ ، منها اتخاذ السدود للهيمنة على الماء ، وخزنه للاستفادة منه عند الحاجة وتوجيهه الجهة التي يريدونها . وقد أظهر العرب الجنوبيون مقدرة كبيرة في هذا الصدد كما سنرى ، وقد عثر على آثار سدود في مختلف أنحاء جزيرة العرب . . وبعض هذه السدود بسيطة ، وقد أمر الرسول بسدّ ماء السماء في موضع ليستفاد من الماء فعرف بـ (سد) ، ويطل جبل (شوران) على السد . وأمر معاوية بسد الوادي الذي يمر بحرّة المدينة ، عرف بسد معاوية . ومن السدود ، سد (أبي جراب) أسفل من عقبة منى ، وسد (قناة) ، وسد (العياد) على مقربة من الطائف(1) .

ومن أشهر السدود في الجزيرة العربية ، سد مأرب الذي قال عنه فيليب حتي : « . . ولكن البناء الذي أكسب المدينة (مأرب) شهرتها هو سدها العظيم ، فقد كان من عجائب الفن الهندسي ، وكان فيه كما في غيره من مباني سبأ العامة من الرقيّ الهندسي ما ينم عن مجتمع محب للسلام

---

(1) جواد علي 7-208

عريق في الحضارة ، لا في الأمور التجارية فحسب ، بل في الأعمال الفنيّة الرائعة أيضاً ، وشيدت أقسام السد القديمة في أواخر العصر السبئي الأول . ولقد أبانت النقوش أن المقام الأول بين بناة السد ناله (يثعمر بيّن) وأبوه ، وتشير هذه النقوش الى بعض الترميمات التي أجريت في عهد (شَرَحْبيل يَعْفُر) (449-450) م[1] .

أما حسن ابراهيم حسن فيقول : « والجزء الذي لا يزال باقياً الى اليوم ، يكشف عن أطلال سد متين البناء جداً ، وله عيون كثيرة ، والى الجنوب الغربي قليلاً ، يرى الناظر أطلال بناء كبير جداً ذي حجارة منحوتة ، مبني ببراعة ويرى قبالته صخرة عظيمة ، وعلى مقربة من هذه الصخور يرى الناظر سلسلة من الصهاريج التي تغذيها ينابيع المياه . . ثم يتابع قائلاً : وان أطلال هذه القناطر المقامة على الأعمدة لتوصيل ماء الشرب إلى المدن وهذه السدود والأحواض لتثير إعجاب الرحالة والسائحين من حيث براعة الرسم ومتانة البناء »[2] .

ويقول غوستاف لوبون : « ويظهر أن أسداد مأرب كانت سبب ثراء بلاد اليمن ، والأسداد جدران ثخينة قائمة في عرض الأودية لحجز السيول ، حتى إذا امتلأ ما بينها تكونت بحيرة واسعة ذات منافذ تجري منها المياه لريّ الأراضي ، ويروي مؤرخو العرب أن الملكة بلقيس التي زارت سليمان على زعمهم هي التي أنشأت تلك الأسداد ، ونشأ عن خراب أسداد مأرب في القرن الأول من الميلاد فقر بلاد اليمن وتفرّق سكانها »[3]

---

(1) تاريخ العرب ص ـ88

(2) تاريخ الاسلام ص ـ25

(3) حضارة العرب ـ ص ـ119

ويقول جواد علي : « وقد استخدمت في بناء السد والحواجز حجارة اقتطعت من الصخور ، وعولجت بمهارة وحذق حتى توضع بعضها فوق بعض ، وتثبت وتتماسك وتكون وكأنها قطعة صلدة واحدة ، ونحتت الصخور ، بحيث صارت تتداخل بعض في بعض ، بأن يدخل رأس من صخرة في فتحة مقابلة لها . . وقد وجد أن بعض الأحجار قد ربطت بعضها ببعض بقطع من قضبان اسطوانية من المعدن المكون من الرصاص والنحاس يبلغ طول الواحد منها نحو ـ16 ـ سنتمتراً ، وقطرها حوالي الثلاثة سنتمترات ونصف ، وذلك بصب المعدن في ثقب الحجر ، فاذا جمد وصار على شكل مسمار ، يوضع الحجر المطابق الذي صمم ليكون فوقه في موضعه بادخال المسمار في الثقب المعمول في الجهة السفلى من ذلك الحجر ، وبذلك يرتبط الحجران بعضهما ببعض برباط قوي محكم . أما المادة التي استعملت في البناء لربط الأحجار بعضها ببعض فهي من أحسن أنواع الجبس . وقد تصلب هذا الجبس الذي طليت به واجهات السد أيضاً حتى صار كأصلب أنواع الاسمنت »[1] .

ويقول ياقوت : « هو بين ثلاثة جبال يصب ماء السيل الى موضع واحد وليس لذلك الماء مخرج إلاّ من جهة واحدة ، فكان الأوائل قد سدّوا ذلك الموضع بالحجارة الصلبة والرصاص . وفي خراب السدّ يقول الأعشى :

ففي ذاك للمؤتسي أُسوة ومأرب عضّ عليه العرِمْ
رُخامٌ بنته لهم حمير إذا ما نأى ماؤهم لم يَرِمْ[2]

---

(1) المفصل 7-211

(2) معجم البلدان 5-35ـ ديوان الأعشى . ص ـ201 . . ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ ص ـ14 تحقيق السقا ، الأبياري ، شلبي ـ

وبنيت في اليمن سدود أخرى منها : قصعان ، وربوان ، وشحران ، وطمحان . . وغيرهم وذكر الهمداني أن في مخلاف (يحضب العلو) ثمانين سداً[1] .

مما تقدم يمكننا القول أن سد مأرب كان معجزة من معجزات فن البناء في العصر الجاهلي ، أبدع فيه البنّاء الجاهلي أيّما إبداع .

4 ـ النحت والزخرفة :

لظهور العمارة وفن النحت والزخرف ، لا بدّ من وجود أحجار صالحة للبناء أو للنحت والحفر ، حتى يكون في امكان المعمار أو النحات تحويلها الى أبنية أو أصنام وتماثيل أو ما شاكل ذلك . لذا نجد الفن الجاهلي ، في هذا المجال ، قد تركز وبرز في العربية الغربية والجنوبية ، وفي المواضع القريبة من مواضع الحجر .

وفي اليمن أنواع من الأحجار الصالحة للبناء وللنحت، وفيها وفرة من الرخام والأحجار الصلدة مما ساعد المعمارون على استعمال الأعمدة العالية الجميلة ذوات التيجان . وقد ساعدت طبيعة اليمن عامل البناء في نحت الحجر وقطعه وصقله وتكييفه بالشكل الذي يريده ، وتمكن بذلك من وضع احجار مصقولة بعضها فوق بعض لتكوين أعمدة منها أو جدر سدود أو قصور ، بحيث يوضع حجر فوق حجر ، بصورة يصعب على الانسان أن يتبين منها مواضع اتصال الحجارة بعضها ببعض وهذا ما عرفناه في جدران سد مأرب الذي مر ذكره .

---

(1) جواد علي 7-212 ، الحديثي ص ـ40

ومن جملة الزخرف الذي زين تيجان الأعمدة زخرف يمثل زهرة الزنبق وأنواعاً أخرى من الزهور ، وهناك زخرفة تمثل رؤوس خرفان أو حيوانات لها قرنان كالوعل وقد أبدع الفنان في حفره حتى ظهر الحجر كأنه مجموعة حيوانات وقفت بعضها الى جانب بعض . . وإنك ترى الحفر على مستوى واحد ، وقد عمل بدقة ومهارة . وفي مدينة (تلقم) وجدت تيجان منحوتة على هذا الشكل : الدرجة السفلى مكونة من مستطيل ذي ستة عشر ضلعاً ، وفوقه درجة على هيئة نصف اسطوانة ، يليها مستطيل ذو ستة عشر ضلعاً ، وهكذا الى أن ينتهي التاج بالدرجة السادسة للتاج[1] .

ومن النقوش التي عثر عليها في العربية الجنوبية نقوش حيوانات وأشجار وصور بشر ، ومنها أحجار منقوشة نقشت عليها عناقيد عنب وأغصان وأوراق وما شاكل ذلك ، وجد علماء الآثار أن بعضاً منها يعود عهده الى القرون الأولى من الميلاد[2] .

وعثر على بقايا مقبرة خارج سور مأرب من ناحية الشمال والغرب ، ومن هذه المقبرة العامة الجاهلية حصل (كلاسر) على عدد كبير من شواهد القبور ، التي وضعت فوق قبور أصحابها لتدل عليهم ولتشير الى صورة صاحب القبر واسمه . . وقد وجدت في المقبرة الملكية لملوك أوسان تماثيل لبعض ملوك هذه الأسرة الصغيرة ، وقد كتبت على قاعدة التماثيل أسماء الملوك . . وعثر أيضاً على تماثيل صغيرة استخرجت من مقبرة قديمة ، ويلاحظ أن الأنف دقيق ، وقد حفرت العيون حفراً ، وقد نقرت بعض هذه القبور نقراً في الصخور[3] .

---

(1) جواد علي 8-38 وما بعدها .

(2) جواد علي 8-51

(3) جواد علي 8-53 وما بعدها .

ومن جملة ما عثر عليه من أشياء ذات قيمة كبيرة من الوجهة الفنية ، من الآثار القتبانية ، رأس لفتاة منحوت من رخام أبيض معرق ، وقد تدلّى شعرها على شكل خصلات مجعدة على الطريقة المصرية وراء رأسها ، وكانت أذناها مثقوبتين ليوضع حلق الزينة فيهما ، وكانت عيناها من حجر اللازورد الأزرق على الطريقة المصرية . وقد نحت التمثال باتقان وبذوق يدلاّن على مهارة وفن[1] .

وإذا ما انتقلنا شمالاً نرى أنه كان في الكعبة أصنام كثيرة ، ولكل قبيلة منها صنمها في جوف الكعبة حيث تحج القبائل : وكان هناك تمثال الهبل أيضاً وهو صنم قريش ، وقيل أنه كان من العقيق[2] .

وفي بلاد الأنباط ، فإن آثار (بطرا) الباقية إلى الآن لدليل على ما كان عليه هؤلاء العرب من ذوق عمراني ومهارة فنيّة ، فقد بنوا المدينة في الصخر الوردي فخرجت تحفة نادرة[3] .

أما في تدمر ، فان النحت هو ولا شك أبرز آثار الفن التدمري ، ولا نغالي اذا قلنا أن المعروف ، حتى الآن ، من تلك الآثار يكاد يكون نحتاً كله . كان الفنانون التدمريون يعالجون الحجر بسهولة ويسر وثقة . والذي سهل مهمة النحاتين التدمريين ، أن جبال تدمر القريبة غنية جداً بأنواع عديدة من الحجر الكلسي ، وأقدم المنحوتات التي وجدت حتى الآن في تدمر في معبد بل يعود عهدها لحوالي منتصف القرن الأول ق . م .

(1) نفس المصدر2 -230
(2) حسن ابراهيم حسن ص ـ46
(3) ليلى صباغ ص ـ439

وهي منحوتة تمثل موكباً يتقدم نحو كاهن يحرق البخور ، وهناك منحوتات لثياب بسيطة مثناة على الأذرع كالأساور ، وأخرى تمثل رجالاً وآلهة يمتطون أحصنة وجمالاً . وهناك نحت ديني يمثل مشاهد أرباب منفردة ، ومشاهد التقدمات الدينية ، ومشاهد أرباب ومتعبدين بأوضاع مختلفة منقوشة على مذابح نذرية تهدى للمعابد . وهناك المنحوتات الجنائزية وهي تشمل الكثرة الساحقة من المنحوتات التدمرية ، ومصدرها الوحيد هي المدافن منها تماثيل نصفية ، وألواح عليها مشاهد جنازية ، وشواهد عليها أشخاص ، وواجهات التوابيت والسرر الجنازية وعليها بعض أفراد أسرة الميت . وقد قسم (أنغولت) في كتابه المسمى « دراسة عن النحت التدمري ، عهود النحت التدمري الى ثلاثة : 1 ـ يمتد حتى آخر النصف الأول من القرن الثاني للميلاد . 2 ـ يقابل النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. 3 ـ يقابل النصف الأول من القرن الثالث الميلادي[1] .

ومن مظاهر الاعجاب ببعض الآثار التدمرية في النحت قول الشاعر المسلم أبي الحسن العجلي في اثنين منها :

أرى بتدمر تمثالين زانهما ... تأنق الصّانع المستغرق الفطن
هما اللّتان يروق العين حسنهما ... تستعطفان قلوب الخلق بالفتن[2] .

وكذلك قول أوس بن ثعلبة التيمي :

فتَاتَيْ أهلِ تدمرَ خبِّراني ... ألمّا تسأما طولَ القيام؟
قيامكما على غيرِ الحشايا ... على جبلٍ أصمٍّ من الرُّخام[3]

---

(1) البنّي ص ـ126 وما بعدها .

(2) عبد العزيز سالم ـ218

(3) ياقوت2-17

ومن جملة آثار تدمر ، آثار قصر آل الزبّاء القائم فوق النشز الغربي ، وهو بناء ضخم تتقدمه حنية ، ويشكل هذا القصر بتيجانه الغنية بالزخارف ، وعضاداته وواجهاته المخرمة بالزخارف معجزة في فنّ النحت[1] .

وقد زال أكثر المباني الجاهلية ، بسبب اعتداء الانسان بجهله عليها ، وقد حطمت تماثيل جميلة عثر عليها بين الرمال ، ولا تزال تحطّم ، لأنها في نظر العاثرين عليها أصنام لقوم كفرة ، وتماثيل قوم ممسوخين غضب الله عليهم ، فلا يجوز الاحتفاظ بها ، وبذلك خسر العرب كنوزاً فنيّة وذخائر لا تقدّر بثمن .

5 ـ أنواع الأحجار المستعملة ، والرخام :

استفيد من الأحجار في البناء ، ولا سيما في العربية الجنوبية ، اذ كان الحجر مادة البناء عندهم . ويقطع من المقالع قطعاً بعضها ضخمة استخدمت في بناء الأبنية المهمة مثل قصور الملوك والمعابد والسدود وبيوت السادات .

وقد تبنى تلك الحجارة مهندمة مصقولة أو بدون تشذيب وتطلى بالطين . وأحياناً كان الجاهليون يستعملون الحجارة الصناعية التي يقال لها (طابوق) أي الحجارة المكوّنة من الطين المشوي ، ويراد بها (اللبن) أي الطين المجفف . وعادة مزج الحجارة المصنوعة أي الطابوق بالحجارة الطبيعية المقلوعة سواء أكانت مصقولة أم غير مصقولة هي عادة معروفة في البناء في الشرق[2] .

---

(1) عبد العزيز سالم ص ـ219

(2) جواد علي8-21

ويقال لبعض أنواع الأحجار (المُسنى) وتعمل منها نصب السكاكين ، و(الشزب) حجر يعمل منه ألواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ، و (الهيصمي) وهو حجر يشاكل الرخام ، إلا أنه أشدّ بياضاً يخرط منه كثير من الآنية . وقد نحت النحاتون من بعض الحجارة قدوراً للطبخ عرفت عندهم بـ (البُرمة)[1] .

ومن أنواع الحجارة التي استعملها العرب الجاهليون في البناء الحجر الكلسي ، فقد ورد أنه كان يحف بالشارع الرئيسي لمدينة تدمر نحو 750 ـ عموداً من الحجر الكلسي الأبيض الوردي ارتفاع كل منها نحو خمسة وخمسين قدماً ، ولا تزال بعض تلك الأعمدة قائمة فيها[2] .

وعثر على قطع فنية نفيسة ، من الحجر النفيس الغالي المحفور ، أي من الأحجار الكريمة ، حفرت عليها صور ذات صلة بالأساطير الدينية ، مثل القطعة النفيسة المحفوظة في المتحف البريطاني ، ويظهر أنها من صنع فنان قتباني ، حفر عليها (وعلين) وقد وقف كل واحد منهما على جانب ، وقفا على القدمين الخلفيتين ورفعا القدمين الأماميتين الى أعلى . . وبين الأحجار الكريمة المحفورة التي عثر عليها أحجار أصلها من العراق ومصر ومن أحجار يونانية من أيام القياصرة ومن العصور الهيلينية[3] .

« وقد اتخذ العرب الجنوبيون من الحجر أثاثاً لهم ، فنحتوا منه أسرّة وعروشاً ، وقد عثر على قطع من المرمر ، هي من بقايا عروش أو كراسي عملت لبعض الأغنياء .

---

(1) جواد علي 7 -523

(2) فيليب حتي ص ـ114

(3) جواد علي 8 -74

كما استخدموا حجر المرمر لصناعة التماثيل ، إذ عثر على ثلاثة تماثيل كاملة يبلغ ارتفاع احداها(89) سنتمتراً وقد نحتت من المرمر ، وهي تمثل مرحلة من مراحل التطور في فن النحت عند العرب الجنوبيين . وقد ورد ذكر المرمر في شعر لعدي بن زيد :

شاده مرمراً وجلّله كلساً فللطير في ذراه وكور

وقد عثر أيضاً على عدد من تماثيل الحيوانات ، نحتت من المرمر ومن أحجار أخرى »[1] .

واستعمل المعمار العربي الرخام لإكساء أوجه الجدران أو في فرش أرض الغرف والمعابد ليكسبها بهجة وجمالاً واستعمله ألواحاً رقيقة تزخرف بالصور والنقوش ، لتعبر عن مباهج الحياة ، كما استعمل ألواحاً رقيقة شفافة منه لتكون مكان الزجاج المستعمل في النوافذ في وقتنا الحاضر ، ولا يزال أهل اليمن يستعملون الرخام المرقق في نوافذهم ، وهو يعطي النافذة رونقاً وجمالاً لا يتوافران في الزجاج[2] .

ومن الرخام أقيمت أعمدة جميلة كسيت تيجانها بالنقوش وبالزخرف الأخاذ . وقد وصف (هليفي) أطلال مأرب فقال : « إنها تشغل مساحة قطرها نحو خمسمائة متر ، وتشمل على كثير من أعمدة الرخام التي لا قواعد لها »[3] .

ويقول أيضاً جواد علي : « وقد ساعدت وفرة الرخام والحجارة

---

(1) جواد علي 8-26 ـ 69 ـ 72 ـ 75

(2) جواد علي 8-27

(3) حسن ابراهيم حسن ص ـ 25

الصلدة في اليمن في التعويض عن استعمال الخشب القوي الصلد في البناء ، فاستعمل المعمارون الأعمدة العالية الجميلة ذوات التيجان في رفع السقوف وفي إقامة الردهات الكبيرة ، وفي واجهات المعابد بصورة خاصة[1] .

هذا وقد ورد ذكر الرخام في شعر حسان بن ثابت الأنصاري حيث يشير الى بناء البيوت ، أو بالأحرى القصور ، من الرخام وذلك حيث يقول :

نَشْرَبُهـا صِرْفـاً وَمَمْزُوجَةً ثم نُغَنِّـي في بُيوت الرُّخامْ[2]

وكذلك يقول الأعشى :

ففـي ذاكَ لِلْمُؤتَسِـي أُسْوَةٌ وَمَـأْرِبُ قفّـى عَلَيْهـا العَرِمْ
رُخَـامٌ بَنَتْـهُ لَهُـمْ حِمْيَرُ إِذَا جَاءَهُ مَاؤُهُـمْ لَمْ يَرِمْ[3]

وفي هذا الكلام يشير الأعشى الى سد مأرب الذي هدمه سيل العرم ، رغم أن حمير كانت قد بنت السدّ من حجارة الرخام ، وهذا ما يزيد في مناعته نظراً لصلابة الرخام ، ونحن لا يهمّنا الآن الحكمة التي يصبو إليها الأعشى من هذا القول ، بقدر ما يهمّنا معرفته من أن أحجار الرخام كانت داخلة في بناء سد مأرب ، كما أن صناعة أحجار الرخام كانت معروفة منذ أمد طويل جداً عند العرب الجاهليين ، منذ عهد الحميريين وربما كان قبلهم بزمن بعيد .

ويقول جواد علي وهو يتحدث عن مدينة (تمنع) القتبانية : « . .

---

(1) المفصل 8-6

(2) ديوان حسان ص ـ227

(3) ديوان الأعشى ص ـ201 ياقوت 5-37

وفي جملة ما عثر عليه من أشياء ذات قيمة كبيرة من الوجهة الفنية ، رأس لفتاة منحوت من رخام أبيض معرّق ، وقد تدلّى شعرها على شكل خصلات مجعّدة على الطريقة المصرية وراء رأسها وكانت أذناها مثقوبتين ليوضع حلق الزينة فيهما ، ووجد أن جيدها محلّى بعقد . وكانت عيناها من حجر اللازورد الأزرق على الطريقة المصرية . وقد نحت التمثال باتقان وبذوق يدلاّن على مهارة وفن »[1] .

ومن رواية جواد علي هذه ، يتبيّن لنا أن العرب في العصر الجاهلي لم يستخدموا الرخام للأعمدة والبناء وتزيين واجهات الجدران فحسب بل استعملوه أيضاً في صناعة النحت والتماثيل ، ونحتهم هذا بلغ درجة ممتازة من الفن والذوق .

وصناعة الرخام لم تكن محصورة في المنطقة الجنوبية من شبه جزيرة العرب ، بل استعمله العرب الجاهليون في مناطق أخرى . ويقول فيليب حتي : « . . أما الفضاء الذي نراه اليوم قفراً موحشاً ، فقد كان في زمن غسان عامراً بالقرى والدساكر وفيها المنازل التي شيدت من الرخام الأسود والقصور وأقواس النصر والحمامات العمومية والأقنية الأرضية والمسارح »[2] .

ويقول ياقوت : « . . وتدمر من عجائب الأبنية موضوعة على العَمَد الرخام ، زعم قوم أنها مما بنته الجن لسليمان ، عليه السلام ، ونعم الشاهد

---

(1) جواد علي 2-230

(2) فيليب حتي ص ـ119

على ذلك قول النابغة الذبياني :

إلاَّ سليمـــانَ ، إذ قال الإلـــهُ له: قُمْ في البَـرِيَّة فاحدُدْهـا عن الفَنَد
وخَيِّسِ الجِـنَّ ،إنّـي قد أذنْـت لهم يَبنـونَ تدْمُـرَ بالصُّفَّـاحِ والعَمَدِ[1]

ويقول عبد العزيز سالم : « . . ومن آثار تدمر أيضاً آثار معبد بعل شمين ، وآثار حمّامات ودور خاصة مبلّطة بالفسيفساء والرخام »[2] .

مما تقدم نستنتج أن العرب في العصر الجاهلي قد استخدموا أنواعاً متعدّدة من الحجارة ، الصناعية والطبيعية ، المهندمة منها والغير مشذّبة ، واستخدموا حجارة الرخام في مجالات مختلفة منها : إكساء أوجه الجدران وفرش أرض الغرف وفي المعابد والقصور والأعمدة والبناء والنحت . وذلك في مناطق عدة من شبه جزيرة العرب .

6 ـ فن العمارة الجاهلي والتأثير الخارجي :

لم يكن الشعب العربي في العصر الجاهلي منعزلاً عن بقية شعوب العالم بل كان على اتصال بشعوب مختلفة بسبب عوامل متنوعة منها ما هو بحكم الجوار ، أو بدوافع تجارية أو سياسية أو غيرها . وهذا الاتصال لا بدّ وأن ينتج عنه عملية تأثر وتأثير في المجالات الحضارية . فإلى أي مدى كان التأثير الخارجي على فن العمارة عند العرب الجاهليين ؟

يقول جواد علي : « وقد درس الآثاريون في الأيام المتأخرة موضوع الفن العربي الجنوبي ووضعوا بحوثاً فيه استندت على الملاحظات والدراسات التي قاموا بها في مواطن الآثار ، أو من ملاحظاتهم للقطع الأثرية

---

(1) ياقوت 2-17 ـ ديوان النابغة ص ـ20 . (العمد : أساطين الرخام ، وهي السَّوارى) .
(2) عبد العزيز سالم ـ ص ـ 219

وللصور التي أخذت لها . وقد وجد بعضهم مثل الباحثة (جاكلين بيرين) ، أن الحضارة العربية الجنوبية إنما برزت وظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ، برزت بتأثير الحضارة اليونانية ـ الفارسية عليها . . وان عناصر الحضارة العربية الجنوبية ، وخاصة الفن منها مثل النحت والعمارة قد غرفت من مناهل يونانية ـ فارسية . . أما الباحثة (برتاسيكال) فقد أرجعت هذه المؤثرات إلى أثر يوناني هيلليني وأثر سوري حثّي وأثر فينيقي . وذكرت أن هذه المؤثرات أثرت على الحضارة العربية الجنوبية ، وتولّد من هذا المزيج الأجنبي والعربي حضارة العرب الجنوبيين » . ويتابع جواد علي فيقول : « وتقدمت معارفنا بعض التقدم بالنسبة للفن المعماري عند العرب الجنوبيين فتبيّن تأثره بمؤثرات عراقية وسورية وفينيقيةويونانيةومصرية »[1] .

ويقول جواد علي أيضاً : « ولما كانت العربية الجنوبية على اتصال بالعالم الخارجي ، منذ عصور ما قبل الميلاد ، وقد شهدت فتوحاً أجنبية ، كما كانت لها صلات تجارية مع الروم والفرس والأفريقيين والهنود ، فلا يستبعد استخدام العرب الجنوبيين للأعاجم في أعمال البناء ، وتأثرهم بالأساليب المعمارية الأجنبية ، ولا سيما في أثناء الفتح الحبشي لليمن ، فقد ذكر أهل الأخبار أن الحبش استعانوا بفعلة من الروم في بناء (القليس) ، كما أن الروم كانوا قد شيدوا كنائس في عدن وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب ، وقد بنيت هذه الكنائس وفقاً لأسلوب الفن البيزنطي النصراني ولا شك . وقد كان بين الفرس من يحسن البناء ويتقنه ، كما كان لأهل العربية الجنوبية اتصال بالفرس قبل هذا الفتح ، وكانت فيها

---

(1) المفصل8-11 وما بعدها .

جاليات منهم ولا سيما في الأقسام الجنوبية الشرقية ، فأثروا بذلك في طراز البناء »[1] .

وفي هذا المجال يقول حسن ابراهيم حسن : « .. فقد كتب (أبرهة) الى قيصر الروم في ذلك الوقت أنه يريد بناء كنيسة في صنعاء ، وسأله العون ، فأرسل اليه الصناع وأمده بالفسيفساء والرخام »[2] .

أما صاحب كتاب حضارة العرب فيقول : « .. الطراز العربي قبل ظهور محمد في فن العمارة لا يزال مجهولاً ، خلا ما يستشف من بقايا مباني اليمن القديمة ، ومن بقايا المباني التي أقيمت في الممالك العربية السورية القديمة كمملكة الغساسنة مثلاً »[3] .

وبالنسبة الى الحيرة يقول جواد علي : « وقد تأثر فن بناء القصور في الحيرة وما والاها من قصور (آل لخم) بالفن الساساني ، وكذلك فن تزيين جدران القصور والبيوت ونقشها »[4] .

وقصر الخورنق الذي اشتهر ذكره في الأدب العربي ، ذكر أنه بناه معمار رومي اسمه (سنمار) . وفي شعر طرفة بن العبد إشارة الى التأثير الرومي في فن العمارة وخاصة في بناء القناطر وذلك حيث يقول :

كَقَنْطَرةِ الرُّوميِّ أقْسَمَ رَبُّها لَتُكْتَنَفاً حتى تُشَادَ بِقَرْمَدِ[5]

وجاء في قصة الحضارة : « .. وبلغت (بطرة) ذروة مجدها تحت

---

(1) جواد علي 8-42
(2) تاريخ الاسلام ص ـ 49
(3) غوستاف لوبون ص ـ640
(4) جواد علي 3-303
(5) الأنباري ـ هارون ص ـ164

حكم الملك أرتاس الرابع (9 ق . م ـ40 م) . . وتنتمي الى هذا العصر القبور الضخمة المنقورة في الصخور القائمة في خارج المدينة ، وهي ذات واجهات ساذجة خشنة ولكنها تنبىء عن القوة ، وعمد يونانية مزدوجة ، يبلغ ارتفاعها في بعض الأحيان مائة من الأقدام »[1] .

وبالنسبة إلى تدمر فيقول عدنان البنّي : « كان الفن التدمري عند نشأته محلياً متأثراً بالفن الفارسي المعاصر ، الذي نضح من معين التقاليد البابلية والأشورية والسورية عموماً ، كما استقى من الفن اليوناني الذي استشرق ، وعلى هذا تجلت في الفن التدمري الروح الشرقية كخط عام أساسي »[2] .

وعليه ، يجدر بنا القول ، أنه لا بدّ من وجود شيء من الاصالة في فن العمارة عند العرب الجاهليين ، أضافوا اليه ما اكتسبوه من شعوب العالم التي اتصلوا بها واتصلت بهم على مرّ الزمن .

---

(1) ول ديورانت11 -116

(2) تدمر والتدمريون ص ـ124 .

الفصل السادس

صناعة المرأة وعملها :

كان المجتمع العربي في العصر الجاهلي مجتمعاً قبلياً يقوم على العصبية والنسب لذلك كان العرب يؤثرون البنين على البنات ، وذلك لاعتماد العرب على الذكور في الحروب والغزو والصيد ، إلى جانب المحافظة على النسب ، وما زال الميل الى انجاب البنين واضحاً في المجتمع العربي المعاصر ، وخاصة في البادية والريف .

وقد نوّه القرآن الكريم عن ذلك : « وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّر به ، أيمسكه على هُون أم يَدُسُّه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون »[1] .

ومع ذلك فقد كان كثير من العرب يعطفون على بناتهم ويدلّلوهن ويمنحونهن حرية اختيار الزوج ، منهن ، ماوية بنت عفرز والرباب من بني ذهل والخنساء وغيرهن[2] .

وكان بعض النسوة يشترطن على أزواجهن أن يكون أمرهن بأيديهن ، إن شئن أقمن ، وإن شئن تركن معاشرتهم وأوقعن الطلاق ،

---

(1) سورة النحل ـ الآية ـ58

(2) د . أحمد محمد الحوفي ـ المرأة في الشعر الجاهلي ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ص ـ184 وما بعدها

وذلك لشرفهن وقدرهن . ومن هؤلاء النسوة : سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجية ، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، وأم خارجة ومارية بنت الجعيد ، وعاتكة بنت مرّة وغيرهن[1] . هذا مع العلم أنها كانت تعيش في بيئة تقر تعدد الزوجات وتخضع لنظام يجعل الرجل بعلاً أي سيداً لها . وفي تلك البيئة مارست المرأة بعض الصناعات والحرف منها :

1 ـ الإرضاع :

كان الجاهليون يعتقدون أن أفضل مرضع للولد أمه ، وهو السائد في المجتمع العربي البدوي ، إلاّ أنه يلاحظ في مجتمعات الحواضر الشمالية ، وفي مكة بالذات أنه كانت من عادات أهلها ، إذا ولد لهم ولد ، أن يلتمسوا له مرضعة غير أمه في غيرقبيلتهم لأنه أنجب للفكر وأفصح للسان[2]..وربما كانت هذه العادة خاصة بطبقة الاشراف والسادة فحسب أو تدبيراً بيولوجياً بحتاً أريد به إفساح المجال أمام الأم كي تعاود الحمل بسرعة . إذ كان من المعروف لديهم بأنه لا يجوز غيل الطفل أي إرضاعه من لبن حامل . ومن الشواهد على عملية الإرضاع في البادية ما يلي :

بعث (النعمان بن المنذر) ابنه الى بني مرّة ليسترضع منهم ، فأرضعته (سلمى بنت الحارث بن ظالم)[3] . ولنا في الرسول الكريم شاهد صدق : فقد أرسل الى « حليمة بنت أبي ذؤيب » من بني سعد

---

(1) جواد علي 5-554

(2) د . ليلى صباغ ـ المرأة في التاريخ العربي قبل الاسلام ـ ص ـ92

(3) د . ليلى صباغ ص ـ93

لإرضاعه ، ولينشأ طفولته الأولى بعيداً عن الحاضرة (مكة) وما يجتاحها من الأوبئة[1] .

وقد روي عن (عبد المطلب) ـ جد النبي (ص) ـ أنه عندما اختار (حليمة) مرضعة لحفيده ، سألها عن اسمها فأجابته : « حليمة » وعن قومها فقالت : « بني سعد » فاستبشر خيراً وقال : بخ ، بخ . سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعزّ الأبد »[2] . وفي حديثها أنها خرجت ومعها زوجها في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء[3] . ومن هذا القول يبدو لنا أن الارضاع في العصر الجاهلي ، كان عند بعضهن مهنة ترتزق منها المرأة المحتاجة . وكانت عملية الارضاع عند البعض أيضاً مما يفتخر به ، قال (حاجب بن زرارة) :

حَضَنَّا ابنَ ماءِ المزنِ وابنَ محرِّقٍ   إلى أن بدتْ منهم لِحاً وشوارِبُ[4]

فهو يقول أن أهل بيت زرارة كانوا حضان الملوك ، وهذا نوع من الافتخار . وإذا كان هذا ينطبق على البعض فانه لا ينطبق على البعض الآخر ، إذ كان هناك من يعيب الارضاع ففي أمثالهم : « تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها » وقد فسّره أبو هلال بأنها تجوع ولا ترضع لقوم على جُعل ، فيلحقها عيب[5] .

وقد يعزز الترفع عن الإرضاع قول (حسان بن ثابت) في رده على وفد

---

(1) المصدر السابق عن ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ1 -162
(2) د . ليلى صباغ ص ـ94 عن انسان العيون1 -97
(3) د . الحوفي ص ـ398
(4) المصدر السابق ص ـ398 عن تاريخ الطبري126 ،
(5) المصدر السابق ص ـ398

تميم على مسمع من النبي (ص) وهو :

بنـــي دارمٍ لا تفخـــروا إنّ فَخْرَكُمْ يعــودُ وبــالاً عنــــد ذكرِ المكـــارم
هُبِلْتُـمْ ، علينـــا تفخـــرونَ وأنتمُ لنـــا خَوَلٌ من بين ظِئْـــرٍ وخادِمِ[1]

فهو يقول لهم ، هبلتم كيف تفخرون علينا وأنتم لنا حشـم وأتبـاع ومرضعون وخدم .

وقد تكون نظرتهم هذه الى الإرضاع مبنية على أساس مادي فقط ، أي أن الإرتزاق عبر هذه المهنة كان دليلاً على فقر صاحبته فحسب ، لا علـى وضاعة في المهنة ، وحطة في قيمتها . وكان من عادات العرب مدح الرجل بالثناء على مرضعته ، وذمه بشتمها ، فيقال : « نعمت المرضعة مرضعته ، وبئست المرضعة مرضعته » انطلاقاً من الأثر الكبير الذي خلفتـه في البنـاء الأول لشخصيته[2] .

ويبدو أن العرب في الجاهلية كانوا يهتمون باختيار المرضعة لأن من أقوالهم :«اللبـن دساس » وقالوا أيضاً : « لا تسترضعوا الحمقاء ، والعمشاء فان اللبن يعدي »[3] .

2 ـ التطبيب :

لقد مارس بعض النسوة في البيئة البدوية من الصناعـات والأعمـال العامة ما يلائم البيئة وما تحتاج إليه الأسرة ، ومنها إذا مرض لاحداهن طفل كانت تهتم بتطبيبـه معتمـدة علـى المعـارف الـطبية الأولية المتوارثـة عبـر

---

(1) ديوان حسان ص ـ229 ـ دار صادر ـ بيروت .
(2) د . جواد علي4 -643
(3) نفس المصدر و4 -657

الممارسة في نطاق الأسرة : كالحجامة ، والكي بالنار ، والعلاج بالأعشاب .

كما كان بعضهن يداوي الجرحى والمرضى بعيداً عن ميدان الحرب ، فقد ذكر أنه كانت لـ « كعيبة بنت سعد الأسلمية » خيمة بالمسجد تداوي فيها الجرحى والمرضى وهي التي عالجت (سعد بن معاذ) من جرحه يوم الخندق[1] . و (رفيدة) التي داوت جرحى المسلمين يوم ذهابهم الى (بني قريظة) . وورد ذكر (زينب طبيبة بني عوّاد ، التي كانت تعالج الابدان ، وتطبب العيون وتداوي الجراح[2] ويبدو أنهن كنّ يُسمّين بالأواسي حيث ورد في شعر قيس بن الخطيم قوله :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةَ ثائرٍ　　لها نَفَذٌ ـ لولا الشُّعاعُ ـ أضاءَها
يهونُ عليَّ أن تَرُدَّ جراحُها　　عيونَ الأواسي إذ حَمِدْتُ بلاءَها[3]

قال المرزوقي ـ ونقل بعضه التبريزي « الأواسي : النساء المداويات للجراح . وإنما ذكر النساء لأنهم يأنفون من الصناعات ، ويعلمونها العبيد والإماء وحرائر النساء أحياناً ، إذا لم يكنّ في غاية بعيدة من الشرف »[4] .

وهذا (دارج) يقول لزوجته وقد طعن :

شدّي عليَّ العصبَ أمَّ كَهْمَسْ　　ولا تَهْلَكِ أذْرُعٌ وأرْؤسْ
مقطّعاتٌ ورقابٌ خُنَّسْ[5]

---

(1) الاصابة 8-76 ـ الحوفي ص ـ398
(2) جواد علي 8-387
(3) ديوان قيس بن الخطيم ـ تحقيق د . ناصر الدين الأسد ـ دار صادر ص ـ46
(4) المصدر السابق ـ الحاشية ص ـ48
(5) د . حوفي ص ـ399 ـ عن شرح الحماسة للتبريزي 2-111

3 ـ التجميل :

من تلك الصناعات النسوية التي تدخل في نطاق تجميل المرأة صناعة (الماشطة) التي تقوم بتمشيط الشعر ، وقد مارس بعض النسوة هذا العمل في العصر الجاهلي ، فقد ذكر أن « آمنة بنت عفان) أخت عثمان كانت في الجاهلية ماشطة ،وكذلك(شبرة بنت صفوان القرشية) . و (زفر) و (أم سليم بنت ملحان) التي جمّلت ومشطت وأصلحت من أمر (صفية بنت يحي) حين تزوجها النبي (ص) ، ومنهن أيضاً (أم أيمن) و (أم رعلة القشيرية)[1] .

وكان هناك (الواصلة) ، وهذه (اختصاصية) بوصل شعر المرأة بشعر معار ، وكان أكثر من يفعل ذلك يهوديات العرب ، وقد نهى الرسول عنه بحسب الرواية[2] .

والتنميص أو ازالة شعر الوجه ويطلق على العاملة فيه (النامصة) ، وتزجيج الحواجب وتدعى (بالمزججة) وهذه يكون عملها بترقيق الحواجب بازالة الشعر الزائد منها . و (المفلجة) وهي التي تقوم بعملية التفريق بين الأسنان ، وكان العرب يعدونه من الجمال . وهناك (الواشمة) التي تقوم بعملية الوشم وقد ورد ذكر الوشم عند الكثيرين من الشعراء الجاهليين ومنهم لبيد حيث يقول :

أو رَجْـعُ واشمـةٍ ؟أسِفَّ نَؤُورُها   كِففاً تعَـرَّضَ فوقهـنَّ وِشَامُها[3]

---

(1) الكتّاني ـ التراتيب الإدارية ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت2 -111

(2) د . ليلى صباغ ـ ص ـ116 عن إرشاد الساري1 -475

(3) الأنباري ـ هارون ـ شرح القصائد السبع ـ دار المعارف بمصر ـ ص ـ527

قوله « أو رجع واشمة » معناه ردُّها النقش ، والواشمة : التي تشم يديها تضربها بالابرة ثم تحشوها النؤور . و « النؤور » : حصاة مثل الإثمد تُدق فتسفه اللثة واليد فتسودها . وقال بعضهم : النؤور : شحم يحرق ثم يكبّ عليه إناء ثم يؤخذ دخانه من الإناء[1] . هكذا كانت تتم عملية الوشم التي كانوا يبغون منها التجميل .

ومما يستعمل في التجميل عند العرب الجاهليين « الكحل » وهو ما يكتحل به . قال ابن سيده : الكحل ما وضع في العين يشتفى به . أنشد ثعلب :

فما لَكَ بالسُّلْطانِ أن تَحْمِلَ القَذى جفونُ عيونٍ ،بالقَذى لمْ تُكَحَّلِ

والمكحال : الميل تكحل به العين من المُكْحُلَة[2] .

وقد قالت (أم عمرو بنت وقدان) في أخ لها قُتل وقد فكّرت عشيرته في قبول ديّته :

وخذوا المكاحِلَ والمَجاسِدَ والبسوا نُقَبَ النساءِ فبئسَ رهطُ المُرْهَقِ[3]

ويبدو أن الكحل كان يستعمل للزينة ، وعلى أنه علاج للعين وكذلك يقوّي البصر ،

فقد قالت (اليمامة) أخت رياح بن مرة وهو رجل من طسم : « إني كنت آخذ حجراً أسود فأدقه وأكتحل به فكان يقوي بصري » . ويقال أنها أول من اكتحل بالاثمد من العرب ، قالوا ولما قلع (تُبّع) عينيها أمر بصلبها على

---

(1) شرح القصائد السبع ـ الأنباري هارون ص / 527 /

(2) اللسان 11 / 584

(3) شوقي ضيف ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ص / 73 /

باب (جوّ) وأن تسمى هذه المنطقة باسمها . فسميت باسمها الى الآن .
وقال (تُبّع) يذكر ذلك :

وسَـميّتْ جواً باليَمَامـةِ بعدما تركتُ عيونـاً باليمامـةِ هُمّلاَ(1)

وقال تميم بن مقبل العامري :

كأنّ أعينَ غزلان إذا اكتحلَتْ بالأثمِدِ الجَـوْنِ قد قَرّضْنَـهُ حِينا(2)

والتطيّب من متممات عملية التجميل وهو عند العرب نوعان : أعواد وصموغ يُبَخَّرُ بها ، ودهن يدهن به وكلها ذات رائحة زكيه ، وكان الرجال والنساء على السواء يتطيبون .

4 ـ صناعة الرّقي :

الرقي ضرب من ضروب صناعة الطب عند العرب الجاهليين ، اذ كان للتطبيب عندهم طريقتان : الأولى طريقة الكهان والعرافين ، والثانية طريقة العلاج الحقيقية .

فالكهان كانوا يعالجون بالرّقي أو بذبح الذبائح في الكعبة والدعاء فيها أو بالتعزيم أو نحو ذلك لإخراج الجان أو الشياطين من جسم المريض . ومن الاعتقادات التي كانت عند بعضهم ، أنهم إذا خافوا وباء نهقوا نهيق الحمير ، يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء ، وأن شرب دماء الملوك يشفي من الخبل(3) .

ويلعب التطبيب بالسحر والرقي والتعويذ دوراً خطيراً في حياة

---

(1) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان ـ دار صادر ـ 1977 ـ 5- 446
(2) أبو زيد القرشي ـ جمهرة أشعار العرب ـ دار صادر ـ ص ـ 309
(3) جرجي زيدان ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ 1978 ـ 1- 170

الجاهليين ، ويقوم هذا التطبيب على التأثير في المرض واستعمال بعض الخرز أو عظام بعض الحيوانات والسحر ، بحجة وجود علاقة بين المرض والأرواح ، وان هذا النوع من التطبيب يطرد الروح الخبيثة . ومن جملة الوسائل التي استعملت لمكافحة المرض والتغلب عليه وعلى الأرواح الشريرة أو (النظر) - أي إصابة الانسان بالعين من حاسد تصيب عينه إصابة مؤذية ، الاستعانة بالرقي والتعاويذ »(1) . ومن اللواتي كن يرقين خالدة بنت أنس الأنصارية ، التي يقال أنها عرضت رقاها على النبي (ص) فأمر بها . ومثل الشفاء العدوية فإنها لماعرضت رقاها على النبي (ص) قال لها : أرقي بها وعلّميها حفصة(2) .

5 - الكهانة :

« الكهانة والعرافة لفظان لمعنى واحد ، وفرّق بعضهم بينهما ، فقال : الكهانة مختصة بالأمور المستقبلية ، والعرافة بالأمور الماضية . وعلى كل حال فالمراد بهما التنبؤ واستطلاع الغيب ، والكهانة من العلوم الدخيلة على العرب ، جاءتهم من بعض الأمم المجاورة لهم ، والغالب أنهم أخذوها عن الكلدان .

واشتهر في بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن ، أقدمهم « شق وسطيح » ولهما قصة خيالية . وما زالت الكهانة في العرب حتى جاء الحديث بإبطالها وهو : « لا كهانة بعد النبوّة »(3) .

وأكثر العرافين ينسبون الى بلدانهم وقبائلهم ، كعراف هذيل ،

---

(1) جواد علي 8 - 409
(2) د . جوفي - 405
(3) جرجي زيدان 1 - 182 وما بعدها .

وعراف نجد ، وأشهرهم عراف اليمامة الذي قال فيه (عروة بن حزام) :

أقول لعراف اليمامة داوني فانك إن داويتني لطبيب[1]

ومن طرق مداواة الأمراض في العصر الجاهلي السحر ، فقد كان الساحر طبيباً ، يداوي المرض ويشفي المريض بسحره ، وكذلك كان الكهان يداوون المرضى بتعاويذهم وبغيرها . وقد ورد في شعر ابن الاسلت قوله :

ألا من مبلغ حسان عني أطبٌ كان داؤك أم جنون[2]

ومن الجاهليين من كان يرى أن الأمراض من غضب الآلهة على الانسان ، لذلك كانوا يسرعون لإرضائها بتقديم النذور والقرابين اليها ، ولهذا كان الطب من عمل الكهان ورجال الدين بالدرجة الأولى .

ولم تكن عملية الكهانة والعرافة مقصورة على الرجال فحسب ، بل اشتهر بها نساء كثيرات في العصر الجاهلي ومنهن : عفيراء الكاهنة الحميرية التي أهدادها (مرثد بن عبد كلال) مئة ناقة مكافأة لها لمعرفتها حلم كان قد نسيه وأولّته له فسرّ منها[3] .

ومنهن (زَبْراء) الأمة التي أنذرت بني رئام وهم في عرس لهم بأن بني داهن يبيتون الشر لهم ، فكذبها بعضهم وبقوا في عرسهم وصدّقها آخرون فانصرفوا ، فطرقتهم بنوا داهن فقتلوا من في العرس[4] .

---

(1) المصدر السابق .

(2) جواد علي 8-380

(3) الحوفي ص ـ407

(4) المصدر السابق ص ـ408

ومنهن (طريفة) كاهنة اليمن ، وهي أقدمهن . واليها ينسبون الانذار بخراب سد مأرب واتيان سيل العرم . وأنذرت بذلك (عمـرو بن عامـر) فارتحل مع قومه حتى انتهوا الى مكة ، فأصابتهم الحمى ، فأشارت عليهم طريفة أن يتفرقوا في جهات أخر ، فأطاعوها[1] .

ومنهن عرافة الحجاز وهي التي احتكم اليها (عبد المطلب بن هاشـم) حين همَّ بذبح ابنه عبد الله ، حيث أشارت عليه ، وأطاعها ، وفداه بمئة من الإبل[2] .

وكثيراً ما يلجأ الكهان الى لغة مسجوعة فيها ألفاظ معقدة وغامضـة ، ولعلهم كانوا يتوخون ذلك للتمويه على الناس .

ويبدو أن العرب في الجاهلية ، بصورة عامة ، كانـوا يجلّـون الكهـان من رجال ونساء ويحتكمون اليهم وينصاعون لأوامرهـم . وإلـى جانـب هؤلاء كان هناك فريق يشك في صدق الكهان والكواهن مثل : المرقم ، وعلقمة بن عبده ، والنابغة ولبيد الذي يقول :

لعمرك ما تدري الضواربُ بالحصى ولا زاجـراتُ الـــطيرِ ما الله صانعُ[3]

6 ـ الخياطة والتطريز :

حرفة الخياطة هي تحويل الأقمشة الى كسوة ، وصنع الثياب والعمائم بتفصيل القماش وقصه ثم خياطته على وفق القياس المطلوب ، وهي حرفة تروج في المدن ، أما في البادية ، فتقوم المرأة بعمل الضروريات .

---

(1) جرجي زيدان 1 -183 والحوفي ص ـ408

(2) الأزرقي ـ أخبار مكة ـ دار الأندلس ـ اسبانيا ـ2 -44

(3) د الحوفي ص ـ412 عن ديوان لبيد

وكانت المرأة في العصر الجاهلي ، هي المكلفة بتدبير اللباس لأطفالها ، أو بالأحرى لجميع أفراد الأسرة ، ومن ثم فقد كانت تعمل بخياطة الأشياء الجديدة أو الممزقة . وفي الوقت ذاته كانت تعمل بالأشافي على خرز القرب ، من الأدم ، والتي يضعون فيها الماء واللبن .

وقد ورد في شعر ذي الرمة ما يدلّ على تطريز القرب بالخرز حيث يقول :

وَفْــرَاءَ غَرْفِيَّة أثْــأى خَوارِزَها مُشَلْشَــلٌ ضَيَّعَتْــهُ بَيْنَهــا الكُتَبُ (1)

فهو يقصد بالفراء الغرفية ، القربة أو المزادة المدبوغة بالغرف وهو نوع من الشجر ، وأثأى : أفسد ، المشلشل : أي الماء ضيعته بينها الخرز .

والخياطة والتطريز ، كانتا مهنتين تحترفهما وترتزق منهما عند الضرورة . وقد جاء في شعر العرب إشارة الى عمل المرأة في هذا الميدان :

فَهُــنَّ بالأيْدي مُقَيِّسَاتُهُ مُقَــدِّرَاتٌ ومُخَيِّطاتُهُ(2)

7 ـ الخدمة في البيوت :

كانت خدمة النساء الأخريات الغريبات عن المرأة ، أكانت قسراً أو أجراً ، هي مهانة في المجتمع الجاهلي ، والمتمعن في الحادثة التي نسبت الى « هند » أم ملك الحيرة « عمرو بن هند ، في استقضائها (ليلى بنت المهلهل) أم (عمرو بن كلثوم ، في بعض حاجاتها ، أثناء تهيئتها الطعام ،

(1) اللسان 5-288

(2) اللسان 7-298

لتدلّ على هذا المعنى ، إذ اعتبرت (ليلى) هذا العمل مذلّة لها ، وقالت لها : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » . وعندما الحّت وأكثرت نادت نداءها المشهور : « واذلاه ! يا لتغلب » . وهذا كان سبباً في قتل (عمرو بن هند) على يد ابنها (عمرو بن كلثوم) ، الذي افتخر بذلك في معلقته بقوله :

تُهَدِّدُنا وتوعِدُنا رُوَيْداً متى كنّا لأُمِّكَ مُقْتَوِينا[1]

وعلى الرغم من هذا الشعور ، الإباء والأنفة والعزّة ، الذي كان ينتاب المرأة الجاهلية ، فان ما يلفت الانتباه في ذاك العصر ، هو أهمية الرقيق وكثرة الاماء والعبيد والسبايا ، كثرة بالغة جعلت من هؤلاء طبقة اجتماعية كبيرة لها معالمها المميزة ، وسماتها الواضحة ، حتى ليكاد يخيل الينا أن هؤلاء هم قوام العمل في الحياة الجاهلية ، كل أولئك سبي عربي خالص ، ومن القبائل العربية نفسها التي كانت تشنّ الغارات والحروب بينها فتسبي بعض نسائها ، وهناك الرقيق الأجنبي الذي يجلب من خارج الجزيرة العربية ، أضف الى ذلك الأرامل والفقيرات اللواتي كانت تدفعهن الحاجة والفاقة للعمل في خدمة الأخريات من أهل اليسر . وقد ورد في شعر طرفة قوله :

فَظَلَّ الإِماءَ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَها ويُسْعَى علينا بالسديف المُسَرْهَدِ[2]

وقال أيضاً :

تبيتُ إماء الحَيِّ تَطْهي قدورَنا ويأوي الينا الأشعثُ المتجرفُ[3]

---

(1) الأنباري - هارون ص -402 - البيت -46

(2) المصدر السابق ص -222 البيت -92

(3) ديوان طرفة - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت ص -68

ولم يكن عمل هؤلاء محصوراً بخدمة شؤون المنزل ، بل قد يكنّ في الوقت نفسه متاعاً فنياً لأسيادهم من ناحية الرقص والغناء ، أو متعة جسدية أو متجراً ومكسباً يدرّ عليهم الربح كما تدرّه أنواع المعايش الأخرى ، وهذا ما سنفصله في الأبواب اللاحقة.

ويبدو أنه كان منهن من يهتم بتربية الأولاد ، مع أنه كان يعير الولد أو البنت بأن تربيتهما كانت من عمل الإماء ، وفي ذلك يفتخر (عمرو بن العاص) فيقول : « ولا تأبطتني الإماء ، ولا حملتني البغايا في غبرات المآلي»[1] وقد ذكر أن (ابن الزبير) لّما مرض بمكة استأجر عجوزاً لتمرضه فكانت تغمز رجله وتفليٍّ رأسه[2] .

8 ـ المرأة تعمل في التجارة :

يبدو أن بعض النساء اشتغلن بالتجارة في العصر الجاهلي ، منهن في التجارة الواسعة أمثال السيدة (خديجة بنت خويلد) ، و (هند بنت عتبة) زوجة أبي سفيان زعيم بني أمية ؛ وفي التجارة الداخلية المحدودة مثل (أم المنذر بنت قيس) التي كانت على ما يبدو تبيع تمراً في المدينة ، و (أسماء بنت مخرمة بن جندل) كانت عطارة يأتيها العطر من اليمن وتبيعه في المدينة[3] . و (قيلة أم بني أنمار) التي قالت : « جاء النبيّ (ص) إلى المروة ليحل في عمرة من عمره فجئت أتوكأ على عصا حتى جلست اليه ،

---

(1) د . ليلى صباغ ص ـ114 عن تاج العروس3-436

(2) الكتاني2-116

(3) د . ليلى صباغ ص ـ122 ـ عن اعلام النساء1-52 و326

فقلت يا رسول الله إني امرأة أبيع واشتري فربما أردت أن أشتري السلعة فأعطي بها أقل مما أريد أن آخذها به . . الخ »[1] .

وقد ورد في شعر النابغة الذبياني ما يشير إلى عمل المرأة في البيع حيث يقول :

ليستْ من السّودِ أعقاباً إذا انصرفتْ ولا تبيعُ ، بجنبَــيْ نخلــة ، البُرَما

ويتابع بعدها قائلاً :

من قولِ حِرْمِيَّة قالــتْ وقــد ظَعَنُوا : هل في مُخفِّيكُمُ من يَشتري أدمَا ؟[2]

من هذين البيتين نتعرف على بائعتين ، الأولى تبيع القدور النحاسية والثانية تبيع الجلود . وكانت امرأة من بني (تَيْمِ الله ابن ثعلبة) تبيع السمن ، وقيل أنها هي التي ضرب بها المثل : فقيل : « أشغل من ذات النِّحيين » . وقد ورد في لسان العرب أن (خوّات بن جبير الأنصاري) أتى تلك المرأة يبتاع منها سمناً فساومها ، فحلّت نِحْياً مملوءاً . فقال : أمسكيه ، حتى أنظر غيره ، ثم حلّ آخر وقال لها : أمسكيه ، فلمّا شغل يديها ساورها حتى قضى ما أراد وهرب . فقال في ذلك :

فشَدَّتْ علــى النِّحْيَيْنِ كفّاً شحيحةً على سَمْنِها ، والفتــكُ مِنْ فَعَلاتي[3]

وقد ضرب المثل (بعطر مِنْشَم) ، ومنشم هذه امرأة كانت تعمل في صنع العطور وبيعها ، وأنواع الطيب . ويقال أنها من (همدان) وأنه إذا تطيبوا من ريحها اشتدت الحرب ، فصارت مثلاً في الشر[4] . وقد أشير اليها

---

(1) الكتاني 2-117

(2) ديوان النابغة ـ دار صعب ـ بيروت ـ ص ـ152- و155

(3) لسان العرب15 -312

(4) لسان العرب12 -577

في معلقة زهير بن أبي سلمى حيث يقول :

تَدَارَكْتُمُ عَبْساً وذُبْيَانَ بعدما ... تفانَوْا ودقُّوا بينهم عِطْرَ منشمِ [1] .

9 ـ طحن الحبوب وصناعة الخبز :

الطحن من الأعمال التي تخصص بها النساء ، وقد كان الناس يستعملون الرحى التي يديرونها بالأيدي للحصول على الطحين ، فلم يكد يخلو بيت منها ، وهي لا تزال مستعملة في بعض المناطق الريفيّة .

وقد استعملوا قديماً أيضاً رحى أعظم مبنية على المبدأ نفسه ولكن يديرها حمار ، وجاء في الشريعة : « لا يسترهن أحد رحى أو مرداتها لأنه إنما يسترهن حياة »[2] .

وقد ورد ذكر الرحى في شعر الشعراء الجاهليين ، وكانوا غالباً يقصدون بها رحى الحرب ، ومنهم عنترة حيث يقول :

وَدُرْنا كما دَارَتْ على قطبها الرّحى ... ودارت على هام الرِّجالِ الصَّفائِحُ [3]

وقال زهير بن أبي سلمى :

فتعرككُمُ عَرْكَ الرَّحَى ،بِثِفَالِها ... وتَلْقَحْ كِشافاً ،ثم تَحْمِلْ فتُتْئِمِ [4]

وقال محرز بن المكعبر الضبي :

دَارَتْ رَحانَا قَلِيلاً ثُمَّ صَبَّحَهُمْ ... ضَرْبٌ يُصَيِّحُ مِنْهُ جِلَّةُ الهَامِ [5]

---

(1) الأنباري ـ هارون ص ـ261 ـ البيت ـ19

(2) د . بطرس عبد الملك ورفاقه ـ قاموس الكتاب المقدس ـ مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ـ الطبعة الثانية ص ـ575

(3) ديوان عنترة ـ دار صعب ـ ص ـ38

(4) ديوان زهير . تحقيق د . فخر الدين قباوه ـ المكتبة العربية بحلب ص 15

(5) شاكر وهارون ـ المفضليات ـ دار المعارف بمصر ص ـ252

وقد احترف البعض الخبازة ، وقد يكون الخبز على (الصاج) أو في (التنّور) . وقد ورد ذكر التنّور مرتين في القرآن الكريم : « حتىٰ إذا جاء أمرنا وفار التنّور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنينَ »[1] . و : « فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين »[2]. وهناك خبز (الملَّة) وهي الرماد الحار والجمر ، ويقال : « أكلنا خبز ملة »[3] .

وحرفة الخبازة هذه ، احترفتها المرأة لبيتها ، أو لطلب الرزق من ورائها ، عند الغير؛ وقد ورد في المثل العربي « رغيف الخولاء » ويضرب عادة بالشيء اليسير الذي يجلب الخطب الكبير ، ومنه نستدل أن صناعة الخبز كانت مهنة ترتزق منها المرأة ، فقد رُوِي أن « خولاء » هذه كانت خبازة في بني سعد بن زيد مناة ، فمرت في الحيّ وعلى رأسها كارة خبز ، فتناول رجل عن رأسها رغيفاً ، فاشتكت الى جار لها ، فثار معه قومه ضد الرجل الذي اختطف الرغيف ، وحدث بين قومي الرجلين قتال أسفر عن حوالي ألف قتيل (على ذمة المصدر الراوي)[4] .

10 ـ البغاء :

كان في الجزيرة العربية ، في العصر الجاهلي ، إماء كثيرات ، ولم تكن لهن منزلة المرأة الحرة ، وكثيرات منهن جلبن من فارس والروم ، وقد اتخذ بعضهن حليلات حيناً ، وخليلات في أكثر الأحيان . وكان يدخل على المرأة البغي الكثير من الرجال مقابل أجر ، ولم تكن أجور المسافحة ثابتة ،

---

(1) سورة هود ـ الآية ـ40

(2) سورة المؤمنون ـ الآية ـ27

(3) اللسان 11 -629

(4) د . ليلى صباغ ص ـ115 عن ثمار القلوب ـ الثعالبي ص ـ310 . د . جواد علي 4-626

بل كانت تتوقف على المعاملة والتراضي ، وقد تكون نقداً ، دنانير أو دراهم ، وقد تكون عيناً مثل برد أو أنسجة أو طعاماً أو ما شاكل ذلك ، لقلة العملة في ذلك العهد »[1] .

وقد ورد في شعر الأعشى ما يدل على امتهان الإماء حرفة البغاء حيث يقول :

وَالبِيضُ قَدْ عَنَسَتْ وَطالَ جِراؤُها وَنَشَأْنَ في قِنٍّ وَفي أَذْوادِ
وَلَقَدْ أُخالِسُهُنَّ ما يَمْنَعْنَنِي عصُراً ، يَمِلْنَ عَلَيَّ بِالأَجْيادِ[2]

ويبدو من قول الأعشى أن هؤلاء كنّ جزءاً من مادة لهوهم وعبثهم ؛ وكنّ ينصبن على أبوابهن رايات حمراً تعريفاً بهن ، ويبدو أن بعض المهاجرين عندما هبطوا المدينة في عهد الرسول (ص) وهم فقراء لا يملكون مالاً ، فكروا في الزواج من بعض أولئك البغايا ، وكنّ غنيات من كراء أنفسهن . فاستأذنوا النبي (ص) ، في ذلك ، فنزلت الآية : « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك ، وحرّم ذلك على المؤمنين »[3] . وقال عكرمة : نزلت الآية في نساء بغايا متعالمات بمكة والمدينة ، وكن كثيرات ، ومنهن تسع صواحب رايات ، لهن رايات كرايات البيطار يعرفونها : (أم مهزول) جارية السائب بن أبي السائب المخزومي ، و (أم غليظ) جارية صفوان بن أمية ، و (حنة القبطية) جارية العاص بن وائل ، و (مرية) جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ، و (جلالة) جارية سهيل بن عمرو ، و (أم سويد)

---

(1) د . جواد علي 5-137

(2) ديوان الأعشى ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ص ـ 51

(3) سورة النور ـ الآية ـ 3

جارية عمرو بن عثمان المخزومـي ، و (سريفة) جارية زمعة بن الأسود ، و (قرينة) جارية هشام بن ربيعة ، و (فرنتا) جارية هلال بن أنس بن جابر ، وكانت بيوتهن تسمّى في الجاهلية (المواخير)[1] .

وفي القرآن الكريم : « ولا تُكرهوا فتياتـكم علـى البغـاء ، إن أردن تحصناً ، لتبتغوا عرض الحياة الدنيا . ومن يكرههن فان الله من بعد إكراههن غفور رحيم »[2] . وقد جاء في تفسير الجلالين أن هذه الآية نزلت في (عبد الله بن أُبيّ) كان يكره جواريه على الكسب بالزنا .

وكان عبد الله بن جدعان نخاساً له جوار يساعين ويبيع أولادهن[3] . وقد كانت (المواخير) في الجاهلية موجودة في القرى والمدن وعلى طرق التجارة ، حيث يأوي التجار وأصحاب الأسفار للراحة ، فيجدون أمامهـم تلك المواخير .

وقد ذكر (أن (سمية أم زياد) كانت من ذوات الرايات بالطائف تؤدي الضريبة الى الحارث بن كَلَدة ، وكانت تنزل بالمنزل الذي ينزل فيه البغايا بالطائف خارجاً عن الحضر في محلة يقال لها حارة البغايا[4] .

وفي سوق دومة الجندل ، ذكر أنه كان لكلب فيها قن كثير في بيوت شعر وكانوا يُكرهون فتياتهم على البغاء[5] .

---

(1) د . جواد علي 5 -135

(2) سورة النور ـ الآية ـ33

(3) ابن قتيبة ـ المعارف ـ تحقيق د . ثروت عكاشة ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف ـ ص ـ575

(4) د . ناصر الدين الأسد ـ القيان والغناء في العصر الجاهلي . دار المعـارف بمصـر ـ ص ـ40 عن المسعودي ، مروج الذهب 2-310

(5) د . الأسد ص ـ35 عن المحبر ص ـ263

وعرفت القيادة عند الجاهليين ، والقوادة هي التي تجلب البغايا للرجال . فقد روي عن عائشة أنها قالت : ليست الواصلة بالتي تعنون ، ولا بأس أن تعرى المرأة عن الشعر فتصل قرناً من قرونها بصوف أسود ، وإنما الواصلة التي تكون بغياً في شبيبتها فإذا أسنَّت وصلتها بالقيادة »(1) .

وضرب المثل بـ (ظلمة) في القيادة . وكانت صبيّة في الكتاب ، فكانت تضرب دويّ الصبيان وأقلامهم ، فلما شبّت زنت ، فلما أسنّت قادت ، فلما قعدت اشترت تيساً تنزيه على العنز . وذكر أنها كانت فاجرة هذلية . فضرب بها المثل فقيل : أقود من ظلمة وأفجر من ظلمة(2) .

11 ـ الغناء والموسيقى :

قال ابن خلدون : « وكانت البداوة أغلب نِحَلهم ، ثم تغنّى الحداة منهم في حداء إبلهم والفتيان في فضاء خلواتهم ، فرجّعوا الأصوات وترنموا وكانوا يسمّون الترنّم إذا كان بالشعر غناءً ، وإذا كان بالتهليل أو نوع القراءة تغبيراً . . وكان أكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يُرقص عليه ويُمْشى بالدف والمزمار . . ولا بدّ أن تتفطن له الطِّباع من غير تعليم شأن البسائط كلِّها من الصنائع ، ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم »(3) .

وقال ابن رشيق : « وغناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والهزج . . قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالاسلام »(4) .

---

(1) اللسان 11-727

(2) د . جواد علي 5-141

(3) ابن خلدون ـ المقدمة ـ دار احياء التراث العربي ـ الطبعة الرابعة ص ـ426 وما بعدها .

(4) العمدة 313 وما بعدها .

وقد ذكر أن أصل الغناء ومعدنه كان في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً ، وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة ، وهذه القرى مجامع أسواق العرب[1] .

أن مواطن القيان والغناء كانت تنتظم الجزيرة العربية كلها ، سواء في ذلك أمهات قراها العامرة المائجة بصنوف الحضارة وألوان الترف ، وبواديها المنبسطة الغامرة التي كانت تحيا من بعض نواحيها حياة قبلية بدائية ، وسواء في ذلك قلب الجزيرة وأطرافها حيث كانت تقوم ولايات عربية ذات صلاة وثيقة بالحضارات الزاهرة لذلك العهد .

لقد كانت الجزيرة العربية ، ذات صلات كثيرة بغيرها من الأمم المجاورة لها والبعيدة عنها ، فأثرت وتأثرت ، وكان فيالجزيرة العربية لهذا العهد الذي نبحث فيه رقيق فارسي ورومي وحبشي ، وكان فيها اليهودية والنصرانية والمجوسية بجانب الوثنية ، وكان لكل تلك الحضارات أثرها في غناء القيان في الجاهلية .

والدليل على الأثر الفارسي في مجالس الغناء والسماع ، وآلات العزف وملابس القيان وحليهن ما جاء في شعر الأعشى حيث يقول :

لَنَا جُلَّسَانٌ عندها وبنفسجٌ — وسِيسِنْبَرٌ والمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا
وَشَاهَسْفَرَمْ والياسمينُ ونرجسٌ — يُصَبِّحُنَا في كُلِّ دَجْنٍ تَغَيَّمَا
وَمُسْتَقُ سِينينٍ وَوَنٌّ وَبَرْبَطٌ — يُجَاوِبُهُ صَنْجٌ إذا ما تَرَنَّمَا[2]

إن ما ورد في البيت الأول : السيسنبر والمرزجوش والبنفسج هي

---

(1) د . الأسد ص ـ43 عن ابن عبد ربه في العقد7-28 و29

(2) ديوان الأعشى ص ـ186- 187

أسماء رياحين ، أصلها فارسي ، وكذلك الشاهسفرم والياسمين والنرجس في البيت الثاني .

أما الأسماء الواردة في البيت الثالث ، كلها أسماء آلات طرب يعزف بها ، وأصلها فارسي .

ومن أمثلة الأثر الرومي ما ذكر حسان بن ثابت عن ليالي جاهليته مع جبلة بن الأيهم. قال حسان : « لقد رأيت عشر قيان : خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط ، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة وأهداهن إليه إياس بن قبيصة . وكان يَفِد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها . . الخ » .

وربما كان في هذا النص دلالة بيّنة على هذا التأثر والتأثير ، اللذين أشرنا اليهما ، وإلى اجتماع الألوان المختلفة من الغناء والموسيقى ، الفن الرومي يؤديه مغنيات روميات وبالرومية بمساعدة البربط ، وربما يعني ذلك أن المستمعين يفهمون الرومية أو بعضها ، ولو لم يكن ذلك متوفراً ، لما استمع إليهن احد ، ولما تذوقوا هذا الغناء، ولم يكن (جبلة) ليسمح لهؤلاء بالغناء في بلاطه .

وهناك الخمس الأخريات اللواتي كن يغنين غناء أهل الحيرة ، وهؤلاء غالباً متأثرات بالغناء والموسيقى الفارسية ، والتي يتذوقها أيضاً جبلة بن الأيهم وحاشيته وضيوفه ،

وهناك أخيراً العرب الذين كانوا يفدون الى بلاط (جبلة) حيث يؤدون ألوان الغناء العربي المعروف عندهم .

ومما لا شك فيه أن اجتماع هذه الألوان المختلفة من الغناء والموسيقى في بلاط واحد ، ينتج عنه عملية تأثر وتأثير .

ومن ألوان الغناء الذي كان معروفاً عند العرب الجاهليين (التهليل) في (التلبية) أثناء الحج والطواف حول الكعبة والصفا والمروة ، بل كان لكل صنم تلبية خاصة ويشترك في ذلك الرجال والنساء .

وأما أول من غنّى من النساء فلا نجد عليه اختلافاً ، فالمسعودي وابن عبد ربّه وابن الطحان وغيرهم يقررون أن أول من غنّى من النساء هما : الجرادتان وكانتا قينتين لمعاوية بن بكر على عهد عاد »[1] .

وقد كان بعض أغنياء مكة والقرى الأخرى يملكون القيان ، ومنهم من كان يملك عدداً منهن ، مثل عبد الله بن جدعان ، الذي مرّ ذكره ، وكان لمقيس بن عبد قيس بن قيس بن عدي ، قينتان تغنيان ، وكان بيته مألفاً لشباب قريش ينفقون عنده ويشربون ويتهاتكون يبقون على ذلك ليالي وأياماً ، ومن القيان (هريرة) التي شبب بها الأعشى ، وأختها (خليدة)[2] .

هريرة ودّعْها ، وإنْ لامَ لائمُ ، غَدَاةَ غد أمْ أنتَ للبينِ واجمُ[3]

وقد ورد في اللسان : « وفي حديث عائشة ، رضي الله عنها : وعندي جاريتان تغنيان بغناء (بُعاث) ، أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعاث »[4] .

وقد أورد الدكتور ناصر الدين الأسد أسماء قيان كثيرات

---

(1) د . جواد علي 5-114 عن كتاب اللهو والملاهي ص 18 ـ د . الأسد ص ـ99

(2) المفصل ـ د . جواد علي 5-118

(3) ديوان الأعشى ص ـ177 هذا البيت مطلع قصيدة . المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت

(4) اللسان 15-137 (غنا) وهناك مطلع قصيدة ص ـ144 : ودّع هريرة أن الركب مرتَحِلُ : وهل تُطيقُ وداعاً أيها الرَّجُلُ ؟

منهن[1] . أم عمرو قينة نَدْمَانَيْ جذيمة في القرن الثالث الميلادي ، ومليكة ، وأسماء وعثمة وبنت عفزر التي ورد ذكرها في شعر امرىء القيس حيث يقول :

نَشيمُ بروقَ المُـزْنِ أينَ مَصَابُهُ ولا شيءَ يَشْفي منكِ يابنَـةَ عَفْزَرَا[2]

لقد تغنّى أهل الجاهلية في كل المناسبات المبهجة ، وضربوا على آلات الطرب (التي سنوردها بالتفصيل بعد قليل) ، ومن هذه المناسبات ، الزواج ، والعودة من الأسفار أو نذر كمناسبة شفاء من مرض أو عودة من حرب ، وكان شباب مكة يذهبون إلى السمر ويلهون بسماع الغناء والضرب على الدفوف والاستماع الى تزمير المزمار ، كما استعمل الغناء في الغزو ، وفي الختان والولائم[3] . وفي الحديث : دخل أبو بكر وعند عائشة ، رضي الله عنها ، قينتان تغنيان في أيام مِنًى[4] .

هذا واننا نصادف الكثير من ذكر الغناء في الشعر الجاهلي ، حتى أننا قلّما نجد شاعراً لم يذكره ، وقد ورد في شعر طرفة بن العبد قوله :

إذا نحنُ قُلْنا أسْمِعينا انْبَرَتْ لَنا على رِسْلِها مَطْرُوفةً لم تَشَدَّدِ[5]

وقال لبيد يصف شربه ولهوه :

بِسماعِ صادِحَةٍ وجَذْبِ كَرينَة بمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهامُها[6]

---

(1) القيان والغناء ص75 وما بعدها .

(2) ديوان امرىء القيس ص ـ96 دار صعب ـ بيروت ـ نشيم : ننظر . أين مصابه : اين مصاب المطر عسى ديار المحبوب

(3) المفصل . د . جواد علي5 -107 عن نهاية الأرب4 -145 وما بعدها .

(4) اللسان13 -352 ـ ابن منظور ـ دار صادر

(5) المعلقة البيت ـ50 شرح المعلقات . الأنباري ـ هارون ص ـ190

(6) معلقة لبيد ـ البيت ـ62 شرح المعلقات الأنباري ـ هارون ص ـ578

وقال عبد يغوث بن وقاص :

وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الكِرَامِ مَطِيَّتِي   وَأَصْدَعُ بَيْنَ القَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا[1]

وقال عبدة بن الطبيب يصف لنا مجلس شرب وغناء :

صِرْفاً مِزَاجاً وَأحياناً يُعَلِّلُنَا   شِعْرٌ كَمُذْهَبَةِ السَّمَّانِ مَحْمُولُ

تُذْرِي حواشيَهُ جَيْدَاءُ آنِسَةٌ   في صَوْتِها لِسماعِ الشَّرْبِ تَرْتِيلُ

تَغْدو علينا تُلَهِّينَا وَنُصْفِدُهَا   تُلْقَى البرودُ عليها والسرابيلُ[2]

وقال المعقِّر بن أوس بن حِمارٍ البارقيّ في يوم شعب جبلة :

فباتوا لنا ضَيْفاً وبِتْنا بِنَعْمَةٍ   لنا مُسْمعاتٌ بالدُّفوفِ وسامرُ[3]

وقال بشر بن عمرو بن مرثد :

وتَبِيتُ داجنةٌ تجاوب مثلَها   خوداً منعمةً وتضربُ مَعْتَبا[4]

يبدو لنا مما تقدم من أشعار أن المغنية كانت تسمى بأسماء متنوعة فأحياناً صادحة وأخرى قينة ، وثالثة كرينة ورابعة مسمعة وداجنة وغيرها .

كما يبدو من خلال الشعر في العصر الجاهلي أن العرب الجاهليين كانوا على معرفة بآلات الغناء المتنوعة والتي يبدو أن معظمها معرّب . فقد ورد في شعر الأعشى قوله :

وَمُسْتَقُ   سِيْنِين وون وَبَرْبَطٌ   يُجاوبُهُ صَنْجٌ إذا ما تَرَنَّمَا[5]

---

(1) المفضليات ص ـ158 شاكر وهارون ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الخامسة

(2) المفضليات ص ـ145 مذهبة السمان : الألوان الجميلة في السقف . نصفدها : نعطيها .

(3) الأغاني 11 ـ161 مؤسسة جمّال ـ بيروت .

(4) المفضليات ص ـ276

(5) ديوان الأعشى ص ـ187 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

ويبدو أن تلك الحانات كانت تجمع أفانين من اللهو واللذات ، ويبدو أن الرقص كان منتشراً فيها خاصة من القيان الأجنبيات منهن تركيات وكابليات وغيرهن كما يتبين من شعر الأعشى حيث يقول :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الخمرَ تَرْ كُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وكابُلْ

ولا شك في أن المقصود بالركض هنا الرقص .

ومن الآلات الموسيقية التي استعملها الجاهليون بعض أنواع آلات النفخ ومنها القُصّاب كما يتبين من شعر الأعشى حيث يقول :

وشاهِدُنا الوردُ والياسميـ ـنُ والمسمِعَاتُ بِقُصّابِها[1]

والمزمار كما يتبين من شعر أبي ذؤيب حيث يقول :

أرِقتُ لذِكرِهِ من غيرِ نَوْبٍ كما يهتاجُ مَوْشيٌّ ثَقِيبُ[2]

والنوب القرب ، والموشيُّ المقصود به المزمار .

وقد استعملوا أيضاً (الزمخر) وهو المزمار الكبير كما يتبين من شعر النابغة الجعدي حيث يقول :

حَنَاجِرُ كالأقْمَاعِ فَحَّ حنينُها كما نفخَ الزمّارُ ، في الصبح ، زمْخَرَا[3]

ويبدو أنهم كانوا يستعملون الآلات الموسيقية الوترية ومنها العود الذي ذكر كثيراً فى الشعر الجاهلي وبأسماء متنوعة منها :

---

(1) ديوان الأعشى ص ـ25

(2) ديوان الهذليين ص ـ92 ـ الدار القومية ـ القاهرة ـ1965

(3) جمهرة أشعار العرب ص ـ279

المزهر : وهو العود الذي يضرب به[1] . قال امرؤ القيس :

لهـا مِزْهَـرٌ يعلـــو الخميسَ بصَوْتِهِ　　　أجَشُّ إذا ما حَرَّكَتْــهُ اليدانِ[2]

والكران : وهو العود وقيل الصنج[3] .

والكِرَانُ : وقد ورد في شعر لبيد حيث يقول :

صَعْــلٌ كسافِلــةِ القنــاةِ وظيفُهُ　　　وكأنَّ جُؤْجُــؤَهُ صَفِيحُ كِرَانِ[4]

والبربطُ :العود ، أعجمي[5]

والبَرْبَطُ . وقد ورد في شعر الأعشى حيث يقول :

وَبَرْبَطُنــا مُعْمَـــلٌ دائمٌ　　　فقــد كادَ يَغْلِـــبُ إسْكارَها[6]

والموتر : وقد ورد في شعر لبيد حيث يقول :

بِصَبُــوحِ صافية وَجَــذْبِ كَرينَة　　　بِمُوَتَّــرٍ تأْتَالُــهُ إِبْهامُها[7]

والأجوف : وقد ورد في شعر عبيد بن الأبرص حيث يقول :

ومُسْمِعَة قد أصحلَ الشرب صوتَها　　　تَأَوَّى إلى أوْتــارِ أجْــوَفَ مَحْنُوبِ[8]

أي أبح الشرب والغناء صوتها مما دفعها للالتجاء الى الضرب على عود محدودب .

---

(1) اللسان 4-333

(2) ديوان امرىء القيس ص ـ170 دار صعب ـ بيروت

(3) اللسان 13 / 357 .

(4) اللسان 13 -357 (كرن) ـ دار صادر .

(5) اللسان 7-258

(6) ديوان الأعشى ص ـ91 المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت

(7) معلقة لبيد ص ـ578شرح المعلقات ـ الأنباري ـ هارون ـ دار المعارف بمصر

(8) ديوان عبيد ص ـ25 تحقيق د . حسين نصار ـ الطبعة الأولى ـ1957 ـ مصر ـ

ومن الآلات الوترية أيضاً التي استعملها الجاهليون الصَّنْجُ ، وقد يكون منه اشتقوا الصَّنَّاجة والصنج العربي الذي يكون في الدفوف ونحوه ، وذو الأوتار دخيل معرب تختص به العجم وتكلمت به العرب[1] ،وقد ورد في شعر الأعشى حيث يقول :

ترى الصَّنْجَ يبكي لهُ شَجْوَهُ   مَخَافَةَ أنْ سوفَ يُدْعى بِها[2]

وربما كان هذا البيت سبباً أو من الأسباب التي دفعت لتسمية الأعشى « بصناجة العرب » .

وهناك الطنابير فارسي معرب ، معروف ، أصله دُنْبَهِ بَرَهْ ، أي يشبه ألية الجمل[3] . وهي من الآلات الوترية وقد وردت أيضاً في شعر الأعشى حيث يقول :

وطنابيرَ حِسَانٍ صوتُها   عند صَنْخ ،كلّما مُسَّ أرَنّ[4]

من مجمل أبيات الشعر السابقة التي أوردناها نستنتج أن الغناء والرقص والضرب على الآلات الموسيقية كان من عمل المرأة وهي حرفة من الحرف التي احترفتها في العصر الجاهلي . كما هو الحال في غيره من العصور .

وهذه الحرفة لم تكن مقصورة على النساء فقط وإنما اشترك فيها الرجال وربما كان على نطاق محدود ، فقد ذكر ابن قتيبة في المعارف :

---

(1) اللسان 2-311

(2) ديوان الأعشى ص ـ25

(3) اللسان 4 / 504

(4) ديوان الأعشى ص ـ215

« وكان (النضر بن الحارث بن كلدة) يغنّي بالعود ، وكذلك (الحكم بن أبي العاص) أبو (مروان بن الحكم) و (حريث بن عمرو) و (قيس الفهري) أبو (الضحاك بن قيس) و (معمر بن عثمان) وكذلك (سيرين) أبو (محمد بن سيرين)[1] .

ولم يقتصر العمل الغنائي على المتعة فحسب ، بل تعداها الى أبعد من ذلك ، وتلك قينة كانت في المدينة استطاعت باللحن والغناء أن تظهر للنابغة الذبياني موطن الإقواء في شهره ، فغيره وصححه[2] . وذلك في قوله :

أمــن آل ميةَ رائـجٌ أو مغتدي　　عجـلانَ ذا زاه وغيرَ مُزَوَّدِ
زعــمَ البــوارحُ أن رحلتنــا غداً　　وبــذاكَ خبَّرَنــا الغــرابُ الأسودُ

فغيّر الشطر الثاني من البيت الثاني بقوله « وبذاك تنعابُ الغرابِ الأسودِ » . وقال : قدمت الحجاز وفي شعري ضعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس »[3] .

12 ـ حرفة الزّعي :

المعروف أنه كان للأعراب وخاصة في البادية أنعام ، وهذه الأنعام تحتاج الى من يتعهدها ويرعاها ، وقد أشير الى ذلك في القرآن الكريم بقوله تعالى : « كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهي »[4] . وأشير أيضاً الى المرعى بقوله : « والذي أخرج المرعى . فجعله غثاءً

---

(1) المعارف ـ ابن قتيبة ـ ص ـ575 تحقيق : د . ثروت عكاشة ـ دار المعارف بمصر
(2) الأغاني 11 -9 مؤسسة جمّال ـ بيروت
(3) طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام 1 -68 تحقيق محمود محمد شاكر ـ مطبعة المدني ـ القاهرة .
(4) سورة طه الآية ـ54

أحوى »[1] . وقوله عز وجل أيضاً : « والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها »[2] .

وقد ورد في شعر عنترة قوله :

قد كنتُ فيما مضى أرْعى جمالَهُمُ ... واليومَ أحمي حِماهُمْ كُلَّمَا نِكَبُوا[3]

نفهم من قوله هذا أن الذكور كانوا يرعون الإبل ، ولكن أي صنف من الذكور ، وقد تتضح الصورة أكثر من قوله في البيت التالي :

ولولا حبُّ عبلةَ في فؤادِي ... مقيمٌ ما رَعَيتُ لهمْ جِمالا[4]

يبدو من كلامه هذا أن الرعي لم يكن حالة طبيعية عند الفتيان والشباب ، وإن عنترة كان يرعى رغماً عنه ، وكان ذلك في صغره ، نفسه تأبى رعي الجمال وهو يرفض ذلك ولكن حب عبلة كان يدفعه للقبول ، وقد يكون سبب تكليفه رعي الجمال كونه كان أسود من أمة سوداء وعليه فهو يُعد من العبيد ، وكان هو يعتبر نفسه حراً فيرفض . ولكن حب عبلة ، وأمل الزواج بها كانا يرغمانه على القبول لكسب رضا الأهل .

وقال ذو الأصبع العدواني :

عنِّي اليكَ فما أمِّي بِراعِيَةٍ ... ترْعَى المخاضَ ولا رأيي بمغبونِ[5]

وكأني بذي الأصبع العدواني يفتخر ويهجو ، فهو يفتخر بأمه أنها

---

(1) سورة الأعلى الآية ـ4
(2) سورة النازعات الآية ـ31
(3) ديوان عنترة ص ـ92
(4) ديوان عنترة ص ـ 203
(5) المفضليات ص ـ158

ليست راعية ، وكأنه يهجو أم المخاطب بأن أمه راعية ، وعليه فأن الرعي كان من أعمال العبيد والإماء ، وليس مما تمارسه الحرائر ، وربما تمارسه الفقيرات منهن ، وقد يكون الرعي مقبولاً في بعض المناطق أو القبائل ، إذ يتبين لنا أن المجنون وليلى كانا يرعيان غنماً لأهلهما وهما صبيان عند جبل التَّوباد ، وفيه يقول بعد أن كبر :

وَأَجْهَشْـتُ للتَّوْبـادِ حين رأيْته　　　وكبَّـر للرحمـنِ حينَ رآني[1]

ويدلّ على رعيهما معاً قوله :

تعلقـت ليلـى وهـي ذات ذؤابة　　　ولـم يبـد للأتـراب من ثديهـا حجم

صغيرين نرعـى البَهْـم يا ليت أننا　　　إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البَهْمُ[2]

إذا كانت عملية الرعي لم تكن من واجبات الفتيان ، ولا من أعمال الحرائر ، إلا الفقيرات منهن ، فمن كان يقوم بهذا العمل إذن ؟ إن زهير بن أبي سلمى يرد على تساؤلاتنا فيوضح لنا ذلك حيث يقول :

ردَّ القيانُ جمـالَ الحـيِّ فاحْتَمَلوا　　　إلـى الظَّهيرةِ أمْـرٌ بينهـم لَبِكُ[3]

وكذلك علقمة الفحل حيث يقول :

ردَّ الإمـاءُ جمـالَ الحـيِّ فاحْتملوا　　　فكلُّهـا بالتَّـزيديَّاتِ مَعْكُومُ[4]

---

(1) الأغاني 2-52

(2) الأغاني 2-11

(3) ديوان زهير ص ـ74 . المكتبة العربية بحلب . (تأخروا حتى الظهيرة لاختلاطهم وكثرتهم . لبك : مختلط)

(4) المفضليات ص ـ 397 شاكر وهارون ـ الطبعة الخامسة . (التزيديات ثياب منسوبة الى تزيد بن حيدان . المعكوم : المشدود) .

ويقول أيضاً قيس بن الخطيم :

ردَّ الخليطُ الجمالَ فانصرَفوا ماذا عليهم لو أنهم وَقفوا[1]

مَن هذه الأبيات من الشعر يتبين لنا أن الرعي كان من جملة أعمال المرأة في العصر الجاهلي ، الإماء والقيان ، فقد كنّ يرعين الغنم والابل كما كان يرعاها العبيد .

ويبدو أن المرأة كانت خبيرة بالمراعي ، فقد تخاصمت إمرأتان إلى إبنة الخُسّ في مراعي أبويهما ، فقالت الأولى : إبل أبي ترعى الإسْليح . فقالت ابنة الخُسّ : رغوة وصريح ، وسنام اطريح . قالت الأخرى : مرعى إبل أبي الخُلَّة . قالت ابنة الخُسّ : سريعة الدِرَّة والجِرَّة[2] .

والروايات كثيرة في معابة حلبها اللبن ، من ذلك أن (خالد بن جعفر) أغار على رهط (الحارث بن ظالم) من بني يربوع ، فقتل الرجال ، والحارث يومئذ غلام ، فبقيت النساء ، وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم ، فلما بقين من غير رجال ، طفقن يدعون الحارث ، فيشد عصاب الناقة ثم يحلبنها ، ويبكين رجالهن ويبكي الحارث معهن ، فنشأ على بغض خالد[3] .

ويذكر الميداني أن النساء في البادية كن لا يحلبن ، لأنه عار عندهن ، وإنما يحلب الرجال[4] .

---

(1) ديوان قيس بن الخطيم ص ـ101

(2) البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ2 -132

(3) الأغاني10 -17 (عن طبعة بولاق)

(4) المرأة في الشعر الجاهلي . د . الحوفي . ص ـ402 وما بعدها . عن مجمع الأمثال2 -335

لذلك يقول النابغة الذبياني في الهجاء :

قد رأينـــا مكان أمـــك إذ   تمنـــع من دِرَّة اللقيح الفصيلا[1]

13 ـ جنيُ الكمأة :

الكمأ نبات معروف في جزيرة العرب ، يخرج من غير زرع كما يخرج الفطر . والعرب تسميه (جدري الأرض) ، ويقال لبائعه الكمّاء . وقد استعمل العرب ماءه لشفاء العين . وهو من النبات الذي يقتات به في أوقات الظهيرة . والكمأة السوداء خيار الكمأة[2] .

وقد كانت المرأة في العصر الجاهلي تجتني الكمأة ، ولم يكن هذا عمل الحقيرات وحدهن بل شاركت فيه الثريات ، والدليل على ذلك ما ذكره صاحب الأغاني حيث يقول : « كان أوس بن حجر غزلاً مغرماً بالنساء ، فخرج في سفر حتى إذا كان بأرض بني أسد بين (شرج وناظرة) فبيناً هو يسير ظلاماً ، إذ جالت به ناقته ، فصرعته فاندقت فخذاه ، فبات مكانه حتى إذا أصبح ، غدا جواري الحيّ يجتنين الكمأة وغيرها من نبات الأرض ، والناس في ربيع ، فبيناً هنّ كذلك ، إذ بصُرْنَ بناقته . . وأبصرنه ملقى ففزعن وهربن ، فدعا بجارية منهن ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا حليمة بنت فضالة بن كَلَدَة . . . وقد قال فيها أوس :

ولـم تلههـــا تلك التـــكاليفُ أنها   كمـــا شئـــت من أكْرومَـــة وتَخوُّدِ

---

(1) ديوان النابغة ص ـ46

(2) المفصل . د . جواد علي 7-62

وبعدها قال في رثاء أبيها بعد موته ، وكان يكنى أبا دليجة :

أبـــا دليجـــةَ من تُوصِـــي بأرملة ... أم مَنْ لأشْعَـثَ ذي طِمْـرَيْنِ مِمْحَالِ

أبـا دليجـةَ من يكفـــي العشيرةَ إذ ... أمسَوْا من الأمــر في لَبْسٍ وبَلْبَالِ(1)

ويبدو من هذه الأبيات من الشعر ، أن حليمة هذه كانت ابنة رجـل ثري ، وربما كان شيخ العشيرة ، ولـم يمنعها ثراء والدها من الاشتراك مع أترابها في جني الكمأة ، فهذا العمل لـم يكن مقتصراً على الاماء والعبيد بل اشتركت فيه الحرائر أيضاً .

(1) الأغاني 11 -72 ـ73 مؤسسة جمّال ـ بيروت .

فهرس المصادر والمراجع

الدينيّة :

1 ـ القرآن الكريم .
2 ـ تفسير الأمامين الجليلين (جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي) ـ المطبعة الهاشمية بدمشق 1373 ـ هـ .
3 ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار احياء التراث العربي بيروت عن دار الكتب المصرية 1945
4 ـ الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) .
5 ـ قاموس الكتاب المقدس ـ تأليف نخبة من الأساتذة ـ صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ـ الطبعة الثانية ـ بيروت 1971 .

الأدبيّة :

6 ـ ابن خلدون (عبد الرحمن المغربي) ـ **المقدمة** ـ الطبعة الرابعة ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت
7 ـ ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني الأزدي) ـ **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده** ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الرابعة ـ دار الجيل ـ بيروت 1972
8 ـ ابن سيده( ) ـ **المخصص** ـ المكتب التجاري ـ بيروت

9 - ابن‌عبد ربّه(أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي) - **العقد الفريد** - تحقيق أحمد أمين ، الزين ، الأبياري - الطبعة الثالثة - دار الكتاب العربي - بيروت عن لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة1965

10 - ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري) - **عيون الأخبار** - دار الفكر - مكتبة الحياة .

11 - ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري) **المعارف** - تحقيق ثروت عكاشة - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر1969

12 - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري) - **لسان العرب** - دار صادر - بيروت .

13 - ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري) - **السيرة النبويّة** - تحقيق السقّا ، الأبياري ، الشلبي - دار الكنوز الأدبية .

14 - أبو بكر الأنباري (محمد بن القاسم) - **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** - تحقيق عبد السلام هارون - الطعبةالثانية - دار المعارف بمصر 1969

15 - أبو زيد القرشي (محمد بن أبي الخطاب) - **جمهرة أشعار العرب** - دار صادر - بيروت .

16 - أبو علي القالي (اسماعيل بن القاسم البغدادي) - **الأمالي وذيل الأمالي والنوادر** - دار الكتاب العربي - بيروت .

17 أبو الفرج الأصبهاني (علي بن الحسين) - **الأغاني** - مؤسسة جمّال للطباعة والنشر - بيروت عن طبعة دار الكتب .

18 - الأزرقي (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد) **أخبار مكة** - تحقيق رشدي الصالح ملحس - دار الأندلس - مطابع ماتيو كرومو - بنتو - مدريد - اسبانيا .

19 الأسد ، ناصر الدين ، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية** - الطبعة الرابعة - دار المعارف بمصر 1969
20 الأسد ، ناصر الدين - **القيان والغناء في العصر الجاهلي** - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر 1968
21 الأفغاني ، سعيد - **أسواق العرب في الجاهلية** - الطبعة الثالثة - دار الفكر - بيروت 1974
22 أمين ، أحمد - **فجر الاسلام** - دار الكتاب العربي - بيروت 1969
23 - الانطاكي ، داود بن عمر - **تذكرة أولي الألباب** - المكتبة الثقافية - بيروت .
24 البستاني ، بطرس - **أدباء العرب في الجاهلية والاسلام** - دار الجيل ، دار مارون عبود 1979
25 بلاشير ، راجي - **تاريخ الأدب العربي** - ترجمة ابراهيم الكيلاني - منشورات وزارة الثقافة - دمشق 1973
26 البنّي ، عدنان - **تدمر والتدمريون في ضوء المكتشفات الأثرية** - دمشق 1977
27 الجاحظ (عمرو بن بحر بن محبوب) - **البيان والتبيين** - تحقيق فوزي عطوي - دار صعب - بيروت .
28 الجمحي ، محمد بن سلاّم ، **طبقات فحول الشعراء** - تحقيق محمود محمد شاكر - مطبعة المدني - القاهرة .
29 الجندي ، علي - **شعر الحرب في العصر الجاهلي** - الطبعة الثالثة - مكتبة الجامعة العربية - بيروت 1966
30 حتي ، فيليب ، ورفاقه - **تاريخ العرب** - الطبعة الخامسة - دار غندور - بيروت 1974

31 الحديثي ، نزار عبد اللطيف ـ أهل اليمن في صدر الاسلام ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت 1978

32 حسن ، حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام ـ الطبعة السابعة ـ مكتبة النهضة المصرية 1964

33 الحموي (شهاب الدي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي) ـ معجم البلدان ـ دار صادر ـ بيروت 1977

34 ـ الحوفي ، أحمد محمد ـ المرأة في الشعر الجاهلي ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة 1963

35 الدوري ، عبد العزيز ـ تاريخ العراق الاقتصادي ـ الطبعة الثانية ـ دار المشرق 1974

36 ـ ديورانت ، ول ـ قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران ـ الطبعة الثانية ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة 1964 (المجلد الرابع) ـ

37 ـ الرافعي ، مصطفى ـ حضارة العرب ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتاب اللبناني 1968

38 ـ زيدان ، جرجي ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ الطبعة الثانية ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت 1978

39 ـ سالم ، السيد عبد العزيز ـ تاريخ العرب في العصر الجاهلي ـ دار النهضة العربية ـ بيروت 1970 - 1971

40 ـ الصابوني ـ محمد علي ـ تفسير آيات الاحكام ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الغزالي ـ دمشق .

41 ـ صباغ ، ليلى ـ المرأة في التاريخ العربي قبل الاسلام ـ دمشق 1975

42 ـ ضيف ، شوقي ـ تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر 1976

43 ـ عبد العليم ، أنور ـ **الملاحة وعلوم البحار عند العرب** ـ عالم المعرفة ـ الكويت1979

44 ـ عطوان ، حسين ـ **مقدمة القصيدة العربية** ـ دار المعارف بمصر1970

45 ـ علي ، جواد ـ **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام** ـ الطبعة الثانية ـ دار العلم للملايين ومكتبة النهضة ـ بغداد1978

46 ـ الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) ـ **القاموس المحيط** ـ دار الجيل ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .

47 ـ الكتاني ، عبد الحي ـ **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية** ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

48 ـ لوبون ، غوستاف ـ **حضارة العرب** ـ رجمة عاذل زعيتر ـ الطبعة الثالثة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت1979

49 ـ متز ، آدم ـ **الحضارة الاسلامية** ـ ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت 1967

50 ـ مروّة ، حسين ـ **النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية** ـ الطبعة الثانية ـ دار الفارابي ـ بيروت1979

51 المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي) ـ **مروج الذهب** ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الخامسة ـ دار الفكر ـ بيروت1973

52 ـ المفضّل الضبيّ (أبو عبد الرحمن بن محمد بن يَعْلَىَ) ـ **المفضليات** ـ تحقيق أحمد محمد شاكر محمد شاكر وعبد السلام هارون ـ الطبعة الخامسة ـ دار المعارف بمصر1976 .

53 ـ هيكل ، محمد حسين ـ **حياة محمد** ـ الطبعة الثالثة عشر ـ مكتبة النهضة المصرية1968

54 ـ يحيى ، لطفي عبد الوهاب ـ **العرب في العصور القديمة** ـ دار النهضة 1979

دواوين الشعر :

55 ـ ديوان الأعشى ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت
56 ـ ديوان امرىء القيس ـ تحقيق حسن السندوبي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ الطبعة الخامسة .
57 ـ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ـ دار صادر ـ بيروت .
58 ـ ديوان الحطيئة ـ من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر بيروت
59 ـ ديوان الخنساء ـ المكتبة الثقافية ـ بيروت .
60 ـ ديوان زهير بن أبي سلمى ـ صنعة الأعلم الشنتمري ـ تحقيق فخر الدين قباوه ـ المكتبة العربية بحلب
61 ـ ديوان سُحيم ـ تحقيق عبد العزيز الميمني ـ الدار القومية ـ القاهرة1950 ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
62 ـ ديوان طرفة بن العبد ـ المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت
63 ـ ديوان عبيد بن الأبرص ـ تحقيق حسين نصار ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة البابي الحلبي بمصر1957
64 ـ ديوانا عروة بن الورد والسموأل ـ دار صادر ـ بيروت .
65 ـ ديوان عنترة ـ دار صعب ، دار صادر ـ بيروت
66 ـ ديوان قيس بن الخطيم ـ تحقيق ناصر الدين الأسد ـ الطبعة الثانية ـ دار صادر ـ بيروت 1967

67 ـ ديوان النابغة الذبياني ـ تحقيق فوزي عطـوي ـ دار صعـب ـ بـيروت ـ 1980

68 ـ ديوان الهذليين ـ الدار القومية ـ القاهرة1965 نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

1981-6-49

هـذا الكتـاب

شُغِلَ الباحثون ،بشكل عام ،بالنواحي الجغرافية والاجتماعية والأدبية التي كان العرب الجاهليون عليها ،مع أن الواقع الاجتماعي والإنساني لم يكن كذلك فقط ،بل كانت الحياة العربية في المجتمع الجاهلي تشتمل على مناح أخرى ،مثل ادراكهم للصناعات والحرف ، وما لها من أثر في تقدم الحياة وتطورها .

فالغاية الاساسية من هذا الكتاب هي البحث عن الصناعات والحرف التي كانت متوفرة في المجتمع الجاهلي ،والكشف عنها ، ودرسها صنعة صنعة ،وحرفة حرفة ،لاستجلاء مدى التطور الحضاري الذي بلغه الانسان العربي في ذلك الزمن ،اذ ليس هناك ما هو اكثر ظلماً من تفسير أن العربي ،في الجاهلية كان يحتقر الصناعة والحرف ،وأن المجتمع الجاهلي لم يدرك ما أدركته المجتمعات الانسانية الاخرى من تطور وتقدم .



الثمن : ٤٥ ل . ل

او ما يعادلها

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع